غير مخصص للبيع

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

منبر الإسلام

السنة (٦٣) العدد (١٠) شوال ١٤٢٥ هـ - نوفمبر ٢٠٠٤م -

الهدى النبوى فى الدعوة والإرشاد

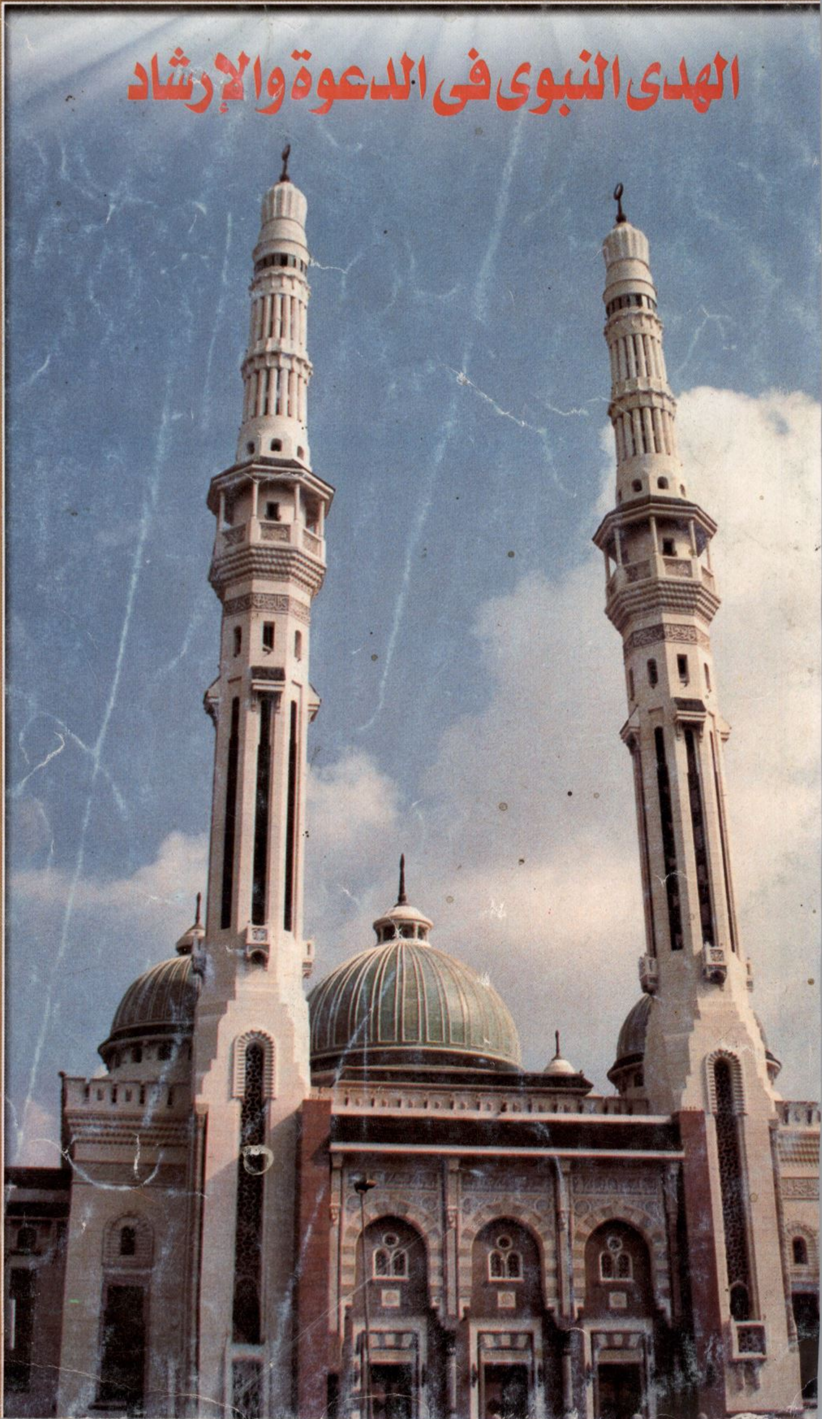

الرئيس مبارك يكرم حفظة القرآن الكريم فى الاحتفال بليلة القدر

حديث القرآن عن النماذج البشرية بيان معجز بصدق الرسالة

ماذا يعنى العيد للمسلمين

التدخين بين العلم والدين

سماحة الإسلام مع غير المسلمين

التعاون ضرورة دينية واجتماعية

ملتقى الفكر الإسلامى خطاب فكرى لأمة اقرأ

من محتويات العدد

□ تفسير سورة المعارج
أ. د. محمد سيد طنطاوى
□ رعاية الشباب فى ضوء السنة الشريفة
أ. د. أحمد عمر هاشم
□ محاسن الإسلام ومزاياه فى تشريعات المرأة
أ. د. عبدالعظيم المطعنى
□ التفسير الموضوعى وحاجة عصرنا إليه
أ. د. مصطفى رجب
□ الأزهر قلعة الإسلام وحصن اللغة العربية
السيد أحمد أبو الفضل عوض الله
□ من آيات الله فى خلق الوجه
أ. د. عبدالمعبود عمارة
□ الوحدة والتوحيد أساس بناء الحضارة الإسلامية
أ. د. عبدالحليم عويس
□ ماذا يعنى العيد للمسلمين؟
أ. د. محمد إبراهيم الجيوشى

غلاف الشهر

● يتضمن غلاف هذا العدد صورة لأحد المكرمين الفائزين فى مسابقة القرآن الكريم فى احتفال مصر بليلة القدر التى شرفها الله بنزول القرآن، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة مباركة﴾

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٩ ش النباتات - بجاردن سيتى - القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة : ١٣,٥ ثلاثة عشر جنيها ونصف بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة : ٢٠ عشرون دولارا أمريكيا لاتحاد البريد العربى الأفريقى - «بريد جوى»
الاشتراكات عن سنة كاملة : ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا لدول أوروبا.
الاشتراكات عن سنة كاملة : ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول شرق آسيا.
الاشتراكات عن سنة كاملة : ٦٥ خمسة وستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

المراسلات:

٩ ش النباتات بجاردن سيتى - القاهرة - تليفون: ٧٩٥٨٦٥٩ - ٧٩٤١٦٢٧ - ٧٩٥٨٦٦٤
تلغرافيا: منبر الإسلام - القاهرة

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

منبر الإسلام
تصدرها وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور : **محمود حمدى زقزوق**

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور : **عبد الصبور مرزوق**

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور : **صوفى أبو طالب**

الدكتور : **أحمد كمال أبو المجد**

الدكتور : **أحمد هيكل**

كلمة التحرير

عزيزى القارئ

هذا عدد جديد متميز من «منبر الإسلام» يصدر مع إشراقة عيد الفطر المبارك أعاده الله على أمتنا العربية والإسلامية باليمن والبركات.

فبالإضافة إلى كل ماهو جديد ومفيد فى حياة المسلمين يتضمن هذا العدد مناسبتين جديرتين بالاهتمام والإجلال.

المناسبة الأولى هى وقائع الاحتفال العالمى بليلة القدر الذى أقامته وزارة الأوقاف وشهده الرئيس محمد حسنى مبارك وكرم فيه أبناء مصر والعالم الإسلامى الفائزين فى المسابقة العالمية والمحلية فى حفظ القرآن الكريم، ومنبر الإسلام تقدم وقائع الحفل وخطاب الرئيس مبارك الذى يرسم الطريق إلى الخروج من الأزمات ومواجهة التحديات.

والمناسبة الثانية هى حصاد ملتقى الفكر الإسلامى الذى نظمته وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالتعاون مع الأزهر الشريف بساحة سيد الشهداء الإمام الحسين رضي الله عنه، هذا الملتقى الذى يعد زادا ثقافيا ورافدا من رافد المعرفة والفكر المستنير.

وعيد الفطر له فرحة لكن ماذا يعنى العيد للمسلمين، وكيف يحتفلون به فى إطار ما شرعه الله وما أكدت عليه السنة النبوية الشريفة دون إسراف أو تبذير وبعيدا عن اللهو والعبث.

هذا ما يقف عليه القارئ فى هذا العدد بالإضافة إلى الأبواب الثابتة: القرآن الكريم وعلومه والأسرة فى التشريع الإسلامى والحضارة والعلوم والدعوة، والشخصيات الإسلامية إلى جانب الموضوعات التى تشترك معنا عزيزى القارئ فى تحريرها.

حديث القرآن عن النماذج البشرية بيان معجز بصدق الرسالة

حديث الشهر

أ. د. عبد الصبور مرزوق

لحديث القرآن عن النماذج البشرية تميز خاص لا تكون الغاية منه رصد القسمات والملامح البشرية، بل تكون غايته تقييم سلوكيات ومواقف هذه النماذج والحكم عليها بالرفض أو القبول وبالعقاب أو المثوبة.

ذلك أن «النموذج البشرى» عندما تعرض له كتب التاريخ والسِّير يبقى مجرد حدث مرتبط بزمانه ومكانه وشخوصه.

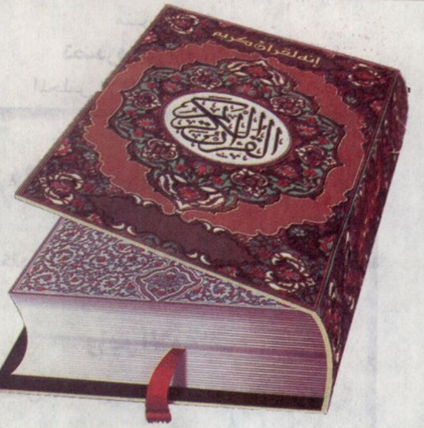

أما حين يتحدث عنه القرآن فإنه يتحول إلى درس كبير يتجاوز ظروف الزمان والمكان والأشخاص لتتشكل منه مبادئ وقضايا ورؤى عامة تنطبق على المسلمين فى كل زمان وكل مكان متى تشابهت أحوالهم مع حال هذا النموذج الذى تحدث عنه القرآن.

***

وعلى سبيل المثال فإن النماذج البشرية التى عايشت «حديث الإفك» وشاركت فى صنعه بقدر أو بآخر، قد انسحبت إلى زوايا التاريخ والنسيان.

بينما تحول الحديث فى ذاته إلى حيث أصبح قضية كبرى محورها صيانة عرض الإنسان والتحذير الشديد من أى عدوان عليه. وتقرير العقوبة الملائمة والقاسية لمن يمارس هذا العدوان.

فلقد نزلت بسببه سورة كريمة من سور القرآن هى سورة «النور». تضع الضوابط الأخلاقية، وتقرر التشريع العقابى، وتحيط الموضوع كله بإطار شامل من المعايير يحمى المجتمع من شيوع الفاحشة ورمى المحصنات الغافلات.

***

تميز آخر لحديث القرآن عن «النماذج البشرية» يتصل بأسلوب عرضه بين الإيجاز والإطناب وبين الإجمال والتفصيل حسب الغاية المرجوة من سياق «النموذج».

وعلى سبيل المثال فإن ما جاء فى كتب السيرة بشأن تبنى رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة كان قليلا إذا قورن بما جاء فى القرآن عنه لأن الغاية المرجوة هى إعلان الحكم فى طبيعة العلاقة بين الآباء والأبناء بالتبنى، والذى كان أهل الجاهلية يرتبون عليه ما تفرضه بنوة الابن على الأب وأبوة الأب على الابن من حقوق فجاء الإسلام ليبطل التبنى.

ولما كانت فى بيت النبى ﷺ حالة تبنيه لزيد بن حارثة والذى كان يسمى زيد بن محمد كان طبيعيا أن يبسط القرآن القول فى الموضوع بل كان يذكر بالتحديد اسم زيد عندما أباح للرسول ﷺ أن يتزوج مطلقته.

لأن الأمر هنا أمر تشريع خاص بعادة كانت مستقرة فى أعراف الجاهلية فاحتاجت فى النهى عنها وتحريمها إلى بسط وتفصيل.

ثم احتاجت كذلك إلى مكان وزمان وبيت ذى شأن تخرج منه ليكون لها الدوى الأعظم الذى يهز الواقع الجاهلى ويمحوه ويقرر التشريع الجديد الذى يبطل عادة «التبنى».

وتنزل الآيات فى صدر سورة «الأحزاب» وكأنها زلزال يهز أركان الواقع الذى حكمته قبل الإسلام أعراف وعادات قبلية وجاهلية فتنهى الرسول ﷺ عن متابعة هذا الواقع الذى يمتلئ بالكافرين والمنافقين وتأمره باتباع ما يوحى إليه حيث تقول السورة: ﴿**يأيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما* واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا**﴾ الأحزاب: الآيتان ١، ٢.

ثم وبعد تقديم الآية لما تقرر من تغيير تشريعى فى أمر «التبنى» وفى أمر عادة «الظهار» من النساء تعلن الآية ما رأته السماء فى ذلك فتقول: ﴿**ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل* ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم..**﴾ الأحزاب: الآيتان ٤، ٥.

وهكذا تحسم الآيات القرآنية بما لها من تميز فى التعليل والتوجيه.. تحسم القضية، وتضع المجتمع المسلم كله أمام وضع جديد يلغى التبنى ويقضى على ما كان شائعا من قبل.

***

ولأن الآيات نزلت بعد غزوة الأحزاب بما صحبها من ظروف بالغة الصعوبة على المسلمين حتى كان لها مناخ نجم فيه النفاق، فقد كان من تميز الأسلوب القرآنى فى السورة كلها ألا يعبر يوم الأحزاب دون تسجيل الواقع والنفاذ إلى ما وراء هذا الواقع من أعمال القلوب فيفضح المنافقين. ويخرج إلى الظاهر وما كانت عليه أحوال أهل الإيمان من زلزال بلغت معه القلوب الحناجر.

ثم - وبتميز الأسلوب القرآنى - يعود بعدها إلى أمر «التبنى» - كحالة يطبق فيها هذا التشريع، وفى بيت الرسول نفسه - صلوات الله وسلامه عليه - حيث تعلن الآيات وبالتفصيل حالة من كان يسمى بالأمس «زيد بن محمد» لتعلن أن محمدا ﷺ لم يكن أبا أحد ولكن رسول الله وخاتم النبيين.

وأنه وبهذه الصفة ـ يجوز لأى شخص لا تربطه بالآخرين علاقة أبوة طبيعية، فيحق له أن يتزوج ممن كانت من قبل زوجة لابنه المدعى..

ويبلغ تميز الأسلوب القرآنى فى التعامل مع الحدث ذروته حيث لا يدع مجالا لأى تردد فى موضوع التشريع حيث يقول: **﴿.. وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾** الأحزاب: آية ٣٦.

***

ثم يذهب إلى أبعد من ذلك فيعلن عما كان يعتمل فى وجدان النبى ﷺ بالنسبة للزواج من مطلقة متبناه سابقا زيد بن حارثة فيقول: **﴿وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر مفعولا * ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا﴾** الأحزاب: الآيتان ٣٧، ٣٨.

***

ومثل آخر من أمثلة تميز الأسلوب القرآنى فى عرض الأحداث والأشخاص أنه يلخص الحدث مهما تكن تفاصيله أو امتداد الزمن الذى وقع فيه.. يلخصه القرآن فى كلمتين أو ثلاث يكون فيها المضمون الذى يمكن بسطه فى مجلد أو مجلدات.

مثال ذلك حديث القرآن فى بعض ماعرضنا له عن الرجل المنافق القلب «ثعلبة بن حاطب» الذى ظل يلح على الرسول ﷺ أن يدعو الله حتى يُرزق الغنى، فلما اغتنى فسد حاله ونافق.

أمر هذا الرجل يلخصه الأسلوب القرآنى فى ثلاث جمل تصور حاله وحال أمثاله عبر الزمن حيث يقول القرآن: **﴿فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾** التوبة: آية ٧٧.

وعظيم ورائع أن «تنافق القلوب» بما يعنى أن نفاق صاحبها بات صفة ملازمة لا يمكن أن تزول.

***

ومثلها التعبير القرآنى عما وقع من سوء ظن بأم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ فى غزوة «المريسيع» والتى نزلت فيها سورة بأكملها هى سورة النور.

هذا الحدث بضخامته وبشاعته يعبر عنه القرآن بلفظ واحد هو لفظ «الإفك» كما قالت الآية: **﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾** النور: آية ١١.

***

وتعقيبا على ما تحدثت به، وأيضا على ما تضمنه حديث القرآن عن الأشخاص والأحداث أقول: إن البيان القرآنى بحاجة إلى الوقفات الطويلة المتأنية والفاحصة من ذوى الحس الأدبى المرهف وبحاجة إلى بصائر ذوى التمييز فى لطائف التصوير فى بيان الكتاب العزيز ليقدموا لقارئ القرآن ما فيه من روائع التصوير البيانى الذى أعجز أمة البلاغة والفصاحة أن تأتى ولو بسورة من مثله.

وكان هذا التحدى هو شاهد الإثبات الذى لا يمارى على صدق الرسالة وعلى صدق الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.

كلمة أ. د. محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف فى مؤتمر:

الهدى النبوى فى الدعوة والإرشاد

من المعالم البارزة فى الدعوة الإسلامية ذلك المنهج الذى رسمه القرآن الكريم لكل الدعاة إلى الله فى كل العصور والذى يتمثل فى قول الله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾ النحل: آية ١٢٥.

ومن أهم ما يتميز به هذا المنهج القرآنى أنه يتفق مع طبائع البشر ويتناسب مع مداركهم العقلية ومستوياتهم الفكرية، فمن البشر من لا يستجيب إلا لما يمليه العقل ويقرره المنطق، ومنهم من ترقق قلبه الموعظة الحسنة، ومنهم أصحاب الجدال الذين لا يجدى معهم إلا هذا الأسلوب الجدلى.

ومن هنا طلب القرآن الكريم من محمد ﷺ، ومن جميع الدعاة إلى الله إلى يوم الدين الالتزام بهذا المنهج القرآنى القويم فى الدعوة إلى الله بهدف الوصول إلى اقتناع تام من جانب المدعوين إلى سبيل الله، إذ بدون هذا الاقتناع لن يكون هناك إيمان حقيقى أو استجابة لدعوة الداعى.

مواكبة الدعوة لروح العصر لا يعنى انعزالها عن الواقع أو تطويعها بالتفريط فى ثوابتها

والإسلام يحرص كل الحرص على أن تكون الاستجابة للدعوة الإسلامية خالية تماما من أى شكل من أشكال الإجبار أو الإكراه على قبولها، لأن الإجبار على قبول الإسلام لا يتمخض عنه مؤمنون، وإنما ينتج عنه منافقون، وهذا ما يرفضه الإسلام. ومن هنا قرر القرآن الكريم أنه: **﴿لا إكراه فى الدين﴾** البقرة: آية ٢٥٦، مبرزا دور الحرية الإنسانية فى القبول أو الرفض قائلا: **﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾** الكهف: آية ٢٩.

وإذا كان القرآن الكريم قد وضع للداعين إلى سبيل الله منهج الدعوة فى وضوح لا يحتمل أى تأويل فإن الخروج على هذا المنهج يعد خروجا على ما هو معلوم من الدين بالضرورة، ومن هنا فإنه ليس من حق أحد أيا كان أن يخترع لنفسه منهجا آخر للدعوة الإسلامية.

وقد طبق النبى ﷺ هذا المنهج القرآنى فى الدعوة إلى الله على نحو لا يرقى إليه شك، وذلك فى إطار من الرحمة التى هى أساس الرسالة المحمدية كلها كما قرر ذلك القرآن الكريم فى قوله

تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ الأنبياء: آية ١٠٧.

وقد كانت الممارسة العملية لرسول الله ﷺ فى الدعوة إلى سبيل الله نموذجا يجب على جميع الدعاة الالتزام به انطلاقا من قوله تعالى: ﴿**لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة**﴾ الأحزاب: آية ٢١.

نماذج نبوية فى الدعوة والإرشاد:

وأود فى هذا الصدد أن أشير إلى بعض الأمثلة من أسلوب رسول الله ﷺ فى الدعوة إلى الله لأذكر بها الدعاة، فالذكرى تنفع المؤمنين.

أولا: الإسلام دين يدعو إلى التيسير على الناس والبعد عن كل أشكال التشديد عليهم وتكليفهم مالا يطيقون. ولذلك يقول القرآن الكريم: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ البقرة: آية ١٨٥، ويقول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : **«يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»** متفق عليه. ويقول أيضا: **«إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه»** رواه النسائى والحاكم، وإذا كان الله سبحانه وتعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها(١) فأحرى بنا ألا نلجأ إلى تنفير الناس من الدين بالتعسير عليهم وتكليفهم بما لا يطيقون مما ليس له مبرر شرعى.

ومن المعلوم أن النبى ﷺ عندما أدى فريضة الحج كان بعض الصحابة يأتون إليه سائلين عما فعلوه من مناسك وهم يخشون أن يكون حجهم قد فسد أو لم يكتمل. وكانت للنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ إجابة واحدة تتمثل فى قوله: **«افعل ولا حرج»** رواه البخارى ومسلم وابن ماجة والترمذى وأبو داود.

ثانيا: الإسلام دين يقوم على الوسطية والاعتدال ولا يقر الإفراط ولا التفريط. ويتضح لنا هذا المنهج الوسطى فى الحديث النبوى الذى رواه الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: **«جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، وقالوا: أين نحن من النبى ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبدا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»** رواه مسلم.

الدعاة مطالبون بالسير على الدرب النبوى والاقتداء بمنهجه ﷺ فى الدعوة

ثالثا: لقد كان الرسول ـ عليه الصلاة والسلام رحيما بأمته. ومن هنا وصفه القرآن الكريم بأنه ﴿**بالمؤمنين رءوف رحيم**﴾ التوبة: آية ١٢٨، وامتدحه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك**﴾ آل عمران: آية ١٥٩.

ومن الأمثلة على حلمه ورحمته بالناس ورقة معاملته لهم ما رواه الإمام أحمد فى مسنده عن أبى أمامة من أن شابا أتى النبى ﷺ وطلب منه أن يأذن له بالزنا لأنه لا يطيق الابتعاد عنه. وقد استفز ذلك الصحابة وزجروا الشاب، ولكن النبى ﷺ قربه إليه، وبحنان الأبوة ورحمة النبوة سأل النبى الشاب قائلا: **هل تحبه لأمك؟** أى هل ترضى الزنا لأمك؟ فقال الشاب: لا والله، جعلنى الله فداءك، وكرر الرسول عليه السؤال على نحو آخر قائلا: **أفتحبه لابنتك؟ أفتحبه لأختك؟ أفتحبه لعمتك؟ أفتحبه لخالتك؟** وفى كل مرة يرد الشاب قائلا: لا والله جعلنى الله فداءك. فيقول

له الرسول الكريم: **ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ولا لبناتهم ولا لأخواتهم ولا لعماتهم ولا لخالاتهم**. ثم وضع الرسول الكريم يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه، فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شىء(٢).

وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يحنو على الكبير والصغير. وقد رآه أحد الصحابة (الأقرع بن حابس) يقبّل الحسين فقال: إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال: **«من لايرحم لا يرحم»**(٣).

وتأكيدا لقيمة الرحمة وترسيخا لها فى النفوس تكرر مفهوم الرحمة مئات المرات فى القرآن الكريم. وفى الأحاديث النبوية، وفى أول كل سورة من سور القرآن الكريم. وهذا التأكيد من شأنه أن يجعل قيمة الرحمة حاضرة باستمرار فى وعى الناس حتى يكون التعامل فيما بينهم قائما على هذا الأساس، فالله هو الرحمن وهو الرحيم، ورحمته وسعت كل شىء. والله يحب من عباده أن يكونوا على صفته وأن يتخلقوا بأخلاقه. ومادامت الرحمة من أبرز صفاته فينبغى أن يكونوا رحماء فيما بينهم.

الإسلام دين للحياة بكل أبعادها وشريعته صالحة لكل زمان ومكان

رابعا: ومن تسامحه ﷺ حتى مع المختلفين معه فى العقيدة ما كان من أمر وفد نصارى نجران. فقد أتى هذا الوفد المكون من خمسة عشر رجلا بقيادة أسقفهم أبى الحارث، وعندما دخلوا مسجده بالمدينة المنورة اتخذوا لأنفسهم ركنا من أركان المسجد وبدءوا فى صلاتهم. وقد استفز هذا التصرف الصحابة، ولكن النبى ﷺ قال لهم: **اتركوهم حتى ينتهوا من صلاتهم**، وبعد انتهاء الصلاة دار حوار دينى بين الوفد ورسول الله ﷺ.

فقد عرض الرسول الكريم عليهم العقيدة الإسلامية وعرضوا هم بدورهم عقيدتهم، ثم عادوا إلى بلادهم دون أن يسلم منهم أحد، ولكنهم بعد ذلك بدءوا يعودون الواحد تلو الآخر معلنين بمحض إرادتهم إسلامهم أمام الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ(٤).

خامسا: لم يكن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ شتاما ولا لعانا، وكان إذا رأى انحرافا أو لاحظ خطأ من أحد صحابته كان يصعد المنبر ويقول: **ما بال أقوام يقولون كذا أو يفعلون كذا**، دون أن يصرح باسم أحد أو يكشف ستر أحد. وبذلك ينبه المخطئ بطريق غير مباشر فيصحح المخطئ خطأه ويعود إلى جادة الصواب دون أن يدرك الناس أنه كان هو المقصود.

وبعض الدعاة فى عصرنا يخالفون هذا المنهج النبوى للأسف الشديد ويصرحون من فوق منابرهم ليس فقط بأسماء من يريدون تقويم سلوكهم، بل يزيدون على ذلك الطعن فى إسلامهم، وهذا أسلوب ممجوج لا يقره الإسلام، ولا يتفق مع ما نعرفه من سلوك وهدى رسول الله ﷺ.

سادسا: لقد كان النبى ﷺ هاشا باشا مبتسما يدخل السرور على كل من يلتقى به، ويشعره بالأمان، ويجعله أكثر استعدادا للاستماع لما يلقى إليه من قول أو نصح أو إرشاد. ويؤكد النبى ﷺ ذلك فى العديد من الأحاديث النبوية من مثل قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»(٥)، أى بوجه بشوش وقوله: «تبسمك فى وجه أخيك صدقة»**(٦).

ولم يعرف عن رسول الله ﷺ أنه كان عابسا متجهما، بل كان على العكس من ذلك، فالأحاديث التى يرويها أصحابه عنه ﷺ تؤكد أنه كان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم،

وكان لا يواجه أحدا فى وجهه بشىء يكرهه، وكان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب.

ويروى أنس أنه خدم النبى ﷺ عشر سنين فما عبس النبى فى وجهه أبدا(٧). وتروى السيدة عائشة أن النبى ﷺ كان فى بيته ألين الناس، بساما ضحاكا. ويروى عنه أبو الدرداء أنه لم يكن يحدث حديثا إلا تبسم. ويقول أبو أمامة رضي الله عنه إنه ﷺ كان من أضحك الناس وأطيبهم نفسا.

ومن ذلك يتبين لنا بوضوح - لا لبس فيه - أن الإسلام يكره العبوس والتجهم وتصنع الجدية. فالحياة مهما امتلأت بالصعوبات والمشقات فإن الأمل والبشر والابتسام تساعد على تجاوز العقبات وتخطى الصعاب وإيجاد الحلول للمشكلات.

سابعا: ينبغى أن تكون الدعوة الإسلامية مواكبة لكل العصور، فلا يجوز أن تكون منعزلة عن حياة الناس وواقع الحياة، وليس معنى ذلك تطويعها لظروف كل عصر بالتفريط فى بعض ثوابتها، وإنما المقصود هو ألا تكون متخلفة عن فهم تطورات العصر ومتغيرات الحياة.

فالحياة متجددة باستمرار، والتجديد سنة الحياة وقانون الوجود. ومن هنا فإن الدعوة الإسلامية فى حاجة بين حين وآخر إلى التجديد فى العرض. والنبى ﷺ نفسه هو القائل: **«إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»**. وقد استخدم النبى - عليه الصلاة والسلام - فى هذا الحديث مصطلح التجديد منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان.

وقد حدد الإسلام آلية لهذا التجديد المستمر فى الفكر الإسلامى حين شرع الاجتهاد. ومن خلال هذا التجديد المستمر والاجتهاد المتواصل تظل الحياة الإسلامية متطورة غير متخلفة عن مواكبة تطورات كل عصر. وقد أدرك فقهاء الأمة ذلك كله فكانت اجتهاداتهم الفقهية مواكبة للعصور التى عاشوا فيها، ولم يقولوا أبدا إن اجتهاداتهم مطلقة وسارية لكل العصور، وإنما قالوا - كما روى عن الإمام الشافعى -: **«رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب»** أو - كما روى عن الإمام أبى حنيفة النعمان - **«قولنا هذا هو أفضل ما قدرنا عليه فمن جاءنا بأفضل منه قبلناه منه»**.

وهكذا تستمر مسيرة التجديد والاجتهاد إلى يوم الدين ملبية لحاجات كل عصر ومواكبة لمتغيرات الحياة. وذلك كله يدلنا على أن الإسلام دين للحياة بكل أبعادها وأن شريعته صالحة لكل زمان ومكان.

ومن خلال هذه الأمثلة وغيرها كثير يتضح لنا مدى اليسر والسماحة والرحمة والاعتدال فى المنهج النبوى فى الدعوة إلى دين الله، الأمر الذى كان له أثره البالغ وتأثيره العميق فى نفوس المدعوين إلى دين الله.

وهذا المنهج النبوى هو السبيل الذى ارتضاه الله سبحانه وتعالى وأمر نبيه أن يعلنه للناس كما جاء فى القرآن الكريم: ﴿قل هذه سبيلى أدع إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى﴾ يوسف: آية ١٠٨.

ودعاة هذا العصر وكل عصر مطالبون بالسير على الدرب النبوى والاقتداء بأخلاق النبى وشمائله إذا أرادوا أن يكون لدعوتهم أثر إيجابى فى نفوس السامعين.

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل..

الهوامش:

١- البقرة: آية ٢٨٦ **﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾**.
٢ - مسند الإمام أحمد جـ٥ ص٢٥٦ وما بعدها.
٣ - رواه البخارى فى كتاب الأدب باب ١٨.
٤ - راجع تفسير ابن كثير جـ١ ص٣٦٨.
٥ - رواه الترمذى فى كتاب البر والصلة - باب ٤٥.
٦ - المرجع السابق - باب ٢٦.
٧ - رواه مسلم فى كتاب الفضائل - باب ١٢.

كلمة ألقاها الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف فى مؤتمر «الهدى النبوى فى الدعوة والإرشاد» الذى نظمه قطاع الشئون الإسلامية والأوقاف بوزارة العدل والشئون الإسلامية بدولة الإمارات العربية فى الفترة من ١١ - ١٥ رمضان ١٤٢٥هـ الموافق ٢٥ - ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٤م

احتفال مصر بليلة القدر وتكريم الفائزين فى المسابقة العالمية للقرآن الكريم

الرئيس مبارك فى كلمته إلى الأمة الإسلامية

الرئيس مبارك يحيى المشاركين فى الاحتفال بليلة القدر

الأمة الإسلامية أقامت حضارة إنسانية تؤمن بالله وترفع مكان الإنسان وتحترم حريته وحقوقه

القضاء على العنف والإرهاب لن يتم من خلال فرض أنماط خارجية للإصلاح

تابع الاحتفال : منير بيومى

القرآن معجزة الدهر أنزله الله هدى ونورا على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله للناس كافة وجاء هذا القرآن مهيمنا على كل ما نزل قبله من الكتب، ومن ثم كان عالميا وكان محفوظا من التحريف والتبديل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وتواصل مصر جهودها لإحياء كلام الله وكتابه الكريم، فهى على العهد منذ أن شرفها المولى بأن أنزل فى شأنها قرآنا يتلى، وتحرص مصر حكومة وشعبا على إحياء ليلة نزول القرآن، ليلة الشرف الرفيع للأمة الإسلامية.

والقرآن نور الله وهدايته للبشرية، وهو دستور الأمة الإسلامية الذى فيه نجاحها وفوزها وفلاحها.

فى إطار هذا الحرص التقى الرئيس مبارك وشعب مصر فى احتفال مهيب وجه من خلاله رسالة إلى الأمة الإسلامية والعربية تنبض بروح الإسلام وآدابه وأخلاقه فى العمل والسلوك أكد بها شخصية مصر الإسلامية ودعوتها إلى الالتزام بمبادئ هذا الدين ليسعد المسلمون.

وكرم الرئيس خلال الحفل الفائزين فى المسابقتين المحلية والعالمية لحفظ القرآن الكريم التى نظمتها وزارة الأوقاف بالتعاون مع الأزهر الشريف.

أكد الرئيس مبارك فى كلمته أن القضاء على العنف والإرهاب لن يتم من خلال فرض أنماط خارجية للإصلاح على دولنا العربية والإسلامية كما يدلى البعض، وأكد أنه على العكس فإن نجاح الجهود المكثفة التى تقوم بها دولنا وشعوبنا العربية والإسلامية سيظل رهنا بإصلاح النظام الدولى وتعزيز قدرته على التعامل بفاعلية مع قضايا الأمم والشعوب. وطالب الرئيس حسنى مبارك المجتمع الدولى بتبنى أسلوب جديد للتعامل مع قضايا منطقة الشرق الأوسط على أسس من المساواة والعدالة ووحدة المعايير. وأكد أن هذا هو السبيل للحد من مشاعر الغضب واليأس والإحباط التى قد تتحول من لحظة إلى عنف ودمار يطول الأبرياء فى أى مكان.

وقال الرئيس مبارك: إن البعض قد نجح فى استثمار بعض الأعمال الإرهابية النكراء للترويج لوهم لا أساس له مؤداه أن العرب والمسلمين مسئولون عن انتشار ظواهر العنف والإرهاب فى العالم.

ودعا الرئيس مبارك علماء المسلمين إلى التصدى لهذا الزعم الفاسد، وبذل أقصى الجهد لرد هذه الشبهة الكاذبة وتصحيح الصورة التى روجت لها دوائر لا تخفى عن المسلمين دوافعها ومراميها.

وفيما يلى نص كلمة السيد الرئيس:

الإمام الأكبر شيخ الأزهر..

السادة العلماء..

ضيوف مصر الأعزاء..

الإخوة والأخوات..

فى مثل هذه الليلة المباركة من كل عام.. ليلة القدر.. اعتدنا أن نلتقى معا، وأن تكون لنا مع أنفسنا وقفة صدق وتأمل ومصارحة، نراجع فيها أحوالنا وأحوال وطننا العربى وعالمنا الإسلامى، فنحمد الله على ما وفقنا لأدائه من عمل، وما يسر لنا تحقيقه من إنجاز، ونعاهده سبحانه على أن نشحذ الهمة ونضاعف الجهد لمواجهة التحديات والأخطار الكبيرة التى تواجه أمتنا، وهى تسعى جاهدة لمواصلة دورها الخير البناء، الذى أدته أجيالها المتعاقبة على امتداد التاريخ الإنسانى.

فقد قامت أمتنا بدور حفظته وثائق التاريخ، وشهد به العلماء المنصفون من المسلمين وغير المسلمين، أسهمت من خلاله فى بناء حضارة إنسانية تؤمن بالله، ترفع مكانة الإنسان،

الرئيس مبارك ورئيس مجلس الوزراء والإمام الأكبر ووزير الأوقاف يستمعون في بداية الاحتفال إلى تلاوة من آي الذكر الحكيم

وتحترم وتحمى حقوقه، تدعو إلى التعارف والتعاون على البر والخير بين أبناء الحضارات المختلفة، إيمانا منها بأن المصالح الكبرى مشتركة، وأن مواضع الاتفاق حول القيم الإنسانية تظل أكبر مساحة وأكثر عمقا من مظاهر الاختلاف، وأسباب التنازع والصراع.

السادة العلماء..
الإخوة والأخوات..

يأتى لقاؤنا الليلة وسط ظروف عالمية وإقليمية بالغة الخطورة والتعقيد، تحمل لشعوب الأرض كلها نذر مواجهات وصدامات لا ينتفع بها ولا ينتصر فيها أحد.

فأعمال العنف والعدوان تزداد على امتداد العالم كله، ويدفع ثمنها الباهظ آلاف الأبرياء، الذين لم يبادؤوا أحدا بالعدوان، ولم يختاروا المواجهة أو يسعوا إلى الصدام. ومن المؤسف أن العالم يسمع ذلك كله ويراه، لكنه يقف عاجزا عن القضاء على الأسباب الحقيقية التى تقف وراء هذه الظاهرة التى تهدد جميع الشعوب وجميع المجتمعات.

ففى الوقت الذى ترتفع فيه نداءات السلام عالية وتتعدد فيه المبادرات لتسوية المشكلات السياسية المعاصرة، فمازال البعض يسعى لترسيخ تفسيرات خاطئة لمفاهيم دولية استقرت فى ذهن المجتمع الدولى، ولتطبيقها على البعض دون البعض الآخر، وعلى رأسها مفاهيم التدخل الإنسانى، والدفاع الوقائى عن النفس، والتدخل فى الشئون الداخلية للدول تحت غطاء الحملة الدولية ضد الإرهاب أو غيره من الأسباب.

ولا ينطبق ذلك فقط على التعامل مع القضية الفلسطينية، التى تعددت المبادرات لتسويتها دون أن تجد طريقها نحو التنفيذ الكامل، خاصة مع تصاعد التعنت والاستفزاز الإسرائيلى الذى يعقد من جهود التسوية دون رادع، وإنما يمتد لينطبق على الوضع فى العراق، الذى يحتاج إلى وقفة موضوعية متكاملة،

تعيد له الأمن والاستقرار والسيادة، وتحقق الإنسحاب الكامل للقوات الأجنبية من أراضيه. كما ينطبق ذلك أيضا على الوضع فى دارفور، الذى يحتاج إلى دعم المجتمع الدولى لقدرات السودان على مواجهته بدلا من التهديد بفرض عقوبات عليه.

فالتوصل إلى خفض العنف والإرهاب فى منطقتنا العربية والإسلامية لن يتأتى إلا من خلال أسلوب دولى جديد للتعامل مع قضايا منطقة الشرق الأوسط على نحو متكامل، يعيد ثقة شعوبنا فى صدق سعى المجتمع الدولى لتسوية مشكلاتنا المصيرية، على أسس من المساواة والعدالة ووحدة المعايير، ويحد بالتالى من مشاعر الغضب والإحباط واليأس التى قد تتحول فى أى لحظة إلى عنف ودمار يطال الأبرياء فى أى مكان.

ويقتضى ذلك بداية أن نبادر - كدول عربية وإسلامية - بتحقيق قدر أكبر من الوحدة فى التعامل مع هذه القضايا المصيرية، على نحو يمكننا من التوصل إلى مواقف واضحة حولها، والدفع باستخدام جميع إمكاناتنا الذاتية لفرض رؤيتنا ومواقفنا، مستثمرين فى ذلك علاقاتنا المتميزة مع العالم الخارجى، وما يربطه بنا من مصالح مشتركة.

وكذا فإن القضاء على العنف والإرهاب لن يتم من خلال فرض أنماط خارجية للإصلاح على دولنا العربية والإسلامية كما يدعى البعض، بل على العكس، فإن نجاح الجهود المكثفة التى تقوم بها دولنا وشعوبنا العربية والإسلامية تنفيذا لرؤيتنا الذاتية للإصلاح، سيظل دائما رهنا بإصلاح النظام الدولى، خاصة نظام الأمن الجماعى الدولى، وبتعزيز قدرته على التعامل بفاعلية مع قضايا الأمم والشعوب.

فلا معنى لتنفيذ خطط طموحة لتحقيق مزيد من الديمقراطية والحرية فى مجتمعاتنا فى وقت لا تتمتع فيه دولنا بنفس حقوق الدول الأخرى فى المجتمع الدولى، ولا مغزى من إتمام خطط الإصلاح الاقتصادى فى الوقت الذى تتقاعس فيه القوى الاقتصادية الكبرى عن أداء دورها فى مساعدة دولنا على تحقيق التنمية المرجوة.

> **فى الوقت الذى ترتفع فيه نداءات السلام عالية.. لايزال البعض يسعى لترسيخ تفسيرات خاطئة**

ولا قيمة لتنفيذ خطط الإصلاح الاجتماعى فى ظل التجاهل الدولى للجوع والفقر والمرض الذى يلحق بالملايين من البشر فى أرجاء العالم المختلفة.

الإخوة والأخوات..

فى ظل هذا التيار الدولى المتصاعد من العنف، وغياب رؤية واضحة للتعامل الفعال مع أسبابه الكامنة، نجح البعض فى استثمار بعض الأعمال الإرهابية النكراء للترويج لوهم لا أساس له، مؤداه أن العرب والمسلمين مسئولون عن انتشار ظواهر العنف والإرهاب فى العالم، ودخل الترويج لهذا الدعم الفاسد منعطفا بالغ الخطورة يتمثل فى موجة جديدة من الكراهية، ومن السلوك العدائى ضد العرب والمسلمين.

ولاشك أن هذا التحول الخطير يحتاج منا إلى وقفة لتصحيح الفهم وإزالة اللبس، قبل أن يتحول إلى فتنة كبرى يضطر فيها العرب والمسلمون للدخول فى مواجهات حضارية لم يختاروها، بكل ما يحمله ذلك من مخاطر على حضارتنا وعلى

الحضارات الأخرى التى يمكن أن تدخل فى هذا الصراع.

وأنتم علماء أمتنا وفقهاءها، ومعكم العلماء المنصفون فى كل مكان، مدعوون إلى بذل أقصى جهد لرد هذه الشبهة الكاذبة، ولتصحيح الصورة التى روجت لها دوائر لا تتخفى عنا دوافعها ومراميها، والتى سعت لأن تتخذ الدول الأخرى موقفا منا يبنى على أسس أيديولوجية ودينية، ولا يقوم على أسس عملية وواقعية، فى تجاهل تام للقيم العظيمة والمبادئ السامية التى قامت عليها الديانات السماوية الثلاث.

وعليك فى هذا الإطار التصدى للادعاءات بسمو بعض الديانات على بعضها الآخر، والتعامل بواقعية وفاعلية - وباستخدام الحجة والمنطق - مع بعض التحالفات التى قامت على أسس دينية فى مجتمعات أخرى استنادا لأفق ضيق، يصور للبعض أن أفضل السبل للتعامل مع ما يطلقون عليه «الإرهاب الإسلامى» هو تكوين تحالف من القوى الأصولية فى الديانات الأخرى، يقود لسياسات أكثر تشددا وأقل عدالة فى التعامل مع قضايا العالمين العربى والإسلامى.

الظروف العالمية والإقليمية تحمل لشعوب الأرض نذر مواجهات وصدامات لا ينتفع بها ولا ينتصر فيها أحد

وفى هذا الإطار يجب ألا ننزلق نحن إلى ارتكاب الخطأ نفسه فى علاقاتنا مع الديانات الأخرى، بل علينا أن نتمسك بمعايير الوحدة السامية التى تجمع بين جميع الأديان، ومن منطلق أن الديانة هى علاقة مباشرة بين الإنسان وربه، ولا ينبغى تسخيرها لتحقيق أى مآرب أو أغراض، واستنادا إلى أن ترك العنان للقوى الأصولية وقوى التطرف والتشدد هو السبيل لمواقف أكثر تشددا، تقود بدورها لمزيد من العنف والإرهاب.

ومن هذا المنطلق فلابد أن يتسع نطاق التعامل مع ظاهرة معاداة السامية ليشمل معاداة الديانتين الإسلامية والمسيحية، وأن يتزامن حرصنا على عدم المساس بديانتنا الإسلامية مع حرص أقوى بعدم المساس بالديانات الأخرى، ومع الفصل - بقدر أكبر من الوضوح - بين الانتقادات التى نوجهها لسياسات أى دولة من الدول بهدف إعادتها إلى الشرعية الدولية، والهجوم على أى ديانة أخرى أو اتباعها.

ومن نفس هذا المنطلق، فعلى علماء المسلمين توخى الحذر فى التعامل مع ما ينادى به البعض من تحديث وتطوير للديانة الإسلامية، بادعاء أن ذلك يجعلها أكثر تماشيا مع التيار الدولى المتصاعد نحو الإصلاح والتحديث، الذى اتخذ أحد مظاهره أخيرا مطالبة البعض بتغيير مفردات وقواعد اللغة العربية التى أنزل بها الله تعالى القرآن على نبينا الكريم، واتخذت فى بعضها الآخر مظهر التعرض بالتشكيك والتأويل لسيرة نبينا الكريم وصحابته الشرفاء.

وأؤكد هنا - بكل صراحة ووضوح - أن القيم والمبادئ السامية التى نزلت فى قرآننا الكريم - باللغة العربية - لا تحتاج إلى أى تغيير أو تطوير، إلا أن ما نحتاج إليه اليوم هو تطوير سلوكياتنا كمسلمين، حتى تتفق على نحو أكبر من هذه القيم والمبادئ، وحتى يظهر الإسلام بصورته الحقيقية، مناديا بالحوار سبيلا للتعامل مع الديانات الأخرى، وبالسماحة بديلا للتعصب والتشدد

كبار رجال الدولة والقيادات السياسية والشعبية والتنفيذية يستمعون إلي خطاب الرئيس مبارك

والتطرف، وبالسلام بديلا عن العنف وإراقة الدماء، تطبيقا صحيحا لقوله تعالى: ﴿**وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله**﴾.

العلماء الأجلاء.. الإخوة والأخوات..

هذه هى مسئوليتكم فى هذا العالم المتغير المضطرب، وثقتى كاملة أنكم ستضطلعون بها بكل اقتدار من خلال خطاب دينى معتدل، يقوم على تعزيز القيم الحقيقية لديانتنا الغراء، وعلى إشاعة روح السلام والطمأنينة فى نفوس المسلمين، وعلى عميق الرغبة والسعى لتحقيق الفهم الصحيح لديانتنا الإسلامية، التى تقوم على مفاهيم الوحدة الإنسانية التى تسمو فوق الديانات وتتعدى حواجز الحضارات والثقافات.

وليكن نداؤنا للعالم فى هذه الليلة المباركة أن نذكر أنفسنا والمؤمنين جميعا بأننا نحتفل بليلة سلام، وبأن الله لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن، وليكن نداؤنا لإخواننا وأخواتنا المؤمنين والمؤمنات فى مختلف الديانات أن تعالوا نضع الأيدى فى الأيدى، نتبادل الخبرة والمعرفة ونتعاون على البر والتقوى، فى ظل إيمان متزايد بالقيم المشتركة التى تجمع بين دياناتنا.

ولننطلق بعد ذلك، كل من زاويته ومن خلال ثقافته الذاتية فى أفقها الإنسانى الرحب، لنجدد الدعوة لإقامة العدل وإشاعة المساواة، حتى ترتفع من جديد ألوية السلام على كوكب فى ملكوت الله، اختصه برسله وأنبيائه، وحمل أهله أمانة أبت أن تحملها السماوات والأرض.

نسأل الله فى هذه الليلة المباركة أن يدلنا على الخير، وأن يعيننا على أداء أماناتنا بين الناس، وأن يملأ قلوبنا نورا ننطلق به إلى العمل النافع الذى يحبه الله لنا ونحبه لأنفسنا.. إنه نعم المولى ونعم النصير.

وكل عام وأنتم وأمتنا كلها بخير..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الدعاء المقبول يصدر من أصحاب القلوب الطاهرة والفطرة النقية والألسنة الصادقة

فى كلمته أكد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر على أهمية الدعاء وكيف يكون مقبولا عند الله - عز وجل - موضحا أنه ملاذ كل مكروب وراحة لكل مضطرب.

وأشار إلى أن الحرام لا يستقيم مع الدعاء والله يتقبل الدعاء من أصحاب القلوب الطاهرة والألسنة الصادقة، وكان الأنبياء دائما يتضرعون إلى الله بالدعاء أن ينصرهم فى دعوتهم ويشد أزرهم ويصرف عنهم كيد الأعداء.

قال فضيلته:

ندعو الله أن يديم على مصر نعمة الأمان والرخاء وأن يجعلها لا تمد يدها إلا لخالقها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا وشفيعنا رسول الله ومن والاه

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وفقه الله وسدد خطاه ووفقنا جميعا مع سيادته لما يحبه ويرضاه.

الحفل الكريم: فى ليلة الدعاء وهى ليلة القدر يحلو الكلام عن الدعاء الذى هو ملاذ كل مكروب وأمل كل خائف وراحة كل مضطرب. بالدعاء يتضرع الإنسان إلى خالقه - عز وجل - فيشعر بالراحة النفسية ويشعر بالطمأنينة القلبية، الدعاء يكون محلا للقبول وقريبا من الإجابة عندما يصدر من قلب طهور ومن فطرة نقية ومن لسان صادق ومن إنسان يتعفف عن الشبهات، فضلا عن الحرام فإن الولوغ فى الحرام فى المأكل أو المشرب أو الملبس أو القول أو الفعل يمنع من إجابة الدعاء وسيدنا سعد بن أبى وقاص قال للنبى ﷺ يارسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة فقال له النبى ﷺ: **«يا سعد أطب مطعمك تستجب دعوتك».**

وإن الملائكة المقربين ليدعون بأفضل الدعوات للمؤمنين الصادقين الذين يتعففون عن الحرام ويبنون حياتهم على الحلال، ويتعاونون مع غيرهم على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

ومن دعاء الملائكة: **﴿ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم﴾.**

الرئيس مبارك يصافح مستقبليه فى بداية الاحتفال

وإننا لنقرأ القرآن الكريم لنجده قد ساق لنا نماذج لأناس تضرعوا إلى الله سبحانه وتعالى بلسان صادق وبقلب طهور فأجاب الله لهم دعاءهم فى أسرع وقت هذا سيدنا إبراهيم يدعو الله سبحانه وتعالى أن يرزقه الذرية الصالحة فيقول: **﴿رب هب لى من الصالحين﴾** فماذا كانت النتيجة، كانت النتيجة أن بشره الله سبحانه وتعالى بغلام حليم.

هذا سيدنا يوسف يتعرض للفتن وللدسائس وللتهم الكاذبة الباطلة فيتضرع إلى الله عز وجل ويقول: **﴿رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾**. فماذا كانت النتيجة؟ كانت النتيجة كما قال - عز وجل -: **﴿فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم﴾**.

هذا سيدنا موسى يتضرع إلى الله بأن يشرح له صدره **﴿قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى﴾**.

ويدعو الله أيضا أن يرزقه بمن يعينه على أداء رسالته: **﴿واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيرا﴾**، فتأتى الإجابة من الله عز وجل: **﴿قال قد أوتيت سؤلك ياموسى﴾**.

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وفقه الله وسدد خطاه ووفقنا جميعا مع سيادته لما يحبه ويرضاه.

إننا نتضرع إلى الله سبحانه وتعالى فى هذه الليلة المباركة أن يديم على مصر وعلى شقيقاتها بل وعلى العالم أجمع نعمة الأمان ونعمة الرخاء ونعمة السلام ونعمة الاطمئنان وأن يجعل مصر دائما لا تمد يدها إلا لخالقها عز وجل. وأن يديم على سيادتكم وعلينا جميعا وعلى مصر نعمة الصحة والعافية ونعمة التوفيق والسداد فى الأقوال والأعمال.

وكل عام وأنتم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وزير الأوقاف فى الاحتفال بليلة القدر:

توحيد الصف العربى والإسلامى هو السبيل للخروج من حالة التشرذم والتراجع والضعف

الشعائر الدينية جاءت من أجل خير الإنسان وصلاحه وسعادته عندما يلتزم المسلم بأدائها بصدق وإخلاص يكون قد حقق الأهداف التى أشار إليها القرآن الكريم. كما أن الفهم الصحيح للإسلام لا يمكن أن يكون دافعا لأى شكل من أشكال العنف أو الإرهاب أو التطرف.

حول هذه المعانى جاءت كلمة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى الحفل، فقد أكد سيادته أن المنظومة الأخلاقية فى الإسلام تشمل قيم الرحمة والعدل والتسامح حيث جاء القرآن الكريم بمنهج سليم للسلوك البشرى مشيرا إلى أن حفظه وتدبر معانيه يمنح أبناء الأمة عناصر القوة ويقوم سلوكهم.

وأضاف أن الحضارة الإسلامية رسخت على أرض الواقع قيم التسامح فى مواجهة اتهام الإسلام بالتطرف والإرهاب. وأكد أن توحيد الصف العربى الإسلامى هو السبيل للخروج بالأمة من محنتها ويجنبها حالة التشرذم والتراجع والضعف. وأوضح أن العالم الإسلامى أمام متغيرات العصر فى أشد الحاجة إلى وقفة جادة ليستخلص الدروس والعبر من تعاليم الإسلام وحضارته..

قال سيادته:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ صدق الله العظيم

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية

الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يحدد القرآن الكريم فى الآية السالفة الذكر الهدف من الصوم فى الوصول بالإنسان إلى مرتبة التقوى. والتقوى وقاية للإنسان ذات بعدين هامين **أحدهما**: يتمثل فى التخلى عن كل الخطايا والذنوب وتطهير النفس من الشرور والآثام. **وثانيهما**: يتمثل فى الإقبال على كل الخيرات والأعمال الصالحة والسلوك القويم وبذلك تكون النفس مهيأة لاستقامة صلتها بالله وبالناس. وهذا يعنى فى المحصلة النهائية أن الصوم قد كتبه الله على المسلمين لمصلحتهم وخيرهم وسعادتهم فى دنياهم وأخراهم. ولم يكن القصد من الصوم - كما يبدو فى ظاهر الأمر - تعذيب الناس بهذه الفريضة وإلا لما جاء فى القرآن الكريم عقب الآية السابقة قول الله تعالى: **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾**.

وعلى هذا النحو جاءت الشعائر الدينية الأخرى من أجل خير الإنسان وصلاحه وسعادته. فالله غنى عنا وعن عبادتنا. فالصلاة قد كتبها الله على المسلمين لتنهاهم عن الفحشاء والمنكر كما جاء فى قوله تعالى: **﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾**. والزكاة فرضها الله عليهم ليطهر بها نفوسهم من الشح والبخل وليرقق بها قلوبهم نحو إخوانهم من الفقراء والمساكين. فالزكاة تطهير وتزكية للنفوس كما يقول القرآن الكريم: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾**. أما

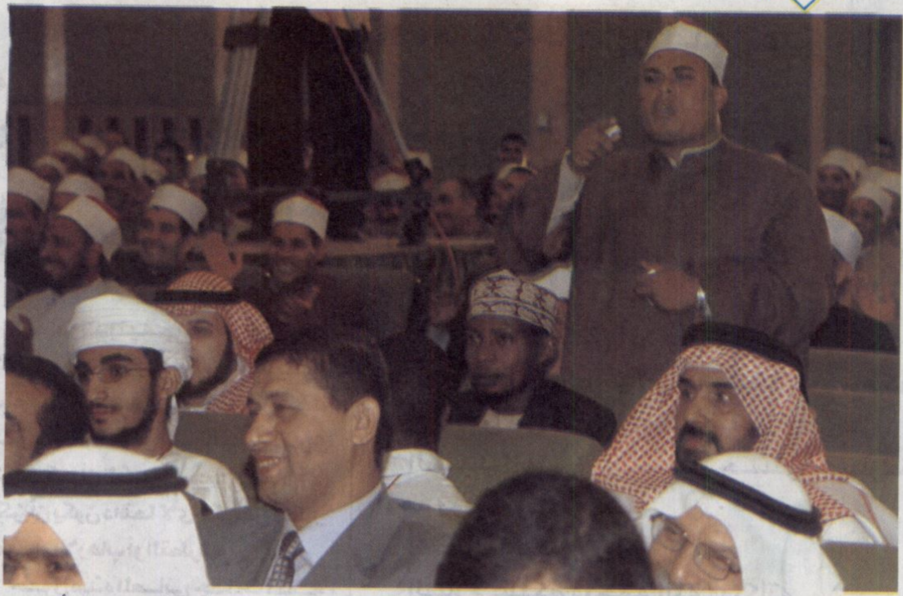

أحد الدعاة نيابة عن زملائه يوجه الشكر للرئيس مبارك على رعايته لحفظة القرآن ورجال الأزهر

الفريضة الرابعة وهى الحج فقد حدد القرآن الهدف منها بقوله: ﴿**ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات**﴾. وهذه المنافع تشمل المنافع الدنيوية والروحية على السواء.

وعندما يلتزم المسلم بأداء هذه الشعائر الدينية بصدق وإخلاص فإنه بذلك يكون قد حقق الأهداف التى أشار إليها القرآن الكريم ومن ثم تستقيم علاقته فى ثلاث دوائر تشمل حياته كلها وأعنى بذلك علاقته بنفسه فيكون هناك توافق بين القول والفعل والظاهر والباطن وبهذا التوافق تتحقق له السعادة النفسية ثم هناك صلة الإنسان بربه التى إذا استقامت وصلحت فإنها تحقق له السعادة الروحية. ولا شك فى أن ذلك كله ينعكس بصورة إيجابية على علاقة الإنسان بالآخرين بدءا بعلاقته بأفراد أسرته وانتهاء بالمجتمع الإنسانى الكبير. الأمر الذى يحقق للإنسان السعادة الاجتماعية. وهذه الدوائر الثلاث محوطة فى تعاليم الإسلام بسياج من الأخلاق القويمة والقيم السامية. ومن هنا ندرك المعنى الحقيقى للحديث النبوى الشريف: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».

السيد الرئيس:

إن الفهم الصحيح للإسلام على هذا النحو لا يمكن أن يكون دافعا لأى شكل من أشكال العنف أو الإرهاب أو التطرف. فالمنظومة الأخلاقية فى الإسلام فى قمتها قيم الرحمة والعدل والتسامح والشعائر الدينية جميعها لن يكون لأدائها أى معنى إذا لم تحقق ذلك كله وإذا لم تنتج الشخصية الأخلاقية الملتزمة.

ومن الأمور التى ينبغى أن تكون ماثلة فى الأذهان وحاضرة فى وعى المسلم إدراك الحكمة من وراء نزول القرآن الكريم فى شهر الصوم المبارك. فإذا كان الصوم من شأنه أن يؤدى بالإنسان إلى التقوى والأعمال الصالحة على النحو المشار إليه فإن الصائم يكون فى حاجة إلى منهج للسلوك البشرى والقرآن يقدم له هذا المنهج. والصائم يكون أكثر استعدادا وتقبلا لهذا

حفظ القرآن وتدبر معانيه يمنح أبناء الأمة عناصر القوة ويقوم سلوكهم ويرسخ قيم الإسلام فى نفوسهم

المنهج والعمل به. ومن هنا ندرك الحكمة من هذا الربط الوثيق بين شهر الصوم وبين القرآن الذى أنزله الله فيه ليكون هدى للمتقين وبشرى للمؤمنين وشفاء لمافى الصدور ورحمة للعالمين.

وهكذا يمثل شهر الصوم فرصة للمؤمنين للتأمل والتفكير وإعادة النظر فى أعمالنا وسلوكنا وعلاقاتنا بكل من حولنا وما حولنا. وقبل كل ذلك وبعده فى علاقتنا بالله سبحانه وتعالى.

السيد الرئيس:

ومن منطلق هذا الارتباط الوثيق بين المنهج القرآنى وشهر الصوم المبارك ومن مسئولية مصر الريادية فى العالم الإسلامى يأتى اهتمامكم الشخصى بوضع المسابقة العالمية لحفظ القرآن الكريم وتجويده وفهمه تحت رعايتكم الكريمة. وها هم الفائزون فى هذه المسابقة العالمية من أبناء العالم الإسلامى الذين سيحظون الليلة بتسلم جوائزهم من سيادتكم عرفانا بتفوقهم وتشجيعا لهم على الفهم السليم للقرآن الكريم والعمل بما جاء فيه ليجعل منهم عناصر قوة لأمتهم الإسلامية دعما لتصحيح المسار وتقويم السلوك وترسيخا لقيم الإسلام فى النفوس وفى مقدمة هذه القيم كل القيم الإيجابية الدافعة إلى تقدم المجتمع والارتقاء بالحياة والأحياء وإرساء دعائم الأمن والسلام والاستقرار فى هذا العالم من أجل خير البشرية جمعاء.

ومن منطلق السير على هذا الدرب فى تأكيد قيم الإسلام السمحة وتعاليمه السامية كان مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى عقد فى نهاية شهر إبريل الماضى تحت عنوان **«التسامح فى الحضارة الإسلامية»**. ويسعدنا الليلة أن نقدم لسيادتكم المجلد الكبير الذى جاء حصيلة لبحوث ووقائع هذا المؤتمر الهام مسجلا فضل الحضارة الإسلامية ليس فقط فى مجرد رفع شعار التسامح وإنما فى تحقيق هذا التسامح على أرض الواقع على نحو غير مسبوق. ونعتقد أننا بذلك نرد بطريقة فعالة على كل من يتهم الإسلام بالتطرف أو التعصب أوالإرهاب.

السيد الرئيس:

إن عالمنا الإسلامى فى هذا الشهر الكريم فى أشد الحاجة إلى وقفةجادة يستخلص فيها الدروس والعبر من تعاليم دينه وتاريخ أمته ومتغيرات عصره وأن يعمل بكل ما يستطيع من قوة على توحيدالصفوف وتكريس الجهود لإخراج العالم الإسلامى من حالة التشرذم التى يعيشها فى هذا العصر الذى لم يعد فيه مكان للضعفاء والكسالى. والعالم الإسلامى بما لديه من إمكانات وما يملكه من ثروات قادر على اجتياز كل العقبات إذا صحت النوايا وصدقت العزائم وتوفرت الإرادة الفاعلة.

والأمل كبير - يا سيادة الرئيس - فيما تبذلونه من جهود خارقة وعمل متواصل من أجل قضايا الأمة العربية والإسلامية والوصول بها إلى بر الأمان وقد أخذتم على عاتقكم أن تجعلوا من مصر نموذجا يحتذى يكون عونا لأمته العربية والإسلامية وسندا قويا لها فى طريق عزتها وكرامتها.

نسأل الله العلى القدير أن يحقق على يديكم الآمال وأن يحفظكم لمصر ولأمتكم العربية والإسلامية وأن يحفظ مصر بكم. والله يرعاكم ويسدد على طريق الحق والخير خطاكم.

وكل عام وأنتم بخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

هدية الأوقاف إلى الرئيس مبارك مجلد «التسامح فى الحضارة الإسلامية»

قدم الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف هدية مصر للعالم الإسلامى لهذا العام وهى مجلد يضم أبحاث ووقائع المؤتمر العام السادس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى عقد فى أبريل الماضى تحت عنوان «التسامح فى الحضارة الإسلامية» باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية الذى تضمنت أوراقه تسجيلا لفضل الحضارة الإسلامية ليس فقط فى مجرد رفع شعار التسامح وإنما فى تحقيق هذا التسامح على أرض الواقع. كما تناولت بحوثه ردود فعالة على الاتهامات والافتراءات التى تتهم الإسلام بأنه دين إرهاب وتعصب وتطرف من خلال ثلاثة محاور رئيسية:

المحور الأول: حول التسامح الإسلامى بين النظرية والتطبيق.

والمحور الثانى: حول الإسلام والآخر فى العلاقات الدولية.

والمحور الثالث: حول التسامح الإسلامى بين الحقيقة والافتراء.

محافظة القليوبية فازت بالمركز الأول فى حفظ القرآن الكريم فى المسابقة المحلية

فازت محافظة القليوبية بالمركز الأول على مستوى الجمهورية فى حفظ القرآن الكريم وانتشار معاهد تحفيظ القرآن، وقد تسلم محافظها المستشار عدلى حسين الجائزة من الرئيس مبارك وقدرها مائة ألف جنيه ودرع وزارة الأوقاف، ويعد هذا التقدير عرفان بدور المحافظة فى الاهتمام بحفظ كتاب الله وتأكيد من الدولة على تشجيع التوسع فى إنشاء وانتشار الكتاتيب فى القرى والمدن لتحفيظ القرآن الكريم وتتويج للجهود المبذولة لإحياء كلام الله وكتابه الكريم.

المكرمون فى مسابقة حفظ القرآن الكريم العالمية والمحلية

الرئيس فى حديث أبوى مع الطفل نافع محمد عبدالمنعم الطالب بالصف السادس الأزهرى

كرم الرئيس محمد حسنى مبارك الفائزين فى المسابقتين العالمية والمحلية للقرآن الكريم حيث سلمهم جوائزهم المالية. وقد شارك فى مسابقة مصر الدولية الثامنة عشرة هذا العام شباب وأطفال تتراوح أعمارهم بين عشر سنوات وثلاثين عاما بلغ عددهم ١١١ متسابقا من ٧٠ دولة.

تضمنت المسابقة التى شارك فى لجان تحكيمها علماء من عدة دول عربية وإسلامية ضمانا لحيدة ونزاهة النتائج تضمنت خمسة فروع:

الأول هو حفظ القرآن الكريم كاملا مع التجويد والترتيل وتفسير الجزء الثانى والعشرين منه من أول سورة الأحزاب وحتى نهاية سورة فاطر.

الرئيس مبارك يسلم الطالب أكبر على أورلو من قرغيستان جائزته

أما الفرع الثانى هو حفظ كامل للقرآن الكريم مع التجويد والترتيل بدون تفسير.

والفرع الثالث حفظ عشرين جزءا من القرآن بشرط أن تكون أجزاؤها متصلة مع التجويد والترتيل.

الفرع الرابع وهو حفظ عشرة أجزاء مع التجويد والترتيل، ثم الفرع الأخير وهو حفظ ستة أجزاء متصلة مع التجويد والترتيل، وبشرط ألا يدخل هذا الفرع فى المسابقة سوى أبناء الدول غير الناطقة باللغة العربية، ومن غير الدارسين بالأزهر الشريف، هذا وقد بلغت جوائز المسابقة عشرة ملايين جنيه.

كما قام الرئيس مبارك بتكريم الفائزين فى المسابقة المحلية للقرآن الكريم التى أجرتها وزارة الأوقاف بين الشباب والأطفال من مختلف الأعمار وبلغ عدد المتقدمين لها حوالى ١٠٠ ألف متسابق من الأطفال والفتيات والشباب وطلبة الكليات العسكرية والشرطة، وقد حصد أبناء مصر الجوائز الأولى فى المسابقة العالمية حيث تصدروا المراكز الأولى فى فروع المسابقة.

أولا: المكرمون فى المسابقة المحلية:

- أحمد عصام عبدالعزيز ـ ٦ سنوات ـ من الإسكندرية وجائزته خمسة آلاف جنيه.
- إسلام عطية إسماعيل ـ ٧ سنوات ـ من كفر الشيخ وجائزته خمسة آلاف جنيه.

المكرمون فى المسابقة العالمية الثانية عشرة للقرآن الكريم

- أحمد عبدالفتاح محمد الحداد من مصر وجائزته ثلاثون ألف جنيه.

آية الدين محمد شورى من إندونيسيا الفائز بالمسابقة العالمية يتسلم جائزته من الرئيس مبارك

● أكبر على أورلو من قرغيستان وجائزته خمسة وعشرون ألف جنيه.

● موسى الكانونى من المملكة العربية السعودية وجائزته عشرون ألف جنيه.

● آيات الله بن محمد شورى من إندونيسيا وجائزته خمسة عشر ألف جنيه.

● محمد عاطف محمد عبدالله من مصر وجائزته خمسة عشر ألف جنيه.

● رضا صبائى استان من إيران وجائزته عشرة آلاف جنيه.

● محمد فريد عفيفى بن عبدالله من ماليزيا وجائزته عشرة آلاف جنيه.

● محمد رسول أزمايش من إيران وجائزته ثمانية آلاف جنيه.

● شميم فيصل أحمد من المالديف وجائزته عشرة آلاف جنيه.

● عبدالرحمن أبو بكر سند من أوغندا وجائزته ثمانية آلاف جنيه.

واللافت للنظر فى هذه المسابقة العالمية أن غالبية المتسابقين فى الدول غير الناطقة بالعربية لا يعرفون حرفا فى اللغة العربية تعلموا وحفظوا القرآن وتلاوته بواسطة شرائط الكاسيت المسجل عليها أصوات المقرئين ومن بينهم الطفل عبدالرحمن أبو بكر (١٠ سنوات) من أوغندا والذى لا ينطق حتى اسمه بالعربية ولكنه يحفظ القرآن بأسلوب خلاب مفعم بالجلال، وهذا إعجاز القرآن الكريم.

وحــــدة العـــــرب

شعر: محمود الطاهر الصافى

شعب العروبة فى الأقطار إخوانُ ... تضمهمْ لُغةٌ فصحى وإيمانُ
تاريخهم واحد فكرا ومعرفةً ... ما فرق الشمل أحداثٌ وأزمان
فشعرهم واحد وزنا وقافيةً ... ونثرهم أدب يجلوه تبيان
كذاك إحساسهم بالكون متحدٌ ... كما توحد ميراث ووجدان
شعب العروبة لم تفرقه محنتهُ ... فإن وحدته طبعٌ وإيقانُ
النور والعلم والتاريخ منبعها ... ونورها فى حياة الكون بُرهانُ
كل النُّبُوَّات فى أنحائها ظهرت ... والأنبياء هم فى الحق إخوانُ
لولاهم لم تكن للناس رابطةٌ ... أعظم بهم رحمة والله رحمان
كم علَّموا عالم الإنسان وحدتَهُ ... فهم هداة على التوحيد عنوانُ
هُمْ رحمةُ الأنفس الحيْرى ومأمنُها ... كما تبدَّتْ لِغَرقى البحر شُطآنُ
هُمْ شموسُ الهُدى بالأفق ساطعةٌ ... شُعاعهم حكَمٌ عُليا وفُرقانُ
تاريخهم كمصابيح الدُّجى لَمعتْ ... تُضىء منها مفاهيم وأذهانُ
كلُّ الحضاراتِ من آثارهم صدرت ... بالغيثِ يُزهرُ بُستانٌ وودْيانُ
هُمْ ذروة البشر العليا وصفوتهم ... والدَّهرُ منْ علمهمْ بالوعىِ مُزْدانُ
حسبُ العروبة فخرا أنها وطنٌ ... فيه تنزَّلَ إنجيلٌ وقُرْآنُ

وسط تضرعات الملايين بتفريج كروب الأمة

ملتقى الفكر الإسلامى خطاب فكرى لأمة اقرأ

الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر وعن يمينه وزير الأوقاف وعن يساره مفتى الديار المصرية فى افتتاح الملتقى

ليت العام كله رمضان لنبقى ضيوفا على الشهر الكريم ننهل من مأدبته ونتعرض لنفحاته ونستضىء بأنواره التى تشع لتعم الكون كله بروحانياته ونفحاته المباركة.

وما ملتقى الفكر الإسلامى إلا مركز إشعاع حضارى يستمد طاقاته من أنوار الشهر الكريم، ليستزيد بها عشاق العلم وطلاب المعرفة ليتواصلوا مع ما يدور على ساحة الأحداث حولهم.

ففى الرحاب الطاهرة لساحة مسجد الإمام الحسين، وفى لقاء مشرق مفعم بنفحات الإيمان، تعطره روحانيات إسلامية، وتشيع بين أرجائه أنوار الهداية والتقوى، افتتح فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر والدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية والدكتور على جمعة مفتى الديار المصرية، ملتقى الفكر الإسلامى بحضور لفيف من الوزراء وسفراء الدول العربية والإسلامية، وحشد هائل من أبناء مصر والعالم الإسلامى اكتظ بهم السرادق الكبير، تسبقهم الرغبة ويحدوهم الأمل فى التزود بنفحات مباركة من نفحات هذا الشهر الكريم.

تابع الملتقى: مصطفى إبراهيم خيان

شهر التهذيب والتأديب

فى كلمته التى ألقاها فى حفل الافتتاح حض شيخ الأزهر المسلمين إلى اغتنام عطايا هذا الشهر الكريم ونفحاته واصفـ إياه بأنه شهر التهذيب والتأديب، فهو شهر التهذيب - كما يقو فضيلته - لأن النفس الإنسانية تكون أصفى ما تكون فى حال الصيام الذى يعيننا على حُسن الصلة بالخالق، ويزداد فيه المر مراقبة لأعماله ومراقبة لله، ويزداد خشية لله طمعا فى ثوابه وقد ساق الرسول ﷺ بشارات متعددة للصائمين الذين يؤدو هذه الفريضة بإخلاص وطهارة قلب وبكل قول أو عمل يرض الله عز وجل.

أما أنه شهر التأديب فلأن الإنسان يشعر فيه بآلا المحتاجين والفقراء، والإنسان لا يعرف عِظم النعمة التى بير يديه إلا حين يفقدها، لذا فإن علينا أن نكون من السباقير بالخيرات، وأن نداوم على مجالس العلم لأنها روضة من رياض الجنة، وكلما أقبل الإنسان على العلم، كلما كان أكثر انتصار لدينه واستجابة لما يرضى الله.

تجديد الصلة بالله

وأكد وزير الأوقاف أن الهدف من الصوم فى الإسلام هـ التقوى لقوله تعالى: ﴿.. **لعلكم تتقون**﴾، فهو لمصلحة الإنسار ومنفعته.

وأضاف الوزير: لو كان الصوم لتعذيب النفس الإنسانية مـ جاء قوله تعالى: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾.

وهو فريضة طيبة للإنسان كى يجدد صلته بالله تعالى ويجدد صلته بالناس، والصوم يتيح للإنسان وقفة مع النفس يعيد فيها حساباته، ويعقد مصالحة مع نفسه حتى لا تدفعه لحالة من انقصام الشخصية.

ويتمثل البعد الاجتماعى للصوم فى تقوية الصلة بالآخرين من بنى البشر لأن الجميع مخلوقون من نفس واحدة.

أما البعد الروحى فيتمثل فى تقوية العلاقة مع الله سبحانه وتعالى؛ فإذا صَحّت هذه الصلات الثلاث كان الإنسان قد عرف طريقه الصحيح إلى ما يسعده فى دينه وفى دنياه وأخراه.

ودعا الدكتور زقزوق المسلمين إلى تجديد الصلات الحميمة مع الأنفس ومع الآخرين، وإلى التمسك بالقرآن الكريم الذى

د. محمد سيد طنطاوى:

أعلى درجات الصفاء الروحى تبلغها النفس الإنسانية عند الصوم

مجالس العلم من رياض الجنة كلما أقبل الإنسان عليها كان ذلك انتصارا لدينه وإرضاء لربه

د. محمود حمدى زقزوق:

الصوم فرصة عظيمة لتجديد الصلة بالله وعقد المصالحة مع النفس

جانب من الجمهور فى إحدى ليالى الملتقى

أنزل فى هذا الشهر المبارك فهو منهج الحياة الذى يحقق به الإنسان الخير لنفسه ولأمته.

مراجعة النفس

أما الدكتور على جمعة - مفتى الديار المصرية - فقد أكد على ضرورة العودة إلى كتاب الله تعالى وتدبر آياته وإلى مراجعة النفس فى هذا الشهر الكريم لنستخلص منه العِبر العظيمة والمعانى الكبار؛ فهو شهر الانتصارات لهذه الأمة مهما حلَّ عليها من مِحَن، ومهما أصابها من ضعف.

د. على جمعة:

بقاء الأمة الإسلامية رغم تكالب قوى الشر عليها يعد انتصارا فى حد ذاته

وقال: إن بقاء هذه الأمة إلى يومنا هذا رغم تكالب قوى الشر والبغى عليها منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم، هو انتصار فى حد ذاته، وعلينا أن نعيد إلى أنفسنا الشعور بالعزة والكرامة، وما أحوجنا فى هذه الأوقات إلى عمل دؤوب ومستمر ليل نهار حتى نحقق تكليف الله لنا على هذه الأرض فى قوله تعالى: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾** آل عمران: آية ١١٠.

الإسلام والبناء الإيمانى للنفس البشرية

د. طه أبو كريشة:

جميع العبادات تشترك فى بناء النفس الإنسانية على نحو من التكامل الإيمانى يُصلح الكون وتصلح معه الحياة

يحرص الإسلام أشد الحرص على بناء النفس الإنسانية بناء سليما قويما على أسس راسخة تجعلها قادرة على القيام بدورها المنوط بها فى هذه الحياة خير قيام، من خلال تزكية هذه النفس وتطهيرها وتنقيتها من نوازع الشر والفساد وتجنبها مواطن الزلل والانحراف وزرع بذور الخير فيها، باتباع منهج ربانى يسمو بهذه النفس ويهدف لتحقيق الخير والفلاح للفرد وللجماعة.

تزكية النفس بالعبادة

للتأكيد على ذلك، يوضح الدكتور طه مصطفى أبو كريشة - نائب رئيس جامعة الأزهر السابق - أن أركان الإسلام الخمسة تحض جميعها على تزكية هذه النفس.

فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وذلك بتزكية النفس بالعبادة تحت رقابة الله، وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾. ثم تأتى الصلاة وهى الركن الثانى لتؤسس هذا البناء الإنسانى فى الأمة التى جمعت بين الذكر والصلاة. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وأقم الصلاة لذكرى﴾ ويقول سبحانه: ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ العنكبوت: آية ٤٥.

والزكاة فيها تزكية للنفس الإنسانية مما يتملكها من الشح والبخل يقول تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾** التوبة: آية ١٠٣، فالزكاة تبنى النفس الإنسانية بناء إيمانيا تجعلها صالحة للحياة فى أمن وطمأنينة وسعادة.

التقوى ثمرة الصيام

أما الصيام - كما يضيف الدكتور طه أبو كريشة - فهو يحمل النفس على التقوى لقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾** البقرة: آية ١٨٣.

فالتقوى هى الثمرة التى نجنيها بتقوية صلتنا بالله وبالناس وبسائر من حولنا.

هذه الدورة الإيمانية التى يدخلها المؤمنون لمدة ثلاثين يوما تخرجهم على هذا النحو من التكامل الإيمانى حين يعبد الإنسان ربه كأنه يراه لا يخل بأى أمر فى صيامه كى ينال الأجر والثواب من الله تعالى، ولذلك كان هذا الشهر هو شهر الصبر الذى هو الطاقة الإيمانية التى تحرك كوامن النفس بتوجيهات إيمانية حكيمة.

البناء الجماعى للنفس

أما الركن الخامس من أركان الإسلام وهو الحج فكما يضيف الدكتور أبو كريشة - فيه بناء جماعة للنفس الإنسانية، حين تجتمع وفود البشر من أجناس مختلفة يؤدون مناسك واحدة فى وقت واحد دليل على توحد هذه الأمة دينيا ونفسيا.

فالحج كله ذكر متجدد لله تعالى وله عظيم الأثر فى تزكية النفس، يقول تعالى: **﴿والذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾** الرعد: آية ٢٨.

فالعبادات جميعا تشترك فى بناء النفس الإنسانية بناء إيمانيا على النحو الذى يصلح الكون وتصلح معه الحياة، ويتوافق الإحسان الإنسانى مع الإحسان الإلهى الذى وجد عليه الكون.

الربط بين التعاليم الدينية والحياة العامة

الدنيا مزرعة الآخرة وعلى الإنسان أن يُعمّر الأرض ليجنى ثواب الآخرة

د. إسماعيل الدفتار:

الإنسان ذلك الكائن العاقل، لم يُخلق عبثا، ولكن ليحقق إرادة الله فيه باستخلافه فى الأرض، وليمارس دوره الطبيعى الذى أراده له الخالق فى عمارة هذه الأرض، من خلال منهج قرآنى يهدى البشرية سواء السبيل وينتشلها مما تردت فيه من مظالم، ويصوب لها مسارها، ويحدد لها معالم الطريق القويم، منهج يدفع الإنسان إلى أن يسلك طريق العمل النافع الذى يعود عليه وعلى البشرية بالخير والبركات، وإذا كانت دعوة للبشرية جمعاء فإن المسلم هو الأجدر بالعمارة وممارسة دوره فى تشييد صرح هذه الأمة لتكون خير أمة أخرجت للناس.

مراجعة النفس

يدعو الدكتور إسماعيل الدفتار - الأستاذ بكلية أصول الدين - المسلم إلى وقفة تأمل مع نفسه يراجع فيها نفسه ويتحسس موقع قدميه ويضيف: إن الإنسان حين خلقه الله جعل له هدفا فى هذه الحياة وهذا الهدف هو عمارة الأرض وفق منهج الله، وما جاء فى الكتاب والسنة يحرص على تذكيرنا بهذا المعنى حتى لا نترك الحياة لغيرنا ولا نغفل عن مهمتنا فى هذه الحياة، والرسول ﷺ يقول: **«ليس خيركم من أضاع دنياه لآخرته، ولا من أضاع آخرته لدنياه»**، والمسلمون يقصدون من إعمار الأرض ثواب الله؛ فالدنيا معبر للآخرة.

رصيد العمل الصالح

ويلخص الدكتور الدفتار المنهج الذى يمكن للمسلم أن يتبعه لكى يكون قادرا على عمارة هذا الكون، من خلال حديث الرسول ﷺ الذى يقول فيه: **لا حسد إلا فى اثنتين، رجل علمه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار فسمعه جاره فيقول ليتنى أوتيت ما أوتى فلان ورجل آتاه الله مالا فينفقه فى الحق، فيقول رجل ليتنى أوتيت ما أوتى فلان فأنفقه فى مثل ما أنفق».**

هاتان الخصلتان - كما يقول الدكتور الدفتار - هما الأساس فى إعمار الحياة الدنيا ليعبر بها إلى الدار الآخرة وليكون لنا رصيد من العمل الصالح عند الله، فالقرآن هو المنهج الصحيح لسلوك الإنسان، والالتزام به يحقق السعادة للإنسان وللآخرين، والقرآن الكريم منهج قويم يضع خطوطا عريضة يحدد له أين يضع خطواته.

عمارة الكون

وحتى يتحقق للإنسان أمر عمارة هذا الكون تطبيقا لأمر الله، فهو فى حاجة إلى المال الذى يعينه على تطبيق هذا المنهج، وليؤتى الزكاة التى هى ركن من أركان الإسلام، والزكاة فريضة على كل قادر يستطيع أن يقدمها ابتغاء مرضاة الله، والقرآن أيضا يأمرنا بإعداد القوة والعدة، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا من خلال العمل الدؤوب.

وهناك العديد من الأحاديث النبوية التى تحض المسلم على العمل النافع مثل نشر العلم، وبناء المساجد، وإنشاء المساكن لإيواء أبناء السبيل، وحفر الآبار وغرس النخيل لتوفير الغذاء للمحتاجين، وذلك كله يحتاج لتحصيل المال من خلال الزراعة والصناعة والتجارة، فالإسلام دين ودنيا يطالبنا بعمارة الدنيا من أجل عمارة الآخرة.

حول مائدة القرآن الكريم

د. عبدالصبور شاهين:

أراد الله للعربية أن تكون لغة القرآن كى تبقى اللسان الخالد إلى يوم الدين

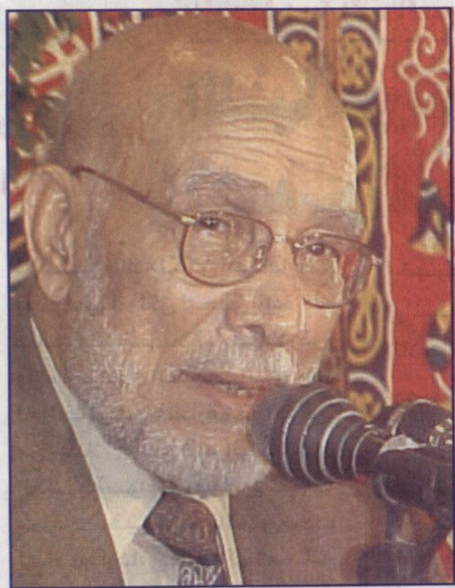

هذا القرآن هو مأدبة الله العظيمة العامرة بما تطيب به القلوب وتلذ به الأنفس وتنشرح الصدور، أنزله الله تعالى لعباده زادا لا ينفد ينهلون منه على درب الحياة الوعر، يعبرونه فى سفر طويل إلى الآخرة لتوفى كل نفس بما كسبت.

وآيات القرآن الكريم نور وبرهان، من التمس منهجه وسار على هداه سلك به سواء السبيل وشرح صدره للإيمان، ومن استمسك به عصمه الله من الوقوع فى الزلات، وألهمه طريق الرشد ليميز بين الخير والشر ويكون له وجاء يوم القيامة.

غيب لا نعلمه

حول المائدة الربانية التى تتوق لها الأنفس والأفئدة كان اللقاء بالدكتور عبدالصبور شاهين ـ الأستاذ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ـ نتزود منها بخير الزاد وأنفعه. حيث يقول: أنزل القرآن الكريم من الملأ الأعلى إلى السماء الدنيا، وهو فى الواقع غيب لا نعلمه ولا ندريه، نزل فى شهر رمضان ليكون هدى للناس ومرشدا لهم إلى طريق الخير، والقرآن يوجه الإنسان الذى أوتى العقل الذى يستطيع أن ينظر به فيما نزل من آيات فهل يستجيب هذا العقل، أم ينطمس ولا يميز بين الهدى والضلال؟ لأن طبيعة القرآن أنه خطاب إلهى نُزِّل من الملأ الأعلى إلى الناس حتى يميزوا بين الخير والشر فيختاروا بين الهدى والضلال وبين الحق والزيف.

استلهام العبر

ودعا الدكتور عبدالصبور شاهين المسلمين أن يدققوا النظر فى قراءة القرآن وألا يمروا عليه مرور الكرام وأن يستلهموا منه العِبر والعظات مؤكدا على ضرورة أن تكون آيات القرآن الكريم نبراسا لنا، ونؤمن بكل ما جاء فيه حقا ويقينا، ونعلم أن فى هذا الكون أمورا يمكن أن نحكم فيها عقولنا وهناك أمور أخرى لا نستطيع إدراكها هى عالم الغيب والشهادة، فمهما بلغ الإنسان من العلم فهو لم يؤت فيه، إلا القليل.

وأوضح الدكتور عبدالصبور شاهين أنه لا يوجد فى آثار البشرية كتاب احتفظ بذاته حروفا وتراكيبا ونطقا سوى القرآن الكريم الذى جاء بلسان عربى مبين، فهو معجزة لغوية قبل أن يكون معجزة بيانية، وإن اختصاص الله للغة العرب لتكون لغة القرآن لكى تبقى العربية اللسان الخالد إلى يوم الدين تحمل رسالة السماء والتوحيد.

طلاب الكليات العسكرية والشرطة فى الاحتفال بانتصار العاشر من رمضان

فى ذكرى العاشر من رمضان

د. محمد سيد طنطاوى:

عندما تتحقق القوة الروحية إلى جانب القوة المادية يكون النصر حليفا للمؤمنين

عاشت الأمة الإسلامية حينا من الدهر شديد الوطأة على الأنفس، اكفهرت لياليه وتلبدت سماؤه بغيوم كثيفة حتى بلغت القلوب الحناجر وظنوا أن لا ملجأ إلا لله.. وفى ظهيرة العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ كانت الأمة بأسرها على موعد مع نصر من الله غاب عنها طويلا، على يد أبطال أفذاذ صدقوا ما عاهدوا الله عليه؛ فانقشع الليل البهيم، وانجلت الغمة وانزاح الكرب، وتحطمت أسطورة ذلك الجيش الذى لايقهر وعبرت الأمة كلها حاجز اليأس والقنوط، ولاتزال هذه المعركة محفورة بالذاكرة لا تغادرها، ينتابنا شوق عميق وحاجة ماسة لروح العاشر من رمضان، تلك المعركة التى رواها أبطال أفذاذ بدمائهم الذكية.

مقومات النصر الربانية

ولاشك أن لهذا النصر المؤزر الذى زلزل كيان العدو كانت له مقومات عظيمة رسم منهجها القرآن الكريم، وكما قال فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر فإن أول مقومات هذا النصر جاءت فى قول الحق تبارك وتعالى: **﴿ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا﴾**، فالثبات من أهم أسباب النصر بما يحمله من شجاعة وقوة إيمانية بالهدف مع شعور الإنسان بأنه فى معركة حياة أو موت، فأبناء مصر لم يخرجوا إلا دفاعا عن عقيدتهم وكرامتهم وديارهم وأرضهم السليبة كذلك ذكر الله التضرع إليه أحد أسباب النصر المبين لقوله تعالى: **﴿واذكروا الله كثيرا﴾** فعندما تتحقق القوة الروحية التى تتمثل فى قوة الصلة بالله، ونتذكر أن الله هو القادر على أن يحول القوة الصغيرة إلى قوة كبيرة، إلى جانب القوة المادية يكون النصر حليفا للمؤمنين.

التقاء القوتين

وأضاف فضيلته: ما أجمل أن تلتقى القوتان الروحية والمادية؛ فالاعتماد على القوة المادية وحدها يصيب بالغرور الذى يؤدى بصاحبه إلى الخسران كذلك الصبر على ما كلفنا الله به هو أحد أسباب النصر، ذلك أن الله يؤيد الصابرين بنصره وعونه ورعايته.

النصر ليس منحة مجانية

وأكد الدكتور محمود حمدى زقزوق ـ وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ على أن الاحتفال بهذا اليوم ليس مجرد تظاهرة تنقضى وتنفض، وإنما علينا أن نستلهم منها الدروس والعبر، فالله تعالى يقول: **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا مابأنفسهم﴾** الرعد: آية ١١.

فالنصر لا يمنح مجانا ولا يعطى للضعفاء والكسالى، وعلى الأمة أن تعمل عملا منتجا للنصر، فالله تعالى لا يساعد إلا القوم الذين يساعدون أنفسهم بالاستعداد الجيد الذى يقودهم إلى طريق النصر.

الاستخلاف فى الأرض

وقال الوزير إن وعد الله للمؤمنين بالاستخلاف فى الأرض غير متحقق اليوم لعدم تحقق الأسباب والمعالم التى حددها الله لنا لتحقيق ذلك، حيث يقول تعالى: **﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾**.

د. محمود حمدى زقزوق:

وعد الله للمؤمنين بالاستخلاف فى الأرض غير متحقق اليوم لعدم تحقق أسبابه

فعمل الصالحات ليس مجرد أداء للفرائض الدينية، ولكنه عمل كل خير يعود على الفرد وعلى المجتمع بالتقدم والرقى، حيث يتسع مفهوم العبادات لكل الأعمال الدنيوية والأخروية على حد سواء.

وأضاف الدكتور زقزوق: وما أحوجنا ونحن نعيش مرحلة البناء والتعمير إلى استلهام هذه الروح، روح العاشر من رمضان؛ فالحياة كلها معارك، بعضها يستخدم السلاح وبعضها يخوض مجالات التقدم فى الصناعة والزراعة والعلم.

التخطيط العلمى

ودعا الدكتور محمد شامة ـ المستشار الثقافى لوزير الأوقاف ـ إلى ضرورة أن يتحلى المسلمون بهذه الروح العظيمة التى سادت أبناء مصر، وأن يقوم عملهم على التخطيط العلمى فى كل مجالات الحياة وفى كل مراكز البحث تحقيقا لقول الحق تبارك وتعالى: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾**، فالجيش بحاجة إلى قوى أخرى تدعم قوته وتضيف إليه وتهيئ له النصر كالقوى الاقتصادية والثقافية والعلمية.

د. محمد عمارة:

مصر كنانة الله قادت الحركات الجهادية وواجهت كل الحملات الشرسة على الإسلام

عاش المصريون ردحا طويلا من الزمان يرزحون تحت أغلال الحكم الرومانى البغيض يسومهم سوء العذاب فى ظل أبشع صور القهر والقمع والمهانة التى عرفتها البشرية حتى بزغت شمس الفتح الإسلامى على أرض الكنانة، ليسترد للإنسان كرامته ويعيد للمقهور حقوقه ويرسى دعائم الأمن وينشر الخير والطمأنينة والسلام بين هذه الربوع.

ومن عجب أن يطلع علينا اليوم من حملة الأقلام المأجورة والفكر الفاسد ليشوه تاريخا ناصع البياض ويطمس حقائق ساطعة كالشمس لا ينكرها إلا جاحد لنعمة أو ناقم على الإسلام.

نبوءة الرسول ﷺ بفتح مصر

المفكر الإسلامى الدكتور محمد عمارة يتصدى لتلك الأكاذيب ليدحضها بالحُجة الدامغة التى لا تقبل الشك أو التأويل، حيث يقول: إن القرآن الكريم قد ذكر لما يزيد على عشرين مرة، وأن الرسول ﷺ قد تنبأ بفتح مصر وأوصى صحابته بها خيرا لأن رجالها ونساءها فى رباط إلى يوم الدين، وقد صدق التاريخ نبوءة الرسول ﷺ، لأن مصر كنانة الله فى أرضه قادت الحركات الجهادية لتحرير أرض الإسلام؛ فقد تصدت لكل المعارك من حملات التتار والصليبيين وحتى الاستعمار الغربى الحديث، كانت مصر هى التى واجهت كل الحملات الشرسة على الإسلام والمسلمين.

ومن الأباطيل التى يرددها البعض قولهم أن عمر بن الخطاب فرض على أهل مصر زيا معينا والحقيقة أنه رضي الله عنه أرسل إلى قادة الجيوش يأمرهم ألا يتزيا أهل البلاد بزى الجيش الفاتح لدواعى أمنية.

مزاعم وأباطيل

ويمضى الدكتور عمارة مفندا الأباطيل قائلا: إن البعض ادعى كذبا أن مئات الألوف من النصارى قد أجبروا على دخول الإسلام والحقيقة أن البلاد المفتوحة فى الشام وبابل والفرس ظلت قرابة قرنين من الزمان، والمسلمون فيها لا يتعدون عشرين بالمائة من السكان، والإسلام هو الذى قهر الفرس والروم، هؤلاء الذين قهروا الشرق سياسيا وحضاريا، والكل يعلم كيف احتلت الكنائس المصرية وكيف كان أهل مصر يُلقَّون إلى السباع لتأكلهم أحياء.

والإسلام حين جاء طبق عمليا مبدأ ﴿**لا إكراه فى الدين**﴾ وحرر الأرض والضمير.

عقاب إلهى للرومان

ودلل الدكتور عمارة على المآثر العظيمة للفتح الإسلامى لمصر بشهادة واحد من أهلها فى كتاب كتبه قسيس معاصر للفتح الإسلامى يدعى يوحنا المقيوس حيث يقول فيه: إن الفتح الإسلامى لمصر إنقاذ للنصرانية فى مصر وهو عقاب إلهى للرومان الذين اضطهدوا النصرانية.

وقال يوحنا المقيوس فى حديثه عن البطريك بنيامين: «لقد دخل مدينة الإسكندرية بعد ثلاث عشرة سنة قضاها هاربا.

واستطرد الدكتور عمارة قائلا: إن الفتح الإسلامى لم يجب شيئا من مال الكنائس ولم يرتكب سلبا أو نهبا وحافظ على كيان الكنائس طوال هذا الوقت. كما أن عمرا بن العاص قد أمن البطرك والكنائس التى كانت تحت يد الاحتلال الرومانى، وردها إلى نصارى مصر يعبدون ربهم فيها دون أن يتخذها المسلمون مساجد.

التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية

د. أسامة الباز:

تصحيح صورة الإسلام ليس قاصراً على علماء الدين بل هى مهمة كل أصحاب الفكر

يبدو أن قدر هذه الأمة أن تواجه من الأنواء والتحديات العاتية ما يفوق أية تحديات يمكن أن تواجهها أمة أخرى.

ذلك أن كل الشواهد والأدلة تؤكد بما لا يدع مجالا للشك، إنها أمة مستهدفة من قبل الآخرين الذين يسعون بكل ما وسعهم الجهد لكبح طموح الأمة ووضع العراقيل والسدود أمام انطلاقها عن طريق التقدم. هذه الأمة تملك من الرصيد الحضارى ومن مفاتيح الحضارة ما يجعلها مؤهلة لقيادة الدنيا بأسرها.

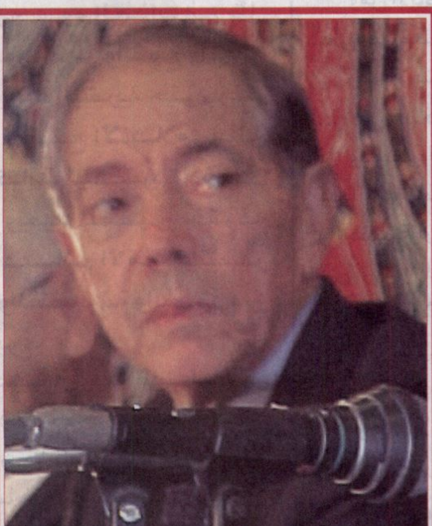

د. أسامة الباز

ولذلك فلم يعد هناك مجال للانتظار حتى تتكالب علينا الأمم فتمزقنا شر ممزق، وقد حان الوقت لندرك أبعاد ما يحاك لنا فى الخفاء ويدور حولنا فى العلانية.

مفاهيم مغلوطة

الدكتور أسامة الباز - المستشار السياسى لرئيس الجمهورية - يحدد أهم التحديات التى تواجه هذه الأمة ومن أهمها: الصورة المشوهة التى يحاول البعض إلصاقها بالإسلام زروا وبهتانا، وقال إن علينا أن نتصدى لهذه الفرية التى سقط فيها البعض بسوء

نية، واستمرأها البعض الآخر، ومنها القول بإن الإسلام دين تشدد وتطرف ولا يعترف بالآخر، ويقوم على الإكراه.

وأوضح الدكتور الباز أن علينا أن نرصد هذه الظاهرة بدقة وأن نضاعف من حجم المعلومات التى تنشر للإسلام الصحيح،. وأن علينا أن نتعرف على حقيقة الدعوة فى مجالات العبادات والمعاملات وأن نعرف أساسيات التعامل بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

تفنيد المزاعم

وتصدى الدكتور الباز فى معرض حديثه عن التحديات التى تواجه العالم الإسلامى، للآثار السلبية التى صاحبت أحداث الحادى عشر من سبتمبر مؤكدا على أن الإسلام لا يعرف الإرهاب ولا يقره، بل إن دعوة الإسلام هى دعوة للسلام، مطالبا بألا يقتصر تفنيد المزاعم - التى ألصقت بالإسلام بعد هذه الأحداث - على علماء الدين فقط وإنما على كل أصحاب الفكر المتوازن.

التعرف على أساسيات التعامل بالقرآن والسُنة أول الطريق نحو الدعوة الإسلامية الصحيحة

وقال إن دخول الولايات المتحدة الأراضى العراقية دون الحصول على قرار من مجلس الأمن كان خطأ كبيرا أدى إلى حدوث حالة من الفوضى العارمة بين صفوف الشعب العراقى خاصة وأن العراق يضم عرقيات متعددة ومتنوعة وبتركيبات مختلفة تجعل من الصعب التعامل معها، وهو الأمر الذى يثير فى عقول البعض مطامع تقسيم العراق وتفكيكه، وبالتالى القضاء على وحدة الأرض ووحدة الشعب؛ ولذلك فإن مصر تسعى لعقد مؤتمر فى شرم الشيخ الشهرالقادم تكون مهمته بحث القضايا الأساسية والأمنية وكيفية ضمان استقلال السلطة وتحويلها إلى الشعب العراقى بالتبكير فى إجراء الانتخابات التشريعية، بحيث تجرى هذه العملية بأكبر قدر من الحرية دون ضغوط من فئة من الفئات وهو الأمر الذى سوف يدعم السلطة العراقية لتكون قادرة على ضبط الوضع الأمنى المتردى فى العراق وحماية مقدرات الشعب العراقى.

وضع مأساوى

أما عن الشأن الفلسطينى فقد وصف مستشار الرئيس الوضع هناك بأنه مأساوى للغاية، حيث تمارس إسرائيل - كما يقول - عمليات بشعة من إبادة وتشريد وتجريف للأراضى، اضافة إلى إقامة الجدار العازل الذى يعوق حركة الشعب الفلسطينى، رغم أن ذلك يعد أمرا غير مشروع وخارج إطار الشرعية الدولية لأنها أراض تخضع للسلطة الفلسطينية.

وأوضح أن خارطة الطريق هى صيغة تطرح على الطرفين دون التفاوض حول بنودها بل هى تشمل قضايا الوضع النهائى لرسم الحدود الفاصلة بقيام دولتين للعيش فى أمان واستقرار، وقال: إسرائيل تحاول أن تبعد الأنظار بالانسحاب من قطاع غزة فقط وتدعى أنها تختبر إرادة الفلسطينيين إذا ما كانوا يريدون العيش فى سلام.

د. مصطفى الفقى:

لا خوف على الإسلام من الحساسيات المصطنعة وعلينا أن نحاور التيار الأغلب الذى يُكن كل احترام للإسلام

مرت العلاقات بين الإسلام والغرب بتناقضات حادة عبر تاريخها الطويل فيما يشبه الموجات الصاعدة والهابطة، ما بين شد وجذب واستقرار وتوتر، وحركة وجمود.

وفى السنوات الأخيرة شهدت هذه العلاقات حالة شديدة من التوتر والتدهور، ساهمت فى تأجيجها عوامل إقليمية ودولية عديدة كان أبرزها أحداث الحادى عشر من سبتمبر التى بلغت درجة التوتر وبعدها الذروة، ولم يعد هناك بد من إعادة شحذ الهمم لطرح المفاهيم الصحيحة للإسلام ومخاطبة العقل الغربى بالمفردات التى يفهمها.

أصوات غربية عادلة

الدكتور مصطفى الفقى - رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشعب - عائد لتوه من جولة أوروبية أمريكية ينقل صورة من قريب لطبيعة هذه العلاقات كما تتراءى له، حيث يرى - من وجهة نظره - أنه لا توجد أسباب دفينة للعداء بين الإسلام والغرب وإن وجدت ففى بعض الحالات الفردية نتيجة للفتوحات الإسلامية - كما يقول - ويضيف أن مئات الألوف من الأصوات العادلة من علماء ومفكرى الغرب الذين درسوا تاريخ الإسلام دراسة عادلة تحدثوا عنه بكل موضوعية وإجلال. والإقبال على قراءة كتاب الله فى السنوات الأخيرة قد حقق إقبالا كبيرا فى محاولة لمعرفة المزيد عن هذا الدين، ولذلك فمن واجبنا تنقية الإسلام من كل دخيل، فحركة الاستشراق تعكس رؤية عدد كبير من الغربيين الذين ارتبطوا بالدراسات الشرقية، وللإسلام فضل كبير على أوروبا فى بلوغها عصر النهضة من خلال تأثير علمائه الأفذاذ الذى أثروا الحضارة الأوروبية فى مختلف فروع العلم.

الاعتزاز بحضارتنا

وشدد الدكتور الفقى على ضرورة التركيز على الجانب الذى يبعث الاعتزاز بحضارتنا وتاريخنا، مع عدم الالتفات إلى العداء التاريخى بين الحضارتين، مؤكدا على أن هناك من يتفهم الإسلام ويدرك الظلم الواقع عليه، ومن ثم فهو يساهم فى إجلاء صورة الإسلام الحقيقية ويدفع الأكاذيب عنه.

الحديث مع تيار الغالبية

وقال رئيس لجنة العلاقات الخارجية: إنه لا خوف من الحساسيات المصطنعة التى تغذى النزاعات، وعلينا أن نتحدث مع التيار الأغلب من الذين يكنون للإسلام كل احترام؛ فالحوار مع الآخر متواصل منذ بداية الدعوة الإسلامية فى عهد الرسول ﷺ، وامتد هذا الحوار بعد ذلك خلال العصور التالية؛ فالإسلام هو الدين صاحب العلاقات الوطيدة مع الآخر وصار عدد من المسلمين فى أوروبا يفوق عدد اليهود، ولقد رأيت بنفسى مدى شغف الأمريكيين الشديد للتعرف على الإسلام عن قرب، فالإسلام أرحب وأوسع وأرحم من كل ما يخالف الإنسانية وحقوق الإنسان.

د. أحمد كمال أبو المجد:

أخطر ما يواجه أمتنا أن تمضى فى طريق مضاد لمنهج الحياة

الحالة المتردية التى بلغتها الأمة الإسلامية إلى حد الهوان على الناس رغم كل ما يحمله هذا الدين القيم من تعاليم سامية ومناهج عمل رفيعة القدر ورغم دعوته العظيمة إلى الجد والاجتهاد واتقان العمل.

هذه الحالة تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن هناك حالة من الانفصام بين العقيدة والسلوك أصابت المسلمين فأوردتهم موارد التخلف والتردى، حتى صار المسلمون يتراجعون ويتقهقرون فى سباق الحضارة ويتقاعسون فى مضمار العلم والتقدم.

حالة من الغيبوبة الحادة أصابت أمتنا حتى صارت كمريض يرفض الدواء

مريض يرفض الدواء

يصف الدكتور أحمد كمال أبو المجد - وزير الإعلام الأسبق ونائب رئيس المجلس القومى لحقوق الإنسان - هذه الحالة بأنها حالة مرضية تشبه حالة المريض الذى ينكر مرضه وبالتالى يرفض تعاطى الدواء، ومن هنا - كما يقول - تتعطل كل مساعى الإصلاح ويتفاقم المرض بصورة أخطر، فالمسلمون فى كل أنحاء العالم فى حالة قاسية من الأسى والإحباط والهم؛ ذلك أنهم فوجئوا بزوال الحجب والستر، بعد أن توانوا وتقاعسوا وتكاسلوا وقالوا نحن رواد الحضارة وقد جعلنا الله خير أمة أخرجت للناس، وإن أخطر ما يمكن أن يواجهنا أن نقف فى طريق مضاد لمنهج الحياة بتعطيل العقل والسير فى طريق مسدود.

غيبوبة حادة

وحذر الدكتور كمال أبو المجد من أن الأمة تعيش حالة حادة من الغيبوبة حبطت معها أعمالها مؤكدا على أن الأمم تتقدم بالعمل والسهر والعلم وأن الأمم تتقارب وتتوحد فيما بينها، على حين يقتتل المسلمون فى حروب أهلية وخلافات لا تبقى ولا تذر.

وأضاف إننا مسئولون بأفعالنا عن تخلف أمتنا فنحن لا يجب أبدا أن نغفل عن منظومة القيم التى تسود المجتمعات، ومنها قيم حافظة للمجتمع توحد نسيجه وقيم دافعة للتقدم، قيم الحركة والعلم والعمل واحترام الوقت والنظام، ورغم أن العمل شرف إلا أن الكثيرين منا يقصرون عن العمل، ثم يقول متسائلا أين هى السلع العربية التى تنافس السلع العالمية؟ ويستطرد قائلا: إن من المآسى أن نستورد كل شىء تقريبا حتى سجادة الصلاة والجلباب وفانوس رمضان.

إن الأمة مطالبة بأن تأخذ بأسباب العلم فى كل مجالات الحياة، فالدنيا من حولنا تتغير وتتطور واحترام العقل وإعماله ضرورة دينية فلا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون.

الشباب وتحديات المستقبل

د. جعفر عبد السلام:

بقاء هذه الأمة مرهون بتمسكنا بالدين وعلينا التصدى لكل محاولات زعزعة العقيدة فى نفوس الشباب

الشباب هم أمل أى أمة لصنع أمجادها، وصياغة مشروعها الحضارى والانطلاق إلى غد أكثر إشراقا بما يملكونه من قوة دفع ذاتية، وأحلام فتية، ونظرة مستقبلية غير محدودة، وجهد خلاق لا يعرف الكلل والأمة الواعية هى التى تحقق الاستثمار الأمثل للشباب من أجل تعمير المستقبل ومواجهة تحديات العصر الحديث التى فرضتها العولمة، فى عالم لم يعد فيه مكان لمتقاعس أو متهاون، وإنما لمن يسعى جادا ليوجد لنفسه مكانا تحت الشمس.

العقل الناقد

فى ظل التحديات التى تواجه شباب أمتنا الإسلامية وتقف عقبة دون انطلاقهم تبرز أهمية تربية الشباب وتنشئته بالصورة التى تحقق له المشاركة الجادة فى صنع مستقبل هذه الأمة.

حول هذه الكيفية تحدث الدكتور جعفر عبد السلام - الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى - مؤكدا على ضرورة الاهتمام بتهيئة البيئة الصالحة للشاب المسلم مع التركيز على الجانب التربوى والثقافى للأطفال ومنها تربية العقل الناقد لدى هؤلاء ليكونوا على علم وبصيرة بما يدور حولهم فكما نقدم لهم زاد البطون فعلينا أن نمدهم بزاد العقول.

التمسك بالثوابت

ودعا الدكتور جعفر عبدالسلام إلى ضرورة اقتحام مشكلات الشباب والغوص فيها فى ظل الظروف الصعبة التى يواجهها هؤلاء الشباب، وقال: إنه مهما كان حجم المحن التى تمر بنا فنحن قادرون بإذن الله على مواجهتها وقهرها والتغلب عليها بالتمسك بقيمنا وثوابتنا الإسلامية الأصيلة فهى سلاحنا لمواجهة تيار العولمة الثقافية الجارف الذى يعد من أكبر التحديات التى تواجه هذه الأمة فى الوقت الحاضر.

حملة شرسة

وندد الدكتور عبدالسلام بالهجمة الشرسة التى يشنها المجتمع الغربى على الإسلام التى يصفنا فيها بأننا نمثل حملة ثلاثية الأبعاد: حملة سكانية باعتبار أن معدل التزايد السكانى لدى المسلمين كبير، وحملة حضارية لأن المسلمين من منظور برنارد لويس، ضد الحضارة الغربية المعاصرة وحملة سياسية تهدف للسيطرة على العالم.

وأضاف: إنه مما يبشر بالخير أن مجتمعاتنا الإسلامية شابة فتية حيث إن شريحة الشباب لدينا تمثل ٧٠٪، على عكس المجتمعات الغربية التى أضحت مجتمعات شائخة.

وقال الأمين العام إن بقاءنا مرهون بالتمسك بقيم هذا الدين وعلينا أن نتصدى لكل الهجمات الشرسة التى تحاول زعزعة العقيدة فى نفوس أبنائنا، كما أن علينا أن نسرع الخطى فى سباق العلم كى ندخل عصر المعلومات بقوة وثبات ولكى نساهم فى صنع الحضارة الإنسانية بما نملكه من موروث حضارى هائل.

د. زغلول النجار:

القرآن الكريم يحوى أكثر من ألف آية من مكنونات الكون التى يعجز البشر عن إدراكها

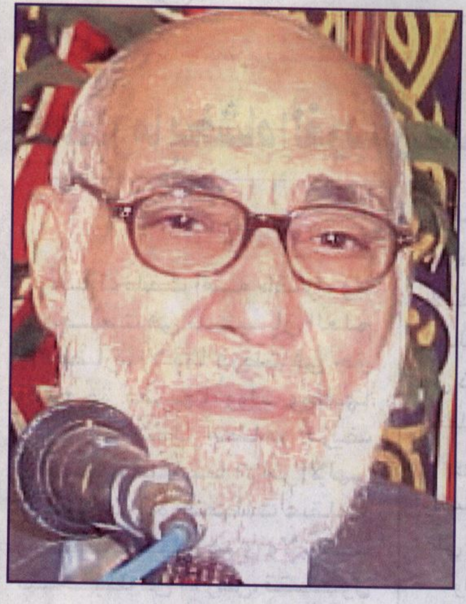

رغم كل مظاهر الرقى التى أصابتها الإنسانية، وما دان لها من حضارة عصرية بلغت حد الإبهار، وما امتلكته من مفاتيح العلم الحديث بما يشبه الإعجاز، حتى ظن الإنسان أنه قادر عليها، إلا أن هذا الإنسان يقف عاجزا أمام معجزة القرآن الكريم بما تحمله آياته من فيض لا ينقطع من المعجزات المتجددة بتجدد الزمان.

لغة الوحى

وحديث المعجزات القرآنية حديث مثير شيق يصحبنا فيه الدكتور زغلول النجار - رئيس لجنة الإعجاز العلمى بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية - حيث يقول: تتجلى عظمة هذا القرآن فى أنه نزل محفوظا تحقيقا للوحى الإلهى **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** الحجر: آية ٩، وإن مجرد حفظ القرآن الكريم بلغة الوحى كلمة كلمة وحرفا حرفا دونما إضافة أو تبديل أو زيادة أو نقصان، هو فى حد ذاته أمر معجز لأن البشرية لم تعرف كتابا نزل دون أن يتعرض للتحريف أو التبديل.

ولما كان محمد هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فقد تعهد الله بحفظ وحيه فى الوقت الذى تعرضت فيه كل كتب الوحى السابقة للتحريف أو التبديل، ومن ثم فعلينا أن نحفظ هذا الكتاب ونعض عليه بالنواجز؛ فهو بيان وهداية للإنسان فى شتى أمور حياته.. فى العقيدة والأخلاق والضوابط والسلوك التى يعجز الإنسان عن وضع قواعد لها.

كتاب مُعجز

ويكمل الدكتور زغلول النجار: إن الله تعالى تفضل على البشرية بمائة وعشرين ألف نبى، واصطفى منهم ثلاثمائة وعشرة من الرسل - كما أخبر بذلك النبى ﷺ ولكننا لا نجد بيننا باقيا من كتبهم بحالته التى أنزل عليها سوى القرآن الكريم الذى تعهد الله بحفظه. وهذا القرآن العظيم يحوى أكثر من ألف آية تتحدث عن الكون وظواهره والمخلوقات، تخبرنا عن مكنونات الكون التى يعجز العقل البشرى عن إدراكها؛ فالله الخالق القادر على كل شىء وعلى البعث الذى ينكره المكابرون وهو الخالق الذى أنزل الآيات الكونية لتبقى خطابا لعقولنا فى كتاب أنزل على النبى الأمى يحمل من حقائق الكون مالم يستطع الإنسان أن يصل إلا إلى القليل من هذه الحقائق منذ بضع سنين مضت، إن تلك الإشارات الكونية التى جاءت فى القرآن الكريم لهى خير دليل على أن هذا القرآن ليس بكلام عقلى نابع من عقل بشرى وإنما هو وحى إلهى.

د. محمد حسن الحفناوى:

أخطر ما يخشاه الغرب أن يُعمِل المسلمون عقولهم ويتقنوا عملهم

ما تخلفت أمة «اقرأ» ولا تراجعت فى سباق العلم والحضارة، إلا بما فرطت فى حق الله وحق نفسها، وولت وجهها بعيدا شطر مظاهر الزيف والتقليد، متناسيا الأمر الإلهى لها بالقراءة، فعطلت عقلها ومضت بغير هدى ولا رشد تتخبط فى الأرض، تتسول لقمتها وتستجدى الأمم. فهل آن لهذه الأمة أن تثوب إلى رشدها وتسترجع مجدها المفقود؟ وكيف يمكنها ذلك؟

استعان الغرب بحضارة العرب فدانت له ريادة العلم والحضارة

حائرون بين الشرق والغرب

هذا التساؤل يجيب عليه الدكتور محمد حسن الحفناوى ـ الأستاذ بطب عين شمس ـ بتساؤل آخر هو لماذا نتوجه إلى دول العالم الغربى والشرقى نستورد منها الغذاء والآلات والمعدات، فى ذات الوقت الذى تملك فيه إفريقيا من الثروات الزراعية ما يجعلها سلة غلال العالم؟!

ويضيف: لقد استعان أبناء الغرب بحضارة العرب وطوروها وأصبحوا هم أصحاب السبق فى المخترعات وهم رواد العلوم على حين تراجعت أمة اقرأ وصارت أمة لا تقرأ.

ولقد خدعنا وخدع شبابنا باللهو والمسلسلات وأغانى الفيديو كليب.

ونجح الآخرون فى إثارة الفرقة بن أبناء العالم الإسلامى وتوالت عليهم المؤامرات وتكالبت عليهم الأمم وحلت بهم الأزمات بسبب بعدهم عن المنهج الربانى الذى يحض على العلم وإعمال العقل.

إعمال العقل

وأوضح الدكتور حسن الحفناوى أن أخطر ما يخشاه الغرب هو أن يُعمِل المسلمون عقولهم ويتقنوا عملهم ـ كما يأمرهم القرآن الكريم ـ فيحققوا طفرة علمية وإنجازات غير مسبوقة، ويستردوا زمام حضارة كانت تسود الدنيا كلها، فنحن فى حاجة إلى إعمال العقل دوما وفى حاجة إلى اليقظة وتدبر ما يدور حولنا وما يخطط ويحاك لنا من أجل أبعادنا عن طريق الإسلام القويم.

تخريب العقول

وطالب الدكتور الحفناوى الشباب باختراق مجالات العمل فى جميع الأنشطة الزراعية والصناعية والاجتماعية وغيرها، مؤكدا على أن جميع الأنبياء كانوا من أصحاب الحرف وعلى الشباب ألا يأنف من العمل الحر لأن العمل كما هو الذى يصنع الأمم.

وحذر من أن هناك عمليات هدم وتخريب لعقول الشباب وتغييب لوعيهم بلغ أشده بترويج المخدرات ونشرها بينهم حتى نجد أنفسنا أمام شباب مختل غير متزن يرتكب أخطر الجرائم تحت تأثير المخدرات.

دروس مستفادة فى الاحتفال بذكرى

غزوة بدر الكبرى

د. محمد سيد طنطاوى:

اقتضت سنة الله أنه تعالى إذا أراد أمرا هيأ له الأسباب لتتحقق به النتائج

كانت غزوة بدر الكبرى نقطة تحول هائلة فى تاريخ الدعوة الإسلامية، وفى انطلاقة دولة الإسلام المباركة إلى مشارق الأرض ومغاربها بما أرسته من مبادئ التشبث بالعقيدة والثبات على المبدأ والتمسك بالحق والطاعة لله وللرسول ﷺ، وبما وضعته من لبنات مباركات فى البناء الإسلامى الشامخ،وما زرعته من ثقة فى نفوس المسلمين، حتى أثمرت كل الانتصارات الباهرة التى سجلها التاريخ بأحرف من نور.

دروس وعِبر

الحديث عن غزوة بدر الكبرى، حديث ذو شجون استهله فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر ـ بقوله: إن للذكريات مكانتها العظيمة فى حياة الأمم، ولذلك فقد وردت فى القرآن الكريم العديد من الآيات الطويلة والمفصلة لتبين أحداث تلك الغزوة الكريمة لنستخلص منها العبر والدروس، لكى يتعظ بها المسلمون ويأخذوا منها ما ينفعهم ويصلح من شأنهم ويجعلهم على صلة قوية وطيبة بالله عز وجل.

وأضاف فضيلته إن سنة الله اقتضت أنه ـ جل شأنه ـ إذا أراد أمرا هيأ له أسبابه فتحققت بها النتائج.

وقد تباينت درجة الروح المعنوية لدى الفريقين فقد بلغت أقصى درجات الضعف لدى المشركين، على حين ارتفعت الروح المعنوية للمسلمين بدرجة غير مسبوقة، كذلك أراد الله للمؤمنين أن تطمئن قلوبهم وتستقر نفوسهم رغم قلة عددهم وعدتهم، فغشاهم النوم حتى يدب فيهم النشاط والقوة حين يستيقظون، كما أنزل سبحانه المطر لتثبت الأرض تحت أقدام المسلمين وهم فى مكان مرتفع، وتصبح الأرض زلقة تحت أقدام المشركين كما قال الله تعالى: **﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾** الأنفال: آية ١١.

الصراع بين الحق والباطل

وأشار الدكتور محمود حمدى زقزوق ـ وزير الأوقاف ـ إلى أنه مهما مضت الأيام

د. محمود حمدى زقزوق:

غزوة بدر لم تكن عدوانا وإنما صراع بين الحق وبين الباطل

د. محمد شامة:

الغزوة كانت التطبيق العملى لمبدأ الشورى فى أسمى صوره

وتعاقبت السنون، فإن الأحداث الفاصلة فى تاريخ الأمم تظل محفورة فى النفوس والوجدان لا يمحوها انقضاء الأيام أو الأعوام.

وقال: إن غزوة بدر لم تكن عدوانا كما يحاول البعض فى العصر الحديث إشاعة ذلك زورا وبهتانا، بل كانت صراعا بين الحق والباطل، كان النصر فيه حليفا لأصحاب الحق، وتلك الحقيقة يجب أن تكون واضحة ومستقرة فى أذهان المسلمين؛ فعندما خرج المسلمون لملاقاة عير قريش نزل قول الحق تعالى: **﴿ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين﴾** الأنفال: آية ٧.

وأضاف إنه إذا كانت الهجرة النبوية هى ميلاد الأمة الإسلامية فإن غزوة بدر هى شهادة نضج وانطلاق للأمة؛ لأنها كانت صراعا بين الحق والباطل.

التخطيط والأخذ بالأسباب

وعن الدروس المستفادة من غزوة بدر أوضح الدكتور زقزوق أنها دروس عديدة وعظيمة ومن أهمها: أن الأساس فى تحقيق النصر هو قوة الإيمان والتمسك بحبل الله المتين، وليست العبرة بالعدد وبالكثرة فقط تحقيقا لقوله تعالى: **﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾** البقرة: آية ٢٤٩، فقد انتصر المسلمون فى بدر وهم قلة وهزموا يوم حنين على كثرتهم.

ومن الدروس الأخرى المستفادة ـ كما يقول الوزير ـ التخطيط السليم والاستعداد الجيد والأخذ بالأسباب، فالنصر فى النهاية محوط بالهدف مؤكدا على ضرورة التفريق بين التوكل على الله، والتواكل الذى هو سلوك غير إسلامى لأنه دعوة للكسل والضعف والخمول والتراجع.

دين العلم

ومن الدروس الرائعة والبليغة التى تنم عن حكمة الرسول ﷺ ـ كما يضيف الوزير ـ أنه ﷺ قد جعل فدية الأسير من المشركين أن يقوم بتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة. وإذا كنا نحتفل بذكرى بدر العظيمة فإن على الأمة الإسلامية أن تأخذ العبرة من هذا الدرس الذى يؤكد على أن العلم والمعرفة من أهم الأسس والمقومات لدين الإسلام حتى يحقق المسلمون المهمة التى كلفهم الله بها بالاستخلاف فى الأرض وتعميرها لقوله تعالى: **﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾** هود: آية ٦١.

استرداد الحقوق

وأكد الدكتور محمد شامة ـ المستشار الثقافى لوزير الأوقاف ـ أن الاحتفال بيوم الفرقان له العديد من الآثار الإيجابية فى نفوس المسلمين ومن أهمها: أن فى سرد أحداث الغزوة تعليما للنشء القيم والمبادئ التى صاحبت الغزوة.

كذلك فإن هناك العديد من العِبر والدروس التى يجب استخلاصها ـ كما يقول ـ ومنها أن هذه الغزوة لم تكن عملية سلب ونهب كما حاول بعض المستشرقين أن يصوروها، لأننا لا يمكن أن ننسى أن المسلمين قد أخرجوا من ديارهم بغير حق وتركوا أموالهم وممتلكاتهم، والعرف والقانون يبيحان لهم أن يستردوا حقوقهم، ولكن الله لم يشأ أن يستولى المسلمون على القافلة، فقد سلك أبو سفيان والمشركون طريقا آخر.

كذلك هناك درس الشورى الذى وضعه الرسول ﷺ حين استشار أصحابه فى أمر الغزوة ولم يستأثر بالأمر وحده.

وبذلك حقق الرسول ﷺ التطبيق العملى لمبدأ الشورى بين المسلمين.

الإمام الأكبر شيخ الأزهر ووزير الأوقاف فى الاحتفال بذكرى فتح مكة

الدروس والعبر فى

فتح مكة

د. محمد سيد طنطاوى:

فتح مكة كان درسا بليغا فى نصرة المظلومين والوفاء بعهود الآخرين

كان فتح مكة إعلاء لكلمة الله فى الأرض وانتصارا لقيم العفو والتسامح والصفح الجميل، ودرسا عمليا فى حقوق الإنسان لم تعرف له البشرية خلال تاريخها الطويل مثيلا من قبل ولا من بعد، حقوق دونها كل شعارات حقوق الإنسان الجوفاء التى يحلو للبعض أن يتشدق بها. إن المرء لا يملك إلا أن يقف إكبارا وإجلالا لهذا النبى الكريم ﷺ الذى أرسى أعظم دعائم حقوق الإنسان والتسامح حين أطلق مقولته الشهيرة فى وجه من آذوه وأخرجوه من أعز بلاد الأرض إلى نفسه، قائلا: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

د. محمود حمدى زقزوق:
أعظم دروس التسامح قدمها محمد ﷺ للإنسانية جمعاء فكانت منهجا لكل تابعيه

نظرة المظلوم

دروس كثيرة وعظيمة حفل بها فتح مكة تمثل زادا روحيا وأخلاقيا للمسلمين جيلا بعد جيل، ويستلهمون منها العبر والقيم والمثل الرفيعة.

من أهم هذه الدروس كما يؤكد فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر - درس الوفاء بالعهود، فقد كان فتح مكة من أجل نصرة المظلومين من بنى خزاعة الذين كانوا فى حلف مع المسلمين، فى مواجهة قبيلة بنى بكر التى كانت فى حلف مع قريش بعد أن نكص بنو بكر بالعهود وقتلوا عددا من بنى خزاعة بمساعدة مشركى قريش، فما كان من النبى ﷺ إلا أعد جيشا عظيما تحرك من أجل نصرة المستضعفين الذين غدر بهم هؤلاء المشركون.

الخير يشفع لأهله

من الدروس الأخرى - كما يضيف شيخ الأزهر - أن أصحاب الماضى المُشَرِّف الحافل بالخيرات إذا ما أخطأوا فإن ماضيهم الحافل بأعمال البر والخير يشفع لهم، ومن هؤلاء حاطب بن أبى بلتعة الذى أسَرَّ إلى قريش بما ينوى الرسول أن يفعله، لكنه ﷺ عفا عنه فقد كان كما قال الرسول ﷺ ممن شهدوا بدرا.

كذلك من الدروس العظيمة الأخرى، ذلك المثل العظيم فى قوة الإيمان الذى ضربته لنا أم حبيبة ابنة أبى سفيان الذى أراد أن يخلد للراحة على فراش متواضع للنبى ﷺ حين جاء أبو سفيان يستعطفه، فما كان من أم حبيبة إلا أن سحبت الفراش من تحت أبيها، رافضة أن يجلس أبوها المشرك على فراش الرسول ﷺ وما ذلك إلا ثمرة الإيمان عندما يستقر فى القلوب، فإنه يفوق طاعة الوالدين مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله﴾ المجادلة: آية ٢٢.

دروس فى التسامح

دروس أخرى بليغة تسمو بالنفس وترتقى بالإنسان وبالمجتمع يوضحها الدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف - ومنها - كما يقول - إنه مهما طال الزمن بالباطل فلابد للحق أن ينتصر.

كما ضرب الرسول ﷺ كذلك أروع الأمثلة فى التسامح فقد كان بمقدوره أن يحاسب أهل مكة على كل ما فعلوه به من طرد وإيذاء، لكنه ﷺ آثر العفو فدخل الكثير منهم فى رحاب الإسلام، وذلك درس لا مثيل له فى التسامح.

مزاعم باطلة

وهذا الدرس العظيم فى التسامح - كما يضيف وزير الأوقاف - يدحض مزاعم الآخرين الذين يحلو لهم أن يصفوا الإسلام بالإرهاب، رغم علمهم بأن التسامح كان منهجا إسلاميا عبر التاريخ الطويل للإسلام، ومنه كان النموذج العملى فى التسامح الذى أعطاه صلاح الدين الأيوبى للإنسانية، ولايزال صداه يتردد فى التاريخ، حين رفض القائد المسلم المنتصر أن يفعل بالصليبيين مثل ما فعلوه بالمسلمين من مذابح راح ضحيتها ما يربو على سبعين ألفا من المسلمين.

ذلك النموذج يعرفه الغرب معرفة تامة، لذا يعرف صلاح الدين لديهم بالفروسية والنبل.

الناس سواسية

وأكد الدكتور زقزوق على ضرورة أن يشعر كل فرد بالآخر مهما كانت العلاقة التى تربطه به، ولا يجب أن يكون هذا الشعور قاصرا على علاقات الأبوة أو القرابة أو النسب، وإنما يجب أن يمتد هذا الشعور إلى كل أفراد المجتمع، فالناس جميعا سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى، كما أخبر بذلك الرسول الكريم ﷺ.

الوحدة والتوحيد أساس بناء الحضارة الإسلامية

د/ عبدالحليم عويس

• تثور فى كثير من بلاد المسلمين نعرات عنصرية، تحاول تهميش الأخوة الإسلامية، وتذويب التلاحم الجنسى الذى صهره الإسلام فى بوتقة «الأخوة»، وفتح به العالم من خلال كل الأجناس الإسلامية صانعة الحضارة الإسلامية، عربية أو تركية، أو كردية أو بربرية!!

- وفى بلاد الشمال الإفريقى - والأندلس سابقا - وجدت - ومازالت - محاولات استدمارية للإيقاع بين عنصرى العرب والبربر اللذين يرجعان فى الحقيقة إلى أصل عربى واحد، وقد التحما معا فى فتح الأندلس ونشر الإسلام فى العالم.

نموذج التلاحم بين العرب والبربر

ومن البديهى أن العنصر البربرى بكل خلفيته الثقافية - يمثل واحدا من أبرز المكونات الثقافية للمغرب العربى الإسلامى، ومن العبث - بل من الأنانية القومية - إنكار دوره الحضارى الأساسى عبر عدد متطاول من القرون!!

- على أنه لاى مكن - مع وجود هذا العنصر - إهمال المكونات الثقافية العربية التى استقرت على امتداد المغرب منذ الفتح الإسلامى - ولاسيما تأثير الدولتين الكبيرتين: بنى رستم فى تيهارت، والفاطميين فى المهدية(١)، وهما دولتان قامتا على التوحيد بين البربر والعرب فى سياق واحد!!

- وهذا لا يعنى إهمال شأن الجهد الذى بذله البربر أنفسهم فى تعلم العربية وعلوم الإسلام، حتى أننا لنجد القرن الرابع الهجرى لم يكد يبزغ حتى صار كثير من «البرابرة» يزاحمون العرب فى علوم لغة «الضاد»، وأصبح علماء البربر يناظرون فقهاء العرب فى القواعد الأصولية والفروع الفقهية وقضايا علم الكلام(٢).

- لقد استطاع الطابع العربى - أن يغلب على الثقافة منذ مطلع القرن الرابع الهجرى، وقد ساعد على ذلك أن الثقافة العربية جزء من الإسلام الذى هو عقيدة الأمة، وأن تاريخ الأمة منذ ثلاثة قرون هو تاريخ هذه الثقافة، وأن المغرب العربى محاط من كل أطرافه بثقافات عربية، سواء من ناحية الشمال حيث (الأندلس الإسلامية) أو من الشرق حيث منابع الثقافة الإسلامية.. مما يجعلنا نطمئن إلى القول بأن الثقافة العربية الإسلامية قد نجحت فى أن تكون الثقافة «الأم» والأولى.. منذ القرن الرابع الهجرى، ونجحت فى أن تكون مناط عناية الدول البربرية - على اختلاف منازعها واتجاهاتها السياسية الرسمية.

ولقد حظيت العربية باحترام البربر - أيما احترام - على وجه

العموم، وقد اعتبروها لسان الأدب ولغة العلم وعنوان الثقافة، فانبلج - بالتالى - فى القرنين الخامس والسادس الهجريين - «عصر جديد أصبحت فيه اللغة العربية - ربة المنزل، وصاحبة الأمر والنهى على القرائح والعقول»(٣).

- وعند منتصف القرن الخامس الهجرى حدث ماهو معروف من زحف القبائل العربية على المغرب العربى..

ومهما يكن من الآثار السلبية التى خلفتها هذه القبائل فى الحياة السياسية والاقتصادية والعمرانية (بخاصة فى المغرب العربى - فإنها كانت من الناحية الثقافية أكبر العوامل المؤثرة فى تعريب الثقافة المغربية.. فقد أثرت لغة التخاطب لقبائل بنى هلال وبنى سليم فى اللسان البربرى، الذى كان طاغيا على اللسان العربى فى الأرياف.. وفى المدن أيضا.. وسارت عملية الاستعراب تبعا لعملية المزج والاحتكاك فى الحياة العملية اليومية.

وقد برز بهذا المظهر الحضارى دور جديد فى الآداب المغربية يسميه أحد المؤرخين المعاصرين (بالدور المدرسىّ) وهو دور تم وضع حجره الأساسى فى القرن الخامس الهجرى، وقد ظل هذا الاتجاه يختمر فى القرن السادس للهجرة.. وهو دور يمتاز بأنه آخر الأدوار المدرسية الأخرى - التى اختمرت فى الذهنية المغربية - ولهذا فقد جاء «خلاصة للأدب العربى وزبدة للعقول»(٤).

ويبدو أنه بعد هذا الدور بدأت (الجزائر) تدخل فى عداد الدول المعربة فعلا.. وقد سبقتها بقليل من السنوات (تونس)، أما المغرب الأقصى.. فقد تأخر عنهما تأخرا نسبيا يمثل خلافا فى الدرجة - لا فى المظهر الحضارى العام!!

● ومن عناصر التكوين الثقافى التى لا يمكن تجاهل تأثيرها فى هذا الطور - زحف مذهب «مالك بن أنس» بدءا من التأثير الذى أحدثته «مدرسة القيروان» التونسية.. ومرورا بالقسم الغربى فى العالم الإسلامى كله، وهو القسم الذى انتظم فيه الأندلس وبلدان المغرب العربى - وعبورا إلى القارة الإفريقية.. حيث لايزال مذهب مالك هو المذهب الغالب فى هذه البلاد(٥).

حظيت العربية باحترام البربر واعتبروها لسان الأدب ولغة العلم وعنوان الثقافة

● والجدير بالذكر أن احتكاك المغرب بالأندلس وهجرة بعض الأندلسيين والأفارقة والصقليين وغيرهم إليه، وإسهام هؤلاء فى الحركة الثقافية المغربية.. بما حملوه من علوم وآداب(٦).

كل هذه العناصر - وربما غيرها - قد كونت الملامح الأساسية للشخصية الثقافية المغربية.. وساعدت على إبرازها فى صورة حضارية خاصة ذات إطار خاص، كما أن هذه العناصر - فى الوقت نفسه - قد ساعدت على رقى الثقافة المغربية وازدهارها عامة(٧).

● وقد انتشرت فى هذا العصر ظاهرة التنافس الثقافى، وكان السباق قائما بين بلدان المشرق والمغرب والأندلس وعواصمها المختلفة..

المهدية وبجاية وفاس، وتلمسان، وسبتة، وبلرم، وبغداد، والقاهرة، والمدينة المنورة، ومكة.. وغيرها.

ـ وقد برزت كل مدينة من هذه المدن بلون خاص من العلوم أو الآداب غلب عليها، واشتهرت به.

ـ فالمهدية عاصمة البحوث الكيماوية، وصقلية عاصمة الترجمة والنقل للعلوم العربية إلى اللاتينية، وبجاية عاصمة الرياضيات، (ومن بجاية الجزائرية هذه أخذ الأوروبيون الأرقام العربية والجبر والمقابلة وهندسة أوقليدس) وهكذا الأمر فى كل عاصمة إسلامية عربية.

ـ وقد ساعد على هذا التنافس وعطائه الحضارى، ما كان يلتزم به الحكام من رعاية للملتصقين بهم من العلماء والأدباء والشعراء..

ـ وعلى سبيل المثال.. فإن حكام المغرب الأوسط (الجزائر) خلال القرن الخامس والسادس للهجرة، كانوا يرعون العلماء والشعراء، ويغرونهم بالقدوم عليهم، ويجودون عليهم بالعطاء جودا حاتميا.. وكان أبرز حكام الجزائر على الإطلاق خلال القرن الخامس الهجرى «الناصر بن علناس الحمادى» أطول الملوك باعا فى هذا المضمار، فقد كان يؤمه الأدباء، ويقصده الشعراء، فيغدق صلاته عليهم(٨).

وكان الأمير (المنصور بن الناصر بن علناس) الذى خلف أباه الناصر على حكم الجزائر.. يكتب ويقول الشعر(٩)، ويشجع الأدباء والشعراء.

وكانت حركة الانتقال المتاحة بين العواصم الإسلامية (دون جوازات سفر أو تأشيرات دخول وخروج!!) كانت هذه الحركة الانتقالية التى غلب عليها طابع البعثات والرحلات العلمية ـ من أبرز العوامل فى إذكاء روح النشاط الثقافى.

الوحدة الحضارية صهرت المغرب العربى فى بوتقتها وجعلت انتماءه للحضارة الإسلامية انتماء وجود وكيان ومصير

ـ وهى ظاهرة عامة فى العالم الإسلامى كله خلال هذه العصور بدرجات متفاوتة بين شعوب وحكومات هذا العالم، ولربما كانت هذه الظاهرة أقوى فى عالمى المغرب والأندلس عنها فى المشرق، نظرا لشعور أبناء المشرق بأنهم المصدر والأصل الذى يجب أن تشد إليه الرحال ويسعى إليه.. وأيضا لشعور المغاربة بمكانة إخوانهم (المشارقة) ـ أهل الرسالة والرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى الحضارة الإسلامية.

لقد كانت حدود الأقاليم غير ذات أهمية.. وهى لم تمثل حاجزا أو فاصلا بين العلماء والأدباء والكتاب والشعراء(١٠)، بل كانت الأفكار فى العالم الإسلامى متصلة كما تعكس تقاربا ثقافيا يعتبر خصيصة كبرى من خصائص الحضارة الإسلامية فى عصور الازدهار.

● وفى الموسوعات العلمية الكبرى لهذه القرون تأكيد واضح لبروز هذه الظاهرة ودورها الإيجابى فى خلق وحدة فكرية فى العالم الإسلامى كله «فابن بسام» يفرد القسم الرابع من موسوعته (الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة) (القسم الرابع

من المجلد الأول) - لمن هاجر إلى الجزيرة «أى الأندلس» من الآفاق وطرأ عليها من شعراء الشام والعراق ويشتمل هذا القسم على تراجم لهؤلاء الرحالة الشعراء فى القرن الخامس الهجرى، وحتى وفاة ابن بسام سنة ٥٤٢هـ قريبا من منتصف القرن السادس الهجرى.

- والمقرى صاحب موسوعة (نفح الطيب) يورد لنا نحوا من مائتين وخمسين ترجمة لمن رحلوا عن الأندلس إلى المشرق من العلماء والأدباء والفقهاء ويورد لنا - أيضا - قريبا من خمس وسبعين ترجمة لمن رحلوا من المشرق إلى الأندلس.

- وفى كتاب الصلة لأبى القاسم خلف بن عبدالملك الشهير (بابن بشكوال) المتوفى سنة (٥٧٨هـ) نلحظ الظاهرة نفسها فأغلبية المترجم لهم رحلوا إلى المشرق، وكثير من المشارقة زاروا الأندلس، وقد ألحقهم ابن بشكوال بقائمته التى أطلق عليها اسم «الغرباء»!!

- وفى التكملة لابن الأبار، وفى «وفيات الأعيان» لابن خلكان، و«فوات الوفيات» للصفدى، وفى «جذوة المقتبس» للحميدى، وفى غيرها من المصادر - نستطيع التأكد من هذه الظاهرة على نحو واضح.

- ويذكر «ناصر خسرو» أنه رأى سنة (٤٤١هـ) - ١٠٤٩م، وهو بمصر - بعثة للبحث عن الآثار الفرعونية (جماعات من المطالبين) - قادته من الشام والمغرب(١٢).

- كما أن المشاهير كانوا يتبوأون مركزهم الثقافى على امتداد العالم الإسلامى كله.. و«ناصر خسرو» يذكر لنا أن أفاضل الشام والمغرب والعراق - يقرون بأن «أبا العلاء المعرى» أديب عصرهم بلا منازع(١٣).

وحين يورد لنا «المقرى التلمسانى» حياة الأزدى الحميدى صاحب «جذوة المقتبس» - المذكور آنفا - يخيل إلينا أننا أمام مواطن عالمى من نوع غريب، فقد عاش وطلب العلم فى كل من الأندلس، ومصر، ودمشق، ومكة المكرمة وواسط وبغداد، وغيرها(١٤)!!

● فنحن - بإيجاز شديد - أمام ظاهرة يمكن أن نسميها (بالوحدة الحضارية) حتى وإن كان ثمة تفكك سياسى منتشر.

وهذه الوحدة الحضارية صهرت المغرب العربى فى بوتقتها ولم تلبث أن جعلت انتماءه للحضارة الإسلامية انتماء وجود وكيان ومصير.

***

● وفى ضوء هذا الذى ذكرناه - بإيجاز - تبدو محاولات الفصل بين العرب والبربر - وهى كذلك بين كل الأجناس الإسلامية فى الحقيقة - عملية فصل بين أجزاء جسد واحد، وحضارة إسلامية تقوم فى بنيتها الأساسية على الوحدة والتوحيد.

الهوامش:

١ - انظر كتاب الجزائر لمحمد توفيق المدنى ص٧٨، ٦٩ - والمغرب العربى لرابح بونار ص٢١٦ - نشر الجزائر.

٢ - انظر تاريخ الحضارة المغربية لعبدالعزيز بن عبدالله. طبع دار السلمى بالدار البيضاء ص٢٢ ج٢.

٣ - انظر بلاغة العرب فى الجزائر للأستاذ عثمان الكعاك ص٢٩، نشر الجزائر.

٤ - بلاغة العرب فى الجزائر ص٢٩، وانظر كتاب الجزائر لتوفيق المدنى ص٧٩.

٥ - الإسلام والثقافة العربية فى إفريقيا للدكتور حسن محمود جـ١ ص١٦٨، نشر مصر.

٦ - المغرب العربى لرابح بونار ص٢٨٣.

٧ - مراكز الثقافة للكعاك ص١٦.

٨ - أعمال الإعلام للسان الدين بن الخطيب (الجزء الثالث) بتحقيق أحمد مختار العبادى ص٩٦، وانظر كتالوج بجاية ص٥٨.

٩ - أعمال الإعلام ٣/٩٧.

١٠ - انظر العربية ليوهان فك ص١٦٨.

١١ - انظر بلاغة العرب للكعاك ص٣١.

١٢ - «سفر نامه» لناصر خسرو ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ص٦٩.

١٣ - سفرنامه ص١١.

١٤ - نفح الطيب للمقرى ٢/٣١٤ بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبدالحميد.

القرآن الكريم وعلومه

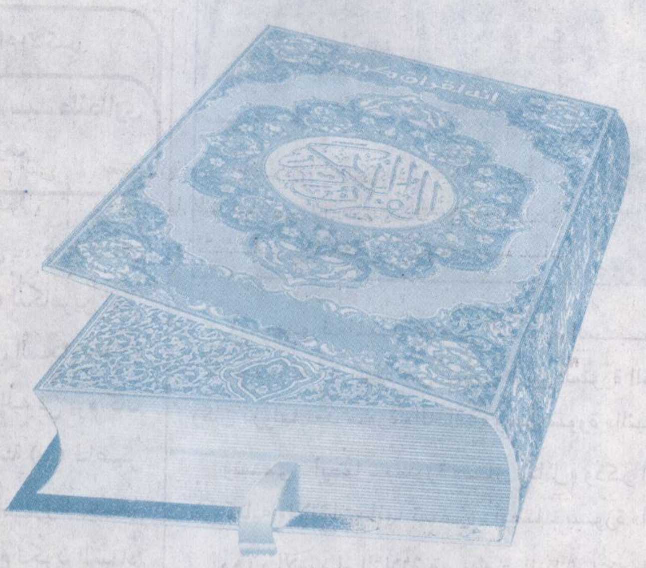

- تفسير سورة «المعارج»
- دراسات فى المكتبة القرآنية: التبيان فى آداب حملة القرآن (للإمام النووى)
- التفسير الموضوعى وحاجة عصرنا إليه
- دور قراء القرآن الكريم والمبتهلين فى الحفاظ على اللغة العربية

نظرات فى كتاب الله تعالى

تفسير سورة «المعارج»

لفضيلة الإمام الأكبر

الأستاذ الدكتور / **محمد سيد طنطاوى**
شيخ الأزهر

قال الله - تعالى - : ﴿ سَأَلَ
سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ
لَهُ دَافِعٌ (٢) مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣)
تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ
مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ
صَبْرًا جَمِيلاً (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا
(٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ
كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ
(٩) وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠)
يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ
عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ
(١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي
الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلاَّ إِنَّهَا
لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ (١٦) تَدْعُو مَنْ
أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ (١٨) ﴾

الآيات: ١ - ١٨

١ - سورة «المعارج» هى السورة السبعون فى ترتيب المصحف، أما ترتيبها فى النزول فهى السورة الثامنة والسبعون، وكان نزولها بعد سورة «الحاقة» وقبل سورة «النبأ».

وتسمى - أيضا - بسورة «سأل سائل» وذكر الإمام السيوطى فى كتابه «الإتقان» أنها تسمى - أيضا - بسورة «الواقع».

وهذه الأسماء الثلاثة قد وردت ألفاظها فى السورة الكريمة، قال - تعالى -: **﴿سأل سائل بعذاب واقع* للكافرين ليس له دافع* من الله ذى المعارج﴾**.

وهى من السور المكية الخالصة، وعدد آياتها: أربع وأربعون آية فى عامة المصاحف.

٢ - والسورة الكريمة نراها فى مطلعها تقص علينا جانبا من استهزاء المشركين بما أخبرهم به النبى ﷺ من بعث وثواب وعقاب، وترد عليهم بما يخرس ألسنتهم، حيث تؤكد أن يوم القيامة حق وواقع. ثم تنتقل السورة الكريمة بعد ذلك إلى تصوير طبيعة الإنسان، وتمدح المحافظين على صلاتهم، وعلى أداء حقوق الله - تعالى - فى أموالهم، كما تمدح الذين يؤمنون

بأن البعث حق، ويستعدون لهذا اليوم بالإيمان والعمل الصالح.

ثم أخذت السورة الكريمة فى أواخرها فى تسلية الرسول ﷺ وفى توبيخ الكافرين على مسالكهم الخبيثة بإزاء الدعوة الإسلامية، وفى بيان أن يوم القيامة الذى يكذبون به آت لا ريب فيه. والمتدبر لهذه السورة الكريمة، يرى على رأس القضايا التى اهتمت بالحديث عنها: التذكير باليوم الآخر، وبأهواله وشدائده، وببيان ما فيه من حساب وجزاء، وثواب وعقاب.

كما يراها تهتم بالحديث عن النفس الإنسانية فى حال عسرها ويسرها، وصحتها ومرضها، وأملها ويأسها، واستثناء المؤمنين الصادقين من كل صفة لا تليق، والثناء عليهم بكل ألوان التكريم والتفضيل.

٣ ـ وقوله ـ تعالى ـ: **﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾**: بيان لما كان المشركون يتساءلون عنه، وقد قص علينا القرآن الكريم أن مشركى قريش كانوا يسألون النبى ﷺ على سبيل التهكم والاستهزاء، عن موعد العذاب الذى كان يتوعدهم به ﷺ إذا ما استمروا على جحودهم للحق، وكانوا يتعجلون وقوعه. قال ـ تعالى ـ: **﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾**.

وقال سبحانه: **﴿ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده﴾**.

وعلى هذا يكون السؤال على حقيقته وأن المقصود به الاستهزاء بالنبى ﷺ وبالمؤمنين.

ومن المفسرين من يرى أن سأل هنا بمعنى دعا، أى: دعا داع على نفسه بعذاب واقع.

قال الإمام الألوسى ـ رحمه الله ـ: **﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾** أى: دعا داع به. فالسؤال بمعنى الدعاء.

والمراد: استدعاء العذاب وطلبه..

والسائل: هو النضر بن الحارث، حيث قال إنكارا واستهزاء: **«اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم»**.

وعلى أية حال فسؤالهم عن العذاب، يتضمن معنى الإنكار والتهكم، كما يتضمن معنى الاستعجال.

ومن بلاغة القرآن الكريم: تعدية هذا الفعل هنا بالباء، ليصلح لمعنى الاستفهام الإنكارى، ولمعنى الدعاء والاستعجال.

والمعنى: سأل سائل النبى ﷺ سؤال تهكم عن العذاب الذى توعد به الكافرين، إذا ما استمروا على كفرهم، وتعجله فى وقوعه، بل أضاف إلى ذلك - لتجاوزه الحد فى عناده وطغيانه - أن قال: **«اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم»**.

وقال - سبحانه -: **﴿بعذاب واقع﴾** ولم يقل بعذاب سيقع، للإشارة إلى تحقق وقوع هذا العذاب فى الدنيا والآخرة.

أما فى الدنيا فمن هؤلاء السائلين من قتل فى غزوة بدر وهو النضر بن الحارث، وأبو جهل، وغيرهما.

وأما فى الآخرة فالعذاب النازل بهم أشد وأبقى.

٤ - ثم وصف - سبحانه - العذاب بصفات أخرى سوى الوقوع فقال: **﴿للكافرين ليس له دافع* من الله ذى المعارج﴾**، واللام فى قوله - سبحانه - **«للكافرين»** بمعنى على، أو، للتعليل.

أى: سأل سائل عن عذاب واقع على الكافرين، وهذا العذاب ليس له دافع يدفعه عنهم، لأنه واقع من الله - تعالى - **﴿ذى المعارج﴾**.

والمعارج: جمع معرج وهو المصعد الذى يصعد منه الإنسان من مكان إلى مكان أعلى منه، ومنه قوله سبحانه:. **﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾** الزخرف: آية ٣٣.

وقد ذكر المفسرون فى المقصود بالمعارج هنا وجوها منها: أن المقصود بها السماوات. فعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال: **﴿من الله ذى المعارج﴾. أى:** هذا العذاب على الكافرين كائن من الله - تعالى - صاحب السماوات، وسماها معارج لأن الملائكة يعرجون فيها - أى: يصعدون فيها من سماء إلى أخرى.

ومنها: أن المقصود بالمعارج هنا: النعم التى أنعم الله بها على عباده، فعن قتادة أنه قال: **﴿من الله ذى المعارج﴾** أى: ذى الفواضل والنعم، وذلك لأن لأياديه ووجوب إنفاقه مراتب، وهى تصل إلى الناس على درجات مختلفة.

ومنها: أن المقصود بها الدرجات التى يعطيها لأوليائه فى الجنة.

وفى وصفه - سبحانه - لذاته بذى المعارج! استحضار لصورة عظمة جلاله، وإشعار بكثرة مراتب القرب من رضاه ومن ثوابه، فإن المعارج من خصائص منازل العظماء.

فأنت ترى أن الله - تعالى - قد وصف هذا العذاب الواقع على الكافرين، بجملة من الصفات، لتكون ردا فيه ما فيه من التهديد والوعيد للجاحدين الذين استهزءوا به وأنكروه.

٥ - والمقصود بالروح فى قوله - سبحانه -: **﴿تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾**: جبريل عليه السلام، وأفرد بالذكر لتمييزه وفضله، فهو من باب عطف الخاص على العام.

والضمير فى «إليه» يعود إلى الله - تعالى -. أى: تصعد الملائكة وجبريل عليه السلام معهم إليه - تعالى -.

ومذهب السلف أن هذا التعبير وأمثاله من المتشابه الذى استأثر - سبحانه - بعلمه، مع تنزيهه - عز وجل - عن المكان والجسمية ولوازم الحدوث التى لاتليق بجلاله.

وقيل: **«إليه»** أى: إلى عرشه - تعالى - أو إلى محل بره وكرامته.

قال القرطبى ما ملخصه: قوله - تعالى -: **﴿فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾** أى: عروج الملائكة إلى المكان الذى هو محلهم فى وقت كان مقداره على غيرهم لو صعد، خمسين ألف سنة، وقال ابن عباس هو يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة.

وقال مجاهد: هذا اليوم هو مدة عمر الدنيا من أول ما خلقت إلى آخر ما بقى منها، خمسون ألف سنة.

ثم قال الإمام القرطبى: وقول ابن عباس أحسن ما قيل فى الآية - إن شاء الله - بدليل ما رواه قاسم بن أصبغ من حديث أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾**، فقلت يارسول الله، ما أطول هذا اليوم؟ فقال ﷺ: **«والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى ليكون أخف عليه من صلاته المكتوبة يصليها فى الدنيا»**.

وفى رواية عن ابن عباس - أيضا - أنه سئل عن هذه الآية فقال: أيام سماها الله - عز وجل - وهو أعلم بها كيف تكون وأكره أن أقول فيها مالا أعلم.

وقيل: ذكر خمسين ألف سنة تمثيل لما يلقاه الناس فى موقف الحساب من شدائد، والعرب تصف أيام الشدة بالطول، وأيام الفرح بالقصر»(١).

وقال بعض العلماء: وقد ذكر - سبحانه - فى سورة السجدة أنه **﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾**.

وقال - سبحانه - فى سورة الحج: **﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾**.

وذكر - سبحانه - هنا **﴿فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾**.

والجمع بين هذه الآيات من وجهين: أولهما: ما جاء عن ابن عباس من أن يوم الألف فى سورة الحج، هو أحد الأيام الستة التى خلق الله - تعالى - فيها السماوات والأرض.

ويوم الألف فى سورة السجدة هو مقدار سير الأمر وعروجه إليه - تعالى -.

ويوم الخمسين ألفا هنا: هو يوم القيامة.

وثانيهما: أن المراد بجميعها يوم القيامة، وأن الاختلاف باعتبار حال المؤمن والكافر، ويدل لهذا الوجه قوله - تعالى -: **﴿فذلك يوم عسير* على الكافرين غير يسير﴾**.

أى: أن يوم القيامة يتفاوت طوله بحسب اختلاف الشدة، فهو يعادل فى حالته ألف سنة من سنى الدنيا، ويعادل فى حالة أخرى خمسين ألف سنة.

٦ - وقوله - تعالى -: **﴿فاصبر صبرا جميلا* إنهم يرونه بعيدا* ونراه قريبا﴾** متفرع على قوله - تعالى - **﴿سأل سائل﴾** لأن السؤال كان سؤال استهزاء، يضيق به الصدر، وتغتم له النفس.

والصبر الجميل: هو الصبر الذى لا شكوى معه لغير الله - تعالى - ولا يخالطه شىء من الجزع، أو التبرم بقضاء الله وقدره.

والمعنى: لقد سألوك - أيها الرسول الكريم - عن يوم القيامة، وعن العذاب الذى تهددهم به، سؤال تهكم واستعجال، فاصبر صبرا جميلا على غرورهم وجهالاتهم وسوء أدبهم، إنهم يرون هذا اليوم وما يصحبه من عذاب، يرونه «بعيدا» من الإمكان أو من الوقوع، ولذلك كذبوا بما جئتهم به من عندنا، واستهزءوا بك، ونحن نراه قريبا من الإمكان، بل هو كائن لا محالة فى الوقت الذى تقتضيه حكمتنا ومشيئتنا.

ثم بين - سبحانه - جانبا من أهوال يوم القيامة فقال: **﴿يوم تكون السماء كالمهل* وتكون الجبال كالعهن* ولا يسأل حميم حميما﴾**.

أى: أن هذا العذاب واقع بالمشركين يوم تكون السماء فى هيئتها ومظهرها واهية مسترخية كالزيت المتبقى فى قعر الإناء.

وتكون الجبال **«كالعهن»** أى: كالصوف المصبوغ على ألوان متنوعة لاختلاف ألوان الجبال.

ووجه الشبه أن السماء فى هذا اليوم تكون فى انحلال أجزائها كالشيء الباقى فى قعر الإناء من الزيت وتكون الجبال فى تفرق أجزائها كالصوف المصبوغ الذى تطاير فى الجو.

وفى هذا اليوم الشديد الأهوال، لا يسأل صديق صديقه النصرة أو المعونة، ولا يسأل قريب قريبه المساعدة والمعاونة، لأن كل واحد منهما مشغول بهموم نفسه من شدة هول الموقف، كما قال - سبحانه -: **﴿يوم يفر المرء من أخيه* وأمه وأبيه* وصاحبته وبنيه* لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾**.

٧ - ثم بين - سبحانه - حال المجرمين الذين أصروا على شركهم وعلى إنكارهم ليوم القيامة وما فيه من حساب فقال - تعالى -: **﴿يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه* وصاحبته وأخيه* وفصيلته التى تؤويه..﴾**.

أى: فى هذا اليوم الهائل الشديد يرى الصديق صديقه، ويرى القريب قريبه، ويرى المشرك من كان مثله فى الشرك، وكل واحد مشغول بذاته، ويتمنى المجرم فى هذا اليوم لو يفتدى نفسه من عذاب هذا اليوم بأقرب الناس إليه، وبألصقهم به، وهم أولاده وزوجته وإخوته وأهله وعشيرته التى ينتسب إليها، ويعد من أفرادها الذين تدافع عنهم، ويأوى إليها عند المحن والمصائب.

ولا يكتفى المجرم بكل ذلك، بل يود ويتمنى أن يفتدى نفسه بأهل الأرض جميعا، كما قال - سبحانه - **﴿ومن فى الأرض جميعا ثم ينجيه﴾** أى: يتمنى المجرم فى هذا اليوم أن يفتدى نفسه من العذاب لا بأقرب الناس إليه فحسب، بل بأهل الأرض جميعا.

وقد جاء الرد عليه بقوله - تعالى -: **﴿كلا إنها لظى* نزاعة للشوى* تدعو من أدبر وتولى* وجمع فأوعى﴾**.

وكلمة **«لظى»** من أسماء جهنم أو من أسماء طبقة من طبقاتها، **واللظى:** اللهب الخالص.

والمعنى: كلا - أيها المجرم - ليس الأمر كما تمنيت، وإنما الذى فى انتظارك هى النار التى هى أشد ما تكون اشتعالا.

والتى من صفاتها أنها تنزع جلد الرأس وأطراف الجسم، وهذه النار الملتهبة من صفاتها أنها تدعو لدخولها والاصطلاء بحرها من أدبر وأعرض وابتعد عن الحق والرشد، ومن جمع المال فكنزه ومنعه عن السائل والمحروم.

نسأل الله - تعالى - أن يجعلنا جميعا ممن رضى عنهم ورضوا عنه.

الهامش:

١ - تفسير القرطبى جـ١٨ ص٢٨٢.

التبيان فى آداب حملة القرآن (للإمام النووى)

أ.د: محمد الدسوقى

إن القرآن الكريم معجزة الدهر، أنزله الله هدى ونورا على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله ﷺ للناس كافة، وجاء هذا القرآن مهيمنا على كل ما نزل قبله من الكتب، ومن ثم كان آخر وحى الله إلى خلقه، وكان دعوة عالمية، وكان محفوظا من التحريف والتبديل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولم يخدم كتاب على ظهر الأرض كما خدم القرآن الكريم فكل ماسطره علماء المسلمين فى شتى مجالات المعرفة، وما يسطره هؤلاء العلماء فى الحاضر والمستقبل يتناول بوجه عام فهم القرآن وتجلية أحكامه وشواهد إعجازه، كما أن هذا القرآن أثر فى حياة البشرية تأثيرا لم يضارعه فيه كتاب آخر، وتكفى الإشارة إلى أن التقدم العلمى الذى تنعم الإنسانية فى العصر الحاضر بثمراته الحضارية، هو بعض آثار القرآن الكريم، ونتيجة للقيم والمثل التى دعا إليها وآمن المسلمون بها، وكانوا فى حياتهم صورة طيبة عملية لها، بصرف النظر عن انحراف الحضارة المعاصرة عن الطريق المستقيم، فلهذا الانحراف أسبابه التاريخية المعروفة.

ولمنزلة هذا القرآن كان حرص المسلمين البالغ على حفظه وحسن تلاوته والعمل بأحكامه وآدابه، فلا غرو أن كثرت المؤلفات والدراسات التى اهتمت بالحديث عن الضوابط والآداب لذلك الحفظ وهذه التلاوة.

ومن المؤلفات التى تناولت هذه الضوابط والآداب كتاب: التبيان فى آداب حملة القرآن» للإمام النووى.

والإمام النووى موسوعة علمية تمثلت فيما خلفه هذا الإمام فى عمره القصير نسبيا من مؤلفات كثيرة فى الفقه والحديث، والأصول والمنطق، والمواعظ، والتصوف، والتاريخ واللغة والنحو، وحظيت بعض هذه المؤلفات بقراءتها واقتنائها من جماهير الأمة، وبخاصة كتاب رياض الصالحين، والأربعين حديثا النووية التى شرحها كثير من العلماء.

والنووى هو العلامة محيى الدين، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين بن مرى بن حسن بن حسين، الحزامى الحورانى النووى

الدمشقى، ولد بنوى من قرى حوران بسورية فى العشر الأول من المحرم سنة ٦٣١هـ، وقد تعلم فى دمشق، وأقام بها زمنا طويلا، وأخذ العلم عن أئمة عصره وكان مكبا على العلم شغوفا به، وكان فى هذا يقسو على نفسه فيحرمها من الراحة أو النوم فترة طويلة، ومن ثم كان وقته كله للعلم قراءة وكتابة وتصنيفا وتحقيقا، وكان ورعا لدرجة أنه ما كان يأكل طعاما إلا إذا خلا من الشبهة، وكان مقلا فى طعامه حتى لا تحول البطنة بينه وبين الاستزادة من العلم والتأليف فيه، وقد أورثه هذا ضعفا فى بدنه، وتوفى وعمره نحو خمسة وأربعين عاما، وكانت وفاته بمسقط رأسه، ودفن بها فى الرابع عشر من رجب سنة ٦٧٦هـ، بعد أن ترك وراءه حب المسلمين له، هذا الحب الذى مازال حتى الآن بدليل أن كثيرا من مؤلفاته مازال يطبع عدة مرات، وهذا من بركة الإخلاص فى طلب العلم، رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه كفاء ما قدم لدينه وأمته خير الجزاء.

أما كتاب التبيان فيقع فى نحو ١٨٠ صفحة من القطع الكبير فى أحدث طبعة محققة لهذا الكتاب، صدرت عن وزارة الأوقاف بدولة قطر، وقام بالتحقيق العلمى الدقيق الأستاذ عبدالسلام البسيونى جزاه الله خيرا.

ويتركب منهج الكتاب من مقدمة وعشرة أبواب، وهذه الأبواب منها مايقع فى صفحة واحدة، ومنها ما تبلغ صفحاته نحو ستين صفحة، ويرجع هذا التفاوت إلى طبيعة القضايا التى يعرض لها كل باب.

كان الإمام النووى موسوعة علمية حظيت مؤلفاته فى الفقه والحديث والتصوف والتاريخ واللغة بإقبال جماهير الأمة

والكتاب كله يعول على النصوص القرآنية والأحاديث النبوية مع الإشارة إلى طرف من آراء بعض الصحابة والتابعين، وأئمة الفقهاء والمحدثين وغيرهم.

فى المقدمة التى حملت عنوان: خطبة الكتاب، تحدث النووى عن نعمة الإسلام التى منّ الله بها على هذه الأمة، لتكون خير أمة أخرجت للناس ثم أشار إلى أهل دمشق وحرصهم على الاكثار من تلاوة القرآن تعلما وتعليما وعرضا ودراسة فى جماعات وفرادى، ومن ثم كتب كتابه من باب أداء الواجب فى النصح للقرآن، ومن النصيحة له: بيان آداب حملته وطلابه وإرشادهم إليها وتنبيههم عليها، مع إيثار الاختصار ودون تطويل أو إكثار.

وفى الباب الأول ذكر طرفا من فضيلة تلاوة القرآن وحملته، منها قول الله عز وجل: **﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور* ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور﴾** فاطر: الآيتان ٢٩، ٣٠.

ومنها ما روى عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «**الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن وهو يتعتع فيه وهو عليه شاق: له أجران**» رواه البخارى ومسلم.

وختم هذا الباب بما روى عن سفيان الثورى، سئل عن الرجل يغزو أحب إليك أو يقرأ القرآن، فقال: يقرأ القرآن، لأن النبى ﷺ قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» رواه البخارى فى فضائل القرآن.

وتحدث فى الباب الثانى فى نحو صفحة عن ترجيح القراءة والقارئ على غيرهما، فروى عن النبى ﷺ أنه قال: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى**» رواه مسلم، ثم ذكر ان المذهب الصحيح المختار والذى عليه من يعتمد من العلماء: أن قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل وغيرهما من الأذكار، وقد تضافرت الأدلة على ذلك.

وتناول فى الباب الثالث ما يتصل بإكرام أهل القرآن والنهى عن أذاهم، فأورد بعض النصوص ومنها ما روى عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من إجلال الله تعالى: إكرام ذى الشيبة المسلم، وحامل القرآن، غير الغالى فيه والجافى عنه، وإكرام ذى السلطان المقسط**» رواه أبو داود. ونقل عن الإمام الحافظ أبو القاسم بن عساكر قوله: اعلم ياأخى وفقنا الله وإياك لمرضاته. وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته: أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله فى هتك أستار منتقصيهم معلومة، وأن من أطلق لسانه فى العلماء بالثلب، ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب ﴿**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**﴾ النور: آية ٦٣.

وعلق المحقق على كلمة ابن عساكر فقال: لعل فى هذه العبارة النفيسة زاجرا للذين يقعون فى علماء الأمة المعاصرين بالتكفير والتفسيق والتبديع، فو الله إن منتحلى هذا الأمر ليفتحون على الأمة بابا واسعا من أبواب الشر والعياذ بالله.

وعقد النووى الباب الرابع لآداب معلم القرآن ومتعلمه، فذكر فى مستهله أن أول ما ينبغى للمقرئ والقارئ أن يقصد بذلك رضا الله تعالى، فالإنسان إنما يعطى من الأجر على قدر نيته، ولهذا ينبغى ألا يقصد بالقرآن توصلا إلى غرض من أغراض الدنيا من مال أو رياسة أو وجاهة أو ارتفاع على أقرانه، أو ثناء عند الناس أو صرف وجوه الناس إليه أو نحو ذلك، وليحذر كل الحذر من قصده التكثر بكثرة المشتغلين عليه، والمختلفين إليه، وليحذر من كراهته قراءة أصحابه على غيره ممن ينتفع به، ونقل عن الإمام الشافعى أنه قال: وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم، يعنى علمه وكتبه وألا ينسب إلىّ حرف منه.

ثم انتقل إلى ما يجب على المعلم من التخلق بالمحاسن التى ورد الشرع بها، من الزهد فى الدنيا والتقلل منها، وليحذر كل الحذر من الحسد والرياء والعجب واحتقار غيره وإن كان دونه، وينبغى له أن يرفق بمن يقرأ عليه، وأن يبذل لهم النصيحة، وأن يؤدبهم على التدريج بالآداب السنية، مع الحرص على تعليمهم مؤثرا ذلك على مصالح نفسه الدنيوية التى ليست بضرورية.

وذكر بعد هذا آداب المتعلم، ومنها أن يجتنب الأسباب الشاغلة عن التحصيل، وأن يتواضع لمعلمه ويتأدب معه، وإن كان أصغر منه سنا، ويشاوره فى أموره ويقبل قوله، وعليه أن ينظر إلى معلمه بعين الاحترام ويعتقد كمال أهليته، ورجحانه على طبقته، فإنه أقرب إلى انتفاعه به، كما أن عليه أن يتأدب مع رفقته وحاضرى مجلس الشيخ، وألا يقرأ على الشيخ فى حالة شغل قلب الشيخ ومله وغمه وفرحه وما إلى ذلك.

ومن هذه الآداب الحرص على التعلم والمواظبة عليه فى جميع الأوقات، وأن يبكر بقراءته على الشيخ فى أول النهار، لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «**اللهم بارك لأمتى فى بكورها**» رواه الترمذى.

وتكلم النووى فى الباب الخامس عن آداب حامل القرآن فبين أنه ذكر جملا من هذه الآداب فيما سبق، ويضاف إلى ما ذكره أن على حامل القرآن أن يرفع نفسه عن كل ما نهى القرآن عنه؛ إجلالا للقرآن، وأن يحذر كل الحذر من اتخاذ القرآن معيشة يكتسب بها، وأن يحافظ على تلاوته ويكثر منها، وأومأ بعد هذا إلى ختم القرآن فى أسبوع أو أقل أو أكثر، مبينا أن المحافظة على القراءة أكثر فائدة، وأن على القارئ أن يتعهد القرآن حتى لا ينساه، فقد روى الإمام البخارى عن

النبى ﷺ أنه قال: **«تعاهدوا هذا القرآن، فو الذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل فى عقلها».**

وخص النووى الباب السادس لآداب القراءة والقارئ، فبين أن أول ما يجب على القارئ هو الإخلاص، ومراعاة الأدب مع القرآن وإذا أراد القراءة أن ينظف فاه بالسواك وغيره، ويستحب أن يقرأ على طهارة، وأن تكون القراءة فى مكان نظيف مختار، والأولى للقارئ فى غير الصلاة أن يستقبل القبلة، وإذا شرع فى القراءة فليكن شأنه الخشوع مع التدبر، ويستحب مع القراءة البكاء والترتيل، وإذا مر القارئ بآية رحمة سأل الله من فضله، ويضاف لكل هذا احترام القرآن من أمور قد يتساهل فيها بعض الغافلين القارئين مجتمعين كالضحك واللغط والنظر إلى ما يلهى ويبدد الذهن أو النظر إلى مالا يجوز النظر إليه.

والأولى للقارئ أن يقرأ على ترتيب المصحف، والقراءة من المصحف أفضل من القراءة عن ظهر قلب، لأن النظر فى المصحف عبادة مطلوبة ويستحب تحسين الصوت بالقراءة، وبين العلماء اختلاف فى قراءة القرآن بالألحان.

وختم هذا الباب بأحكام القرآن فى الصلاة وأحكام التأمين وسجود التلاوة، وعدد السجدات ومحلها فى القرآن الكريم وآداب ختم القرآن.

وأما الباب السابع فتحدث فيه النووى عن آداب الناس كلهم مع القرآن، وأهم هذه الآداب تعظيم القرآن العزيز على الإطلاق وتنزيهه وصيانته، وعدم جحد أى حرف منه، ويحرم تفسيره بغير علم، كما يحرم المراء فيه والجدال بغير حق، ولا يمنع الكافر من سماع القرآن، ويكره نقشه على الحيطان والثياب.

وفى الباب الثامن ذكر النووى الآيات والسور التى يستحب قراءتها فى أوقات وأحوال مخصوصة كالإكثار من تلاوة آية الكرسى فى جميع المواطن، وأن يقرأها المسلم كل ليلة إذا أوى إلى فراشه، وما يستحب أن يقرأ عند المريض، أو عند الميت.

وفى الباب التاسع عرض النووى لكتابة القرآن وإكرام المصحف فبين أن العلماء اتفقوا على استحباب كتابة المصاحف وتحسين كتابتها، ولكن لا تجوز كتابة القرآن بشىء نجس، وأجمع المسلمون على وجوب صيانة المصحف واحترامه، ويحرم على المحدث مس المصحف وحمله ولا كراهة فى بيع المصحف وشرائه.

وجاء الباب العاشر ليكون كمعجم لغوى فسر فيه النووى بعض ما ورد فى كتابه من ألفاظ وأسماء تحتاج إلى شرح وضبط، وقال فى آخر هذا الباب: فهذه أحرف وجيزة فى ضبط مشكل ما وقع فى هذا الكتاب وما بقى منها تركته لظهوره، وما ذكرته من الظاهر قصدت بيانه لمن لا يخالط العلماء فإنه ينتفع به إن شاء الله تعالى.

إن كتاب التبيان على إيجازه يقدم معلومات مهمة حول كتاب الله، وهذه المعلومات ضرورية لقارئ القرآن ومعلمه، لأن تحمل القرآن أى حفظه فرض كفاية وتعليمه كذلك فرض كفاية، ولهذا التحمل والتعليم آداب شرعية يجب الحفاظ عليها والعمل بها، وما كتبه النووى تذكير للأمة بهذه الآداب حتى تظل معتصمة بها ليكون القرآن لها فى كل زمان ومكان مصدر سعادتها وفلاحها فى الدنيا والآخرة، فهذا القرآن هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين وهوالذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم وهو الذى لاتزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق من كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه، هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: **إنا سمعنا قرآن عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به**، من قال به صدق ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم.

التفسير الموضوعي وحاجة عصرنا إليه

أ.د/ مصطفى رجب

بعد انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، أصبحت لدى المسلمين حاجة ماسة إلى الاجتهاد فى تفسير القرآن الكريم ومعرفة مقاصده ومعانيه بعد أن غاب نور الرسول الكريم ﷺ الذى كانوا يفزعون إليه إذا شق عليهم فهم آية من الآيات.

وقد أدى ذلك بالصحابة إلى الاجتهاد فى التفسير بوصفهم تلاميذ المدرسة المحمدية وروادها الأوائل الذين أصبح الناس يلجأون إليهم لينهلوا من علومهم التى تلقوها عن المعصوم ﷺ.

كما ساعدت عوامل أخرى على بدء النشاط العلمى فى مجال التفسير، ومن أهم هذه العوامل:

١ ـ اتساع الدول الإسلامية بعد الفتوح المتكررة للبلدان الجديدة مما ترتب عليه:

أ ـ تفرقة الصحابة فى البلاد المفتوحة لتعليم المسلمين الجدد المقبلين على اعتناق الدين الجديد.

ب ـ زيادة حاجة المسلمين إلى التعليم بازدياد أعدادهم يوما بعد يوم.

٢ ـ تناقص أعداد الصحابة يوما بعد يوم بالوفاة أو الاستشهاد مما أدى إلى أهمية نقل المرويات الواردة فى تفسير بعض الآيات أو اجتهادات الصحابة فى تفسيرها إلى جيل تال هو جيل التابعين من أكابر العلماء الذين أدركوا الصحابة وتعلموا منهم ونقلوا عنهم آراءهم واجتهاداتهم.

٣ ـ تعقد الفتوى بسبب ما كان يحدث من مواقف وأحداث ترتبط بعادات وتقاليد البلاد المفتوحة ولم ترد فيها نصوص تشريعية عن النبى ﷺ.

٤ ـ تأخر ظهور الكتابة والتوثيق عند المسلمين والاعتماد فقط على الرواية أدى إلى تشجيع البحث فى التفسير بسببين هما:

أ ـ الوفيات التى ينقص بها عدد الصحابة يوما بعد يوم.

ب ـ اختلاف الصحابة فى فهم بعض الآيات تبعا لتفاوت قدراتهم من جهة اللغة وتبعا للمواقف المختلفة التى عاشها كل منهم مع النبى ﷺ.

مصادر الصحابة فى التفسير:

وقد التزم الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ فى تفسيرهم القرآن الكريم منهجا واحدا لا عوج له يعتمد على عدة أسس:

الأول منها: تفسير القرآن بالقرآن:

وهم فى هذا الأساس يرجعون إلى ما روى عن النبى ﷺ حين كان يفسر القرآن كما روى عنه فى تفسير قول الله تعالى: **﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾** الفاتحة: آية ٧، حيث قال النبى ﷺ: **«المغضوب عليهم اليهود والضالون**

النصارى، وقد استمد الرسول ﷺ هذا التفسير من قوله تعالى متحدثا عن اليهود.. ﴿.. وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله..﴾ البقرة: آية ٦١، وقوله تعالى متحدثا عن النصارى ﴿.. ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾ المائدة: آية ٧٧، كذلك فسر الرسول ﷺ الظلم فى قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ الأنعام: آية ٨٢، بأنه الشرك، واستشهد بقوله تعالى: ﴿..إن الشرك لظلم عظيم﴾ لقمان: آية ٣١.

طبيعة العصر الحاضر وإيقاعه المتسارع يجعل الباحث فى مسيس الحاجة إلى تفسير موضوعى للوصول إلى بغيته

وقد حذا الصحابة - رضوان الله عليهم - حذو رسول الله ﷺ فى تفسير القرآن الكريم بالقرآن كما فعل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أتيح له من فهم القرآن والإحاطة به فقد كان من أقرب الناس لرسول الله ﷺ، يقول أبو موسى الأشعرى فى ذلك: «**إن كان ليؤذن له إذا حجبنا، ويشهد إذا غبنا**».

والأمثلة كثيرة على تفسير ابن مسعود للقرآن بالقرآن، ففى تفسيره لقوله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ البقرة: آية ٦٢، يرد تسمية اليهود بهذا الاسم إلى قوله تعالى: ﴿.. **إنا هدنا إليك**..﴾ الأعراف: آية ١٥٦، ويرد تسمية النصارى بهذا الاسم إلى قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام وحوارييه ﴿.. **قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون**﴾ آل عمران: آية ٥٢.

الثانى: تفسير القرآن الكريم بالسنة:

وقد لجأ الصحابة - رضى الله عنهم - إلى تفسير القرآن الكريم بالسنة المحمدية المطهرة التى عاشوا أجواءها وأسهموا بمواقفهم المختلفة فى صياغتها فكثير من مواقف التربية المحمدية كانت تعتمد على سؤال من صحابى أو سلوك بدر منه أو حادث يحدث بينهم، ومن أبرز الصحابة الذين اعتمدوا على السنة فى تفسير القرآن الكريم السيدة عائشة - رضى الله عنها - فقد روى لها ابن الجوزى ألفين ومائتين وعشرة من الأحاديث النبوية، ولعل ذلك راجع إلى عشرتها الزوجية التى أتاحت لها رواية الكثير من سنة الرسول ﷺ فقد عاشت معه السنوات التسع الأخيرة من حياته وكانت تلك السنوات فى المدينة حيث شهدت معظم التشريع الإسلامى فى مهد الدولة الإسلامية المزدحم بالأحداث الجسام.

ومثلما كانت السيدة عائشة تفسر القرآن بالسنة، كذلك كان يفعل غيرها من الصحابة كعبدالله بن مسعود رضي الله عنه فقد فسر القرآن بالسنة، ومن ذلك أنه فى تفسيره لقوله تعالى: ﴿**فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون**﴾ البقرة: آية ٢٣٠، يأتى لقوله ﷺ: «**لعن المحلل والمحلل له**»، وفى تفسيره لقوله تعالى:

﴿وقرن فى بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ الأحزاب: آية ٣٣، يروى قول رسول الله ﷺ: «**المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»، وفى تفسيره لقوله تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾** الجمعة: آية ٩، يروى قول الرسول ﷺ: «**لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس، ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم**».

وإلى جانب هذين الأساسين: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، كانت هناك أسس أخرى للتفسير أخذ بها الصحابة منها:

- تفسير القرآن باللغة.
- تفسير القرآن بما ورد فى الكتب السماوية وبخاصة فى مجال القصص القرآنى.
- تفسير القرآن فى ضوء أسباب نزول الآيات.

وقد نتج عن هذا كله علم التفسير بالمأثور الذى بدأ تدوينه متأخرا إلى حد كبير، فقد ارتبط تدوين التفسير بتدوين الحديث، فبعد إحجام المسلمين عن تدوين الحديث خوفا من التقول على رسول الله ﷺ، بدأ تدوين الحديث مع شىء من الحذر والتهيب والتحرى إلى أن أصبح لدى المسلمين مجموعات موثقة بالرواية الشفوية المدققة من أقوال الرسول ﷺ، وشملت تلك المجموعات ما تعلق من أحاديث نبوية تناولت تفسير آيات معينة من القرآن الكريم، ثم لم يلبث هذا التدوين أن تفرع إلى أن أصبح علم التفسير علما مستقلا بذاته عن علم الحديث.

منهج التفسير بالمأثور وأشهر المؤلفات فيه.

ويتلخص منهج التفسير بالمأثور فى جمع الروايات المتعلقة بآية من الآيات سواء أكانت تلك الروايات مقولة عن النبى ﷺ أم عن الصحابة - رضى الله عنهم - ويتتبع أصحاب التفسير بالمأثور ترتيب المصحف المعروف فيتناولون السورة آية فآية ويذكرون ما ورد حول كل آية من روايات معزوة إلى قائلها. وقد يذكرون أسانيدهم من بدايتها إلى منتهاها وقد يغفلون عن ذلك. ومن أشهر الكتب فى التفسير بالمأثور:

- جامع البيان فى تفسير القرآن الكريم لابن جرير الطبرى (ت٣١٠هـ).
- معالم التنزيل للبغوى (ت ٥١٦هـ).
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت٧٧٤هـ).
- الدر المنثور فى التفسير المأثور لجلال الدين السيوطى (ت ٩١١هـ).

مفهوم التفسير الموضوعى:

يقصد بالتفسير الموضوعى بصفة عامة جمع الآيات المتعلقة بموضوع واحد من جميع سور القرآن الكريم ثم دراستها دراسة تستوفى جوانب هذا الموضوع المراد بحثه، أو دراسة سورة قرآنية بعينها لهدف إبراز الوحدة الموضوعية بين جوانبها المتعددة.

والبحث فى التفسير الموضوعى وفقا لهذا المفهوم بحث جديد لم يعرفه علماء التفسير السابقون الذين اتبعوا المنهج التحليلى الذى أشرنا إليه سابقا وهو تفسير آيات القرآن الكريم وفقا لترتيب المصحف تفسيرا تحليليا من حيث معانى كل آية لغويا وأدبيا وفقهيا وما يرتبط بذلك من روايات متعددة.

اتجاهات البحث فى التفسير الموضوعى:

غير أن علماءنا المحدثين لم يتفقوا على منهج واحد يستخدمه من يقوم بالتفسير الموضوعى، ومن ثم لم يتفقوا على تعريف واحد أو مفهوم واحد للتفسير الموضوعى وفيما يلى عرض لأهم اتجاهاتهم:

١ ـ يرى الدكتور عبدالجليل عبدالرحيم أن التفسير الموضوعى هو: المنهج الذى يتخذه المفسر سبيلا للكشف عن مراد الله من خلال الموضوعات التى يطرحها والقضايا التى يعالجها، وتوضيحا لهداية القرآن وتجلية لوجوه إعجازه. أو هو العلم الذى يتخذ من الموضوعات الظاهرة أساسا فى الكشف عن منهج القرآن وأسلوبه فى معالجته لها، متخذا من القواعد والشروط المرعية فى التفسير سلما للوصول إلى هدى الكتاب وجلال شأنه(١).

وقد لاحظ بعض الباحثين على هذين التعريفين ملاحظتين:

أولاهما: أنه ذكر فى التعريف الثانى الموضوعات الظاهرة، وهو أمر غير واضح، فهل هناك موضوعات باطنة أو غير مدركة، وهل تدخل هذه الموضوعات ضمن إطار التفسير الموضوعى ومجال بحثه؟

وثانيهما: أن التعريفين لم يبينا فيما إذا كانت هذه الموضوعات تتجلى من خلال القرآن الكريم كله أو من خلال سورة واحدة(٢).

٢ ـ ويرى الدكتور عبدالستار فتح الله سعيد أن المقصود بالتفسير الموضوعى هو جمع الآيات الكريمة ذات المعنى الواحد ووضعها تحت عنوان واحد، والنظر فيها بما يؤلف منها موضوعا واحدا مستخرجا من الآيات الكريمة على هيئة نصوص(٣).

ونلاحظ على هذا التعريف أنه أغفل قسما رئيسيا من قسمى التفسير الموضوعى، وهو ذلك القسم الذى يعتمد على دراسة سورة بعينها من سور القرآن الكريم وبيان ما بها من وحدة موضوعية.

٣ ـ ويرى الدكتور مسموع أحمد أبو طالب أن «المنهج الموضوعى هو ذلك المنهج الذى يجمع فيه المفسر الآيات القرآنية التى تتعلق بموضوع واحد ليبين معناها، ويربط بينها، ويكشف عن غرضها الذى تهدف إليه هذه الآيات مجتمعة»(٤).

ونلاحظ على هذا التعريف مالاحظناه على التعريف السابق من إغفال الدراسة الموضوعية للسورة الواحدة كما نلاحظ عليه غلبة الطابع الإنشائى مثل قوله: «يبين معناها، ويربط بينها، ويكشف عن غرضها..» فكل واحدة من هذه الوحدات تتضمن بدرجة ما الوحدتين الأخريين.

٤ ـ ويرى الدكتور عبدالحى الفرماوى أن التفسير الموضوعى نوعان يهدف كلاهما إلى إبراز مافى القرآن الكريم من أحكام، وترابط وتناسق، وإظهار مدى عنايته بمصالح الخلق العامة والخاصة، فى صور تشريعاته الحكيمة العادلة، التى لو اتبعوها لبلغوا عن طريقها إلى السعادة فى الدنيا، والنعيم المقيم فى الآخرة، وهما:

النوع الأول: الكلام على السورة ككل مع بيان أغراضها: العامة، والخاصة، وما فيها، مع بيان ربط الموضوعات بعضها ببعض، حتى تبدو السورة وهى فى منتهى الدقة والإحكام.

النوع الثانى: جمع الآيات القرآنية، التى فى موضوع واحد، ووضعها تحت عنوان واحد، وتفسيرها تفسيرا منهجيا موضوعيا. وهذا النوع ـ الثانى ـ هو الذى يتبادر إلى الذهن عند إطلاق اسم التفسير الموضوعى، ثم يصف الدكتور الفرماوى ـ بحسب النوع الثانى ـ بأنه اصطلاح مستحدث أطلقه العلماء المعاصرون على جمع الآيات القرآنية ذات الهدف الواحد ـ التى اشتركت فى موضوع ما ـ وترتيبها حسب النزول ـ ما أمكن ـ مع الوقوف على أسباب نزولها، ثم تناولها بالشرح، والبيان، والتعليق، والاستنباط، وإفرادها بالدرس المنهجى الموضوعى، الذى يجليها من جميع نواحيها، وجهاتها، ووزنها بميزان العلم الصحيح، الذى يبين الباحث معه الموضوع على حقيقته، ويجعله يدرك هدفه بسهولة ويسر، ويحيط به إحاطة تامة، تمكنه من فهم أبعاده،

والذود عن حياضه(٥).

ونلاحظ على هذا التقسيم الذى اعتمد فيه صاحبه على مقولات لعلماء سابقين عليه مثل الدكتور على خليل والدكتور محمد محمود حجازى، والشيخ محمود شلتوت، أنه تقسيم وصفى أكثر من كونه تعريفا علميا جامعا مانعا، كما نلاحظ على بعض عباراته غلبة الطابع الإنشائى كسابقه وإن كان قد استوفى النوعين الشائعين للتفسير الموضوعى.

٥ ـ وقد نحا بعض العلماء نحوا آخر فى فهم التفسير الموضوعى حين ذهبوا إلى أن البحث عن اللفظ واستخداماته المختلفة فى القرآن الكريم ينضوى تحت باب التفسير الموضوعى. وممن نحا هذا المنحى الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) وتبناه باحث جامعى فى كلية الشريعة بالأردن وتحدث عنه قائلا:

«لقد اعتبرت هذا الفن قسما من أقسام التفسير الموضوعى لما له من علاقة قوية فى هذا الموضوع من حيث اختصاصه بألفاظ القرآن الكريم والبحث فيها واحدا تلو الآخر، ويعرفه بقوله: هو عبارة عن ترتيب الألفاظ الواردة فى القرآن حسب حروف الهجاء، بعد تجريدها من الزوائد، والتعرض لأصل استخدامها، واستقراء اللفظ الواحد واستخداماته فى القرآن الكريم، وتوضح تباينها من موضوع لآخر. ومن أجود الكتب فى هذا: المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى، وتعتبر كتب الأشباه والنظائر أو الوجوه والنظائر ضمن إطار هذا النوع من التفسير الموضوعى. وهذا التعليل يقودنا إلى التجزيئية فى التعامل مع النص القرآنى، وهو منهج خطير. ومن المعلوم أن الراغب الأصفهانى لم ينشئ تفسيره لهذا الغرض، ولم يكن عمله فيه مبنيا على الاستقصاء والشمول لآيات القرآن الكريم كله، وكذلك كتب الأشباه والنظائر لا تصلح أن تكون مثالا على التفسير الموضوعى إن ابتغينا لعملنا الدقة والإحكام(٦).

وقد انتقد بعض الباحثين هذا الاتجاه لعدة أسباب منها(٧):

أولا: أن البحث عن مفردة قرآنية واستخداماتها فى القرآن لا يتأتى لجميع مفردات القرآن، فكما أن بعض المفردات وردت فى القرآن مئات المرات، هناك كثير من المفردات لم تذكر إلا مرة واحدة فى القرآن، مثل كلمة مسخ، وكلمة مسد، وكلمة أمشاج، وغيرها، ومن ثم تكون الدراسة مقتصرة على مفردات بعينها.

ثانيا: أن البحث عن لفظة واستخداماتها فى القرآن لا يقصد منه التفسير الموضوعى فى أغلب الأحيان، ولكن المقصود هو التعرف بجلاء على المعانى الدقيقة لمفردات القرآن من خلال الاستعمال القرآنى لها.

ثالثا: أن هذا التعريف ـ وإن كانت صورته قريبة من التفسير الموضوعى ـ إلا أنه يختلف عنه من حيث الغاية والهدف ومنهجية البحث.

رابعا: أن مثل هذه التعريفات ستقودنا ـ حتما ـ إلى تجزيئية فى التفسير الموضوعى على غرار تلك التى سادت تراثنا التفسيرى التحليلى، وهى تجزيئية لا تعطى تصورا شموليا عن موضوعات القرآن الكريم.

رأينا الخاص:

وفى رأينا أن ما سبق من محاولات لتحديد اتجاه البحث فى التفسير الموضوعى اتخذ مسارين واضحين هما: جمع الآيات التى تتناول موضوعا واحدا، أو تناول سورة بعينها ثم تفسيرها، وأغلب الظن أن إقحام تفسير سورة كاملة فى مجال التفسير الموضوعى يرجع إلى مقولة الشاطبى (الموافقات ٣/٢٤٩) أدخلت هذا النوع من التفسير الموضوعى يقول فيها الشاطبى:

«إن السورة الواحدة مهما تعددت قضاياها فهى

تكون قضية واحدة، وتهدف إلى غرض واحد، أو تسعى لإتمامه، وإن اشتملت على عديد من المعانى».

وقد يصح هذا القول للشاطبى بالنسبة لبعض السور القصيرة مثل سورة الفيل، أو سورة الماعون أو سورة الكوثر، ولكن قد يكون من الصعب تطبيقه بالنسبة للسور الطويلة كالبقرة والنساء، أو غيرهما من تلك السور التى احتوت قضايا متعددة، فإذا حكمنا عليها بالوحدة الموضوعية فإن حكمنا لا يخلو من تعسف وتكلف.

وعلى ذلك ففى رأينا أن التفسير الموضوعى يمكن تعريفه على النحو التالى: «دراسة الآيات التى تتناول موضوعا واحدا دراسة تفصيلية من حيث المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ، واستنباط الأحكام التى تتعلق بالموضوع المبحوث فى ضوء مقارنة أقوال العلماء فى تلك الآيات مجتمعة، أو دراسة إحدى السور القصيرة ذات الموضوع الواحد».

منهج البحث فى التفسير الموضوعى[٩]:

إن التفسير الموضوعى للمعنى الأول (اختيار موضوع وجمع ما يتصل به من آيات) له عدة مناهج تكاد تتفق كلمة العلماء عليها، ويمكن أن تكون ملامح تلك المناهج على النحو التالى:

١ - اختيار الموضوع القرآنى المراد دراسته دراسة موضوعية.

٢ - حصر الآيات التى تدور حول هذا الغرض القرآنى، وجمعها كلها، مكّيها، ومدنيّها.

٣ - ترتيب هذه الآيات حسب نزولها على النبى ﷺ مع الوقوف على أسباب نزولها.

٤ - التعرض لمعرفة مناسبات هذه الآيات فى سورها.

٥ - تكوين الموضوع بجعله فى إطار متناسب، وهيكل متناسق، تام البناء، متكامل الأجزاء، قائم الأركان.

٦ - تكميل الموضوع بما ورد من حديث الرسول ﷺ، إن احتاج الأمر ذلك حتى يكمل له هيكله، ويزداد وضوحا وبيانا.

٧ - دراسة هذه الآيات دراسة موضوعية متكاملة، تجانس بينها، وتوفق بين عامها وخاصها ومطلقها ومقيدها، وتؤاخى بين متعارضها، وتحكم بناسخها على منسوخها، حتى تلتقى جميع هذه النصوص فى مصب واحد، دون تباين أو اختلاف أو إكراه لبعض الآيات على معان لا تتحملها.

ولاشك فى أن عصرنا الحاضر وما يفرضه من دواعى السرعة يجعل الباحث فى التفسير فى أمس الحاجة إلى التفسير الموضوعى للوصول إلى بغيته، فلم يعد المسلم المعاصر يستطيع الإفادة من التفسير التحليلى الموجود فى كتب التفسير المتاحة، لعمق هذه التفاسير من جهة، ومن جهة أخرى لضحالة ثقافة مسلمى هذا العصر فى مجال علوم القرآن، فليس فى وسع كل أحد أن يكون عارفا بالمكى والمدنى، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والمطلق والمقيد، وأسباب النزول، وما إلى ذلك من علوم لابد من الإحاطة بها قبل الشروع فى التفسير.

المراجع:

١ - د. عبدالجليل عبدالرحيم، التفسير الموضوعى للقرآن فى كفتى الميزان، عمان: بدون ناشر، ١٩٩٢، صفحة ٢٤.

٢ - د. زياد خليل محمد الدغامين، منهجية البحث فى التفسير الموضوعى للقرآن الكريم، عمان: دار البشير، ١٩٩٥، صفحة ١٤.

٣ - د. عبدالستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعى، القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامية، ١٩٨٦، صفحة ٣٣.

٤ - د. مسموع أحمد أبو طالب، المنهج الموضوعى فى التفسير، ط٢، القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ١٩٨٦، صفحة ١٤.

٥ - د. عبدالحى الفرماوى، البداية فى التفسير الموضوعى، ط٢، القاهرة: مكتبة جمهورية مصر بالحسين، ١٩٩٧، صفحة ٥٢.

٦ - مروان الباسل، دراسة موضوعية فى سورة الزمر، رسالة ماجستير قدمت إلى كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، ١٩٨٦، صفحة ٥٣.

٧ - د. زياد الدغامين، مرجع سابق، صفحة ١٤ - ١٥.

٨ - د. عبدالحى الفرماوى، مرجع سابق، ص٦٢.

٩ - د. مصطفى رجب، فيض المنان فى علوم القرآن، القاهرة: المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات، ١٩٩٩م.

دور قراء القرآن الكريم والمبتهلين في الحفاظ على اللغة العربية

أ.د/ عبدالرازق عبدالحميد حويزى

لغتنا العربية هى الأساس المتين الذى نبنى عليه صرح حياتنا، والمرآة التى تنعكس على صفحتها الصقيلة مظاهر حضارتنا، والمحيط الزاخر الذى ننهل منه علومنا، ونستمد منه مبادئ شريعتنا وأسس عقيدتنا، فلغتنا العربية هى فكر أمتنا، وقلبها النابض، ووجدانها الصادق، وهى الوجه النير لأصالة ماضى أجدادنا، والجانب المضىء لعظمة حاضرنا، والأمل الزاهى لمستقبلنا المشرق الزاهر، ومن ثم يجب علينا أن نحافظ عليها وأن نزود عن ساحتها بكل ما نملك من جهد ووقت، وأن نرد عنها كيد الأعداء والحاقدين، وسهام الخصوم والمارقين.

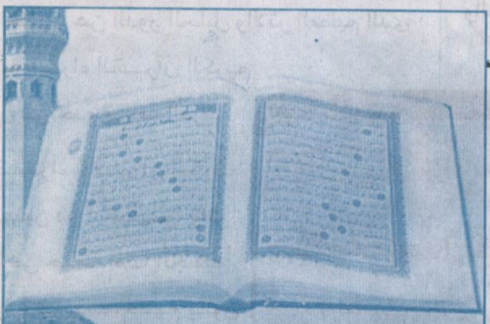

ولن يتأتى لنا ذلك إلا بالعكوف على دراستها دراسة عميقة تستوعب كل علومها، وفروعها، ومسائلها، ودقائقها، ورحم الله - عز وجل - الدكتور «طه حسين» فقد قال: «إن المثقفين العرب الذين لم يتقنوا معرفة لغتهم ليسوا ناقصى الثقافة فحسب، بل فى رجولتهم نقص كبير ومهين أيضا».

ومما لا ريب فيه أن هناك علاقة وطيدة بين اللغة العربية والدين الإسلامى لا ينكرها إلا حاقد أو عدو لدود لهما، فاللغة العربية هى اللسان الذرب لهذا الدين، والبحر الذى يضم بين شاطئيه كل دقائقه، والوسيلة التى تساعد على نشره وترسيخه فى أفهام العامة والخاصة، وتظهر الآصرة القوية والعلاقة الحميمة بين الدين الإسلامى والقرآن الكريم واللغة العربية فى أنه لا إسلام بلا قرآن، ولا قرآن بغير اللغة العربية.

هناك علاقة وطيدة بين اللغة العربية والدين لا ينكرها إلا حاقد أو جاحد

وما من شك فى أن للقرآن الكريم أثرا عظيما فى اللغة العربية، فقد وحد لهجاتها، وهذبها من أساليب الركاكة

والابتذال والتعقيد بنوعيه اللفظى والمعنوى، وحافظ على نظامها الصوتى والأدائى، ونقاها من اللحن الخفى والجلى.

ولسنا بصدد الحديث عن أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية، فهذا أمر أدركه وأقر به الجميع، وإنما بصدد الحديث عن الدور الجليل والأثر العظيم الذى يقوم به قراء القرآن الكريم والمبتهلون فى خدمة اللغة العربية.

انتقال القرآن الكريم مشافهة بطريقة متواترة حفظ للغة العربية أصواتها ونسقها الأدائى

إن لقراء القرآن الكريم والمبتهلين دورا خطيرا وأثرا محمودا فى خدمة لغتنا الجميلة، ولا غرابة فى ذلك، فهم يتلون كتابا عجز الثقلان كل العجز عن الإتيان بمثله، إنهم يتلون كتابا بلغ الذروة فى الفصاحة والبيان، والإعجاز والإيجاز، كتاب الله ـ عز وجل ـ الذى قال عنه ـ تبارك وتعالى ـ: **﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾** يوسف: آية ٢، وما ظننا بمن يتلو أشرف كتاب، وأرقى أسلوب فى البلاغة والبيان، إنه ليحتشد له احتشادا، ويحاول بكل ما أوتى من طاقة، وما منح من موهبة أن يتلوه حق تلاوته امتثالا لقوله ـ تبارك شأنه ـ: **﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾** البقرة: آية ١٢١.

إن القارئ الذى يجند نفسه لخدمة كتاب الله ـ جل ثناؤه ـ إنما يقوم بجهد رائع مشكور ودور بارز محمود ـ بقصد أو من غير قصد ـ فى خدمة اللغة العربية، وذلك لأن السامعين يكونون منصتين له أتم الإنصات، ومتجاوبين معه أثناء تلاوته ـ لاسيما إذا كان عذب الصوت رخيمه ـ فيحفظون منه كثيرا من الألفاظ الجزلة الفصيحة الرصينة التى تبتعد كل البعد عن الابتذال، والسوقية، والغرابة، وتنافر الحروف، وكذلك يحفظون منه كثيرا من جمل القرآن الكريم، وآياته التى تمتاز بالسلاسة والعذوبة، وحسن السبك، والسلامة من اللحن الخفى والجلى، ولا ريب أن ما حفظه السامعون من الألفاظ الفصيحة، والجمل الدقيقة، والعبارات البليغة يظل عالقا بذاكرتهم، محفوظا بأذهانهم إلى أن يأتى الوقت الذى يفرض عليهم أن يستعينوا به ويوظفوه فى أحاديثهم. ومن هنا يأتى دور القراء والمبتهلين فى حفظ اللغة، وما من شك فى أن انتقال القرآن الكريم مشافهة بطريقة متواترة عبر العصور حفظ للغة العربية أصواتها وحروفها، وضبط لها حركاتها، ونظامها الصوتى ونسقها الأدائى، والقراء هم همزة الوصل بين كتاب الله والبشر. ونسمع الآن عبر شبكة إذاعة القرآن الكريم المصحف المرتل الذى يؤدى دورا جليلا فى حفظ اللفظ القرآنى بوجه خاص واللغة العربية بوجه عام، وصيانة اللسان العربى من الزلل والخطأ، ويعد هذا أثرا من آثار القراء فى اللغة العربية.

ومن آثار القراء والمبتهلين فى اللغة العربية أيضا أنهم يحافظون على نقاء اللغة وصفائها فهم يحذرون كل الحذر ـ أثناء تلاوتهم ـ من الوقوع فى اللحن بنوعيه، ويراعون أصول التلاوة الجيدة،

والأداء الراقى، هذا بالنسبة للقراء، أما المبتهلون فنلاحظ أنهم يعمدون فى إنشادهم إلى القصائد الدينية، التى تنهض على أساس من الفصاحة والبلاغة، وتحتوى على تراكيب سليمة، وأساليب قوية، وموسيقى آسرة، وفى توصيل ذلك للسامعين والجمهور خير وبركة على اللغة، إذ يعمل على حفظها نقية، وثباتها واستمرارها فصيحة، وفى ذلك محاولة لا تنكر آثارها الحميدة على اللغة العربية.

ومن هذه الآثار أيضا أنهم يقومون بدور بارز فى المحافظة على الصفات الصوتية للغة العربية؛ إذ يقبل القارئ والمبتهل - على حد سواء - بحماس شديد على دراسة صفات الحروف، ومخارجها، ومقاطعها، والنبر بأنواعه: الديناميكى، واللحنى، والإيقاعى، ويحاولان توظيف ما درساه لخدمة التلاوة والابتهال، ومن المسلم به أن السامع إذا لاحظ القارئ أو المبتهل وهو ينطق حرفا بطريقة مرققة أو مفخمة حاول أن يقلده، وكذلك إذا لاحظهما وهما يخرجان الحرف كذا من مخرج كذا حاول أن يفعل مثلهما، وكذا إذا لاحظ منهما - ومن القارئ على وجه الخصوص - تطبيقا لقواعد التجويد من إدغام، وإخفاء، وإقلاب، وقلقلة، وروم، وإشمام بذل طاقته ليحذو حذوهما.

ومن آثار القراء والمبتهلين التى لا تنكر فى خدمة اللغة العربية أثرهم فى الحفاظ على موسيقية اللغة العربية، حيث إن القارئ قبل أن يتقدم للقراءة يكون قد درس المقامات الموسيقية، والدرجات الموسيقية المختلفة: (دو)، و(فا)، و(صول).. وتأثيراتها النفسية، كما درس التنغيم والسلاسل الكلامية التى تؤدى إلى الوضوح السمعى.. ولاشك أن دراسة علم الموسيقى بالنسبة للقارئ والمبتهل تصقل موهبتهما، وترفدهما بالألحان الآسرة، والتشكيلات الموسيقية التى تمس شغاف قلوبنا؛ ومن ثم يعود النفع العميم على اللغة حيث أن المبتهل والقارئ يعملان جاهدين لإبراز موسيقى اللغة، ويبذلان جهدا واضحا فى المحافظة عليها، وكل ذلك يعد خدمة كبيرة يقوم بها القراء والمبتهلون تجاه لغتنا الجميلة.

للقرآن الكريم أثر عظيم فى توحيد لهجات العربية ونأى بها من أساليب الركاكة

وأثر القراء والمبتهلين فى توحيد لهجات اللغة العربية ملموس، فمن المعروف أن لكل بيئة لهجتها فى التخاطب فيما بينهم، فللسعودى لهجته وطريقته فى نطق الحروف، وللعراقى لهجته، وللإيرانى لغته التى تختلف فى جوهرها عن لغة المصرى، وللباكستانى لغته التى تختلف عن لغة السورى ولكنهم جميعا عندما يتلون القرآن الكريم يرجعون بكل حرف منه إلى أصله العربى الصحيح، ويراعون الأصول المرعية فى التلاوة الجيدة من إظهار الحروف، وإخراجها من مخارجها الصحيحة، وتمييز بعضها من بعض، والتركيز على المشدد منها، ومراعاة غنتها، وترقيقها أو تفخيمها، ومد ممدودها، وتوفية حركاتها، ومن خلال هذا الدور

استطاع القراء والمبتهلون أن يحدوا من انتشار وتعدد اللهجات العربية واختلافها وتباينها على الرغم من اختلاف البيئات، واتساع الأقطار، واختلاط الشعوب بغيرها، وتداخل اللغات فى بعضها، وأن يجمعوا الناس على لهجة واحدة تكون قبلتهم وحجر زاويتهم فى التخاطب والتعامل فيما بينهم.

وأثر القراء والمبتهلين فى توضيح معانى اللغة ظاهر وواضح لكل ذى عقل حصيف، وقلب سليم، فأصول التلاوة الجيدة تقتضى الالتزام بالوقف حيث يتم المعنى، لا عندما يحلو للقارئ أو المبتهل، ولا عندما ينتهى النفس منهما، فلا يفصل القارئ فى قراءته - والمبتهل أيضا - بين المبتدأ والخبر، أو الفعل والفاعل والمفعول، أو الصلة والموصول، أو الجار والمجرور، أو النعت والمنعوت، أو المضاف والمضاف إليه، أو الحال وصاحبها، أو فعل الشرط وجوابه، أو القسم وجوابه، أو المشبه والمشبه به، إن القارئ إذا حافظ على الوقف والابتداء فى قراءته جاءت واضحة المعانى، ظاهرة الدلالات، وكثير من القراء والمبتهلين يراعون ذلك، بل إن بعضهم ليذهب إلى ماهو أعمق من ذلك، فيحاولون أن يحملوا أنفسهم شظف البحث والتنقيب عما يوسع دائرة المعانى، ويكثفها ويثريها، وكأنى بهم يتطلعون إلى تفسير آيات القرآن الكريم، وهم يتلونها، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة، أسوق منها مثالين:

أ - سمعت المرحوم الشيخ «محمد رفعت» وهو يتلو قول الحق - تبارك وتعالى - فى سورة لقمان: **﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾** لقمان: آية ١٣، فقرأ القارئ من بداية الآية إلى أن وقف على لفظ الجلالة، وهذا وقف جائز، وبه يتم المعنى، ولو بدأ القارئ بعد ذلك وقرأ: **﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾**، لكان ذلك حسنا، ولكن القارئ ذهب إلى ماهو أحسن من ذلك وأجود، حيث بدأ قراءته بقول الله - عز وجل -: **﴿بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾**، ومن هنا نلاحظ أن القارئ استفاد من حرف الجر (الباء)، ووظفه توظيفا حسنا حيث جعله حرف قسم، وكأن سيدنا «لقمان» - رضى الله عنه وأرضاه - أقسم بالله لابنه بأن الشرك ظلم عظيم، ومن ثم يكون القارئ بذلك قد هول من خطورة الشرك، وحذر من آثاره الوخيمة.

ب - وسمعت الشيخ «محمد عبدالعزيز حصان» ذات مرة وهو يتلو آخر سورة الأحقاف وأول سورة «محمد» ﷺ والذى يلفت النظر ويسترعى الانتباه أن الشيخ قرأ آخر سورة الأحقاف وأول سورة «محمد» ﷺ فى نفس واحد مع ترك البسملة هكذا: **﴿فهل يهلك إلا القوم الفاسقون الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾** وكأنه يريد أن يقول: إن القوم الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، وكأنى به يريد أيضا أن يلمح إلى العلاقة القائمة والتناسب الحاصل بين سور القرآن الكريم كما وردت فى ترتيب المصحف الشريف.

وقصارى القول وحماداه أن قراء القرآن الكريم يقومون بدور بارز وجهد مشكور فى توضيح معانى اللغة العربية وإظهارها واضحة جلية، ومحاولة إثرائها وتكثيفها، وكيف لا تكون معانى ما ينطقونه جلية وقريبة من الأذهان وهم يراعون الأسس السليمة فى النطق، ويحرصون على تطبيق كل قاعدة يتطلبها الأداء الإقرائى.

ثورة يوليو والعلمانية

أ. د. محمد عمارة

ليس هناك خلاف على أن «العلمانية» قد نشأت نشأة غربية.. وأن مفهومها قد وفد إلى بلادنا ضمن ما وفد من فكر الحضارة الغربية الذى عرفناه فى ظل هيمنة الاستعمار الغربى على بلادنا.

وهذه الحقيقة التى لا خلاف عليها، تدعونا ـ ونحن نبحث عن المدلول الحقيقى لمصطلح «العلمانية» ـ أن نلتمسه لدى أهلها.. فهم ـ وحدهم ـ «أهل الذكر» الذين يجب أن نسألهم عن هذا المضمون، كى لا نقدم لهذا المصطلح المضامين التى تضلل الباحثين والقراء؟!..

وفيلسوف «العلمانية» هوارد بيكر Howard baker قد صاغ مصطلح «العلمانى» secular كى يقابل مصطلح «المقدس» Sacred.. فالدولة العلمانية، إذن هى المقابل والنقيض للدولة الدينية، والمجتمع العلمانى هو المقابل والنقيض للمجتمع المقدس.. و«المقدس» هنا ليس المقابل لـ«الدنس»، وإنما هو المقابل لـ«التطور ـ والمتجدد»، لأنه ـ فى عرف «بيكر» ـ منحصر فيما هو «دينى أو روحانى أو إلهى أو كنسى» ـ **فالعلمانية، إذن، هى الفكر والدولة والمجتمع النقيض للكهانة وادعاء النيابة عن السماء والحكم بالحق الإلهى وفرض الجمود والثبات الدينى على ماهو متغير ومتطور بالطبع من شئون الدنيا والدولة والمجتمع.. ذلك هو مضمون «العلمانية» كما تحدد فى مواطن نشأتها، ولدى الذين صكوا مصطلحها Secularism فى فكر الحضارة الغربية(١).. ومن هنا كان فصل الدين عن الدولة أخص خصائصها.**

● وإذا كان هذا هو مضمون مصطلح «العلمانية»، فواضح كل الوضوح **أنها: رد الفعل المناقض لـ«الثيوقراطية» فى الفكر والدولة والمجتمع.. فالثيوقراطية Theocracy هى نقيض العلمانية، والمبرر الوحيد لإفرازها ووجودها.. ومن هنا كان ويكون التبشير بالعلمانية فى حضارة وبيئة ينكر دينها ويبرأ تاريخها من الكهانة والمؤسسات الدينية المقدسة والزعم بوجود قوانين جامدة تحول بين الواقع الدنيوى وبين التطور.. كان التبشير بالعلمانية فى حضارة وبيئة كهذه لا يخرج عن «ضلال العاشقين للغرب»، الداعين إلى التبعية لحضارته، وإلى صب حاضرنا ومستقبلنا فى قوالبه، حتى ولو تباينت المقدمات والمنطلقات والملابسات؟!**

● وإذا كانت حضارتنا العربية الإسلامية ـ باستثناء المذهب

الشيعى - لم تعرف الفكر الثيوقراطى، ولا تطبيقاته، ولا مؤسساته الكهنوتية المقدسة ذات الرأى الواحد، والمزعوم أنه رأى السماء.. ومن ثم لم تعرف كذلك النشأة الطبيعية للفكر العلمانى.. فإن الادعاء بعلمانية مصر الحديثة والنهضة العربية المعاصرة، هو ادعاء غريب عن حقائق الفكر ووقائع التاريخ..

● وإذا كان الغرض من هذه الصفحات هو اختبار هذا الادعاء بالنسبة لثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م وفكر قائدها جمال عبدالناصر. فإننا نود أن ننبه إلى أن هذا الادعاء - ككل فكر متهافت وموقف خاطئ - قد جمع أطرافا يثير اجتماعها الغرابة والاستغراب!..

الادعاء بعلمانية مصر الحديثة والنهضة العربية المعاصرة ادعاء غريب عن حقائق الفكر ووقائع التاريخ

فأهل الجمود والغلو من فصائل الحركة الإسلامية يصعدون بدرجة الخلاف بين ثورة يوليو وبين (جماعة الإخوان المسلمين) من «المستوى السياسى» - السلطة والحكم - إلى «المستوى الدينى» فيحكمون على الثورة وقائدها بـ«العلمانية» و«اللادينية»؟!..

والأستاذ الدكتور لويس عوض - فى دراسته عن «قصة العلمانية فى مصر» - يقف على ذات أرض جماعات الجمود والغلو الدينى، عندما يتحدث عن علمانية عبدالناصر وثورة يوليو؟!..

وإذا كانت الأدبيات السياسية الحديثة تعلمنا أن لا غرابة فى اجتماع النقيضين على الموقف الخاطئ - كما يحدث كثيرا فى الاتفاق الموضوعى بين أقصى اليمين وأقصى اليسار - فإن هذه الصفحات ستتخذ من «دراسة» الدكتور لويس عوض السبيل للتحقق من صدق هذا الادعاء.. ادعاء علمانية ثورة ٢٣ يوليو وقائدها جمال عبدالناصر.. ولعلها بذلك التفنيد لهذا الادعاء من خلال مناقشة أدلة «غلاة المتغربين» - الذين يمثلهم الدكتور لويس - تلفت الانتباه إلى هذا «الاتفاق غير المقدس» بين «الإخوة الأعداء»!..

إن تصور تراثنا فى الفكر السياسى وتاريخ الدولة الإسلامية على أنه «ثيوقراطية فى الفكر» و«دولة دينية».. هو تصور خاطئ اجتمع عليه وتبناه أهل الغلو والجمود من «الإسلاميين» و«المتغربين» جميعا؟!..

ولذلك، فإن نقض دعوى علمانية ثورة ٢٣ يوليو من خلال فحص «أدلة» الدكتور لويس عوض. هو نقض لهذه الدعوى التى يطرحها شركاء الموقف الخاطئ من أهل الغلو فى فصائل الإسلاميين!..

ويبقى الهدف: الوصول إلى حقيقة موقف الثورة وفكر قائدها من الإسلام.. ومن ثم من العلمانية..

***

يرى الدكتور لويس عوض فى دراسته عن (قصة العلمانية فى مصر) أن تنظيم «الضباط الأحرار»، الذى فجر وقاد ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م هو من حيث الفكر والأصول - تنظيم «ثيوقراطى»!.. فهو، عنده، «سبيكة» تشكلت من مجموعة الضباط المتأثرين بالأحزاب والجماعات والتنظيمات «الثيوقراطية»: (الإخوان المسلمين) و(مصر الفتاة - الحزب الاشتراكى) و(الحزب الوطنى الجديد)..!

وهى التنظيمات التى تنتسب إلى (الحزب الوطنى) الذى أسسه مصطفى كامل، فى مطلع القرن العشرين، والذى يرى فيه الدكتور لويس عوض، اقتداء بأستاذه سلامة موسى: حزب «الثيوقراطية»، المناوئ «للوطنيين التقدميين» الذين «اختاروا الاستعمار الإنجليزى المتحضر» بدلا من العلاقة مع الدولة العثمانية الجاهلة.. وموقف هذا الحزب، فى رأى سلامةموسى هو «ردة عن الفكرة الوطنية بالعودة إلى جامعة الإسلام»(٢)!.. وفى رأى لويس عوض «رجعية ناوأت الوطنيين العلمانيين التقدميين الذى اختاروا الاستعمار الإنجليزى المتحضر»!..

ذلك هو «النسب الفكرى» لتنظيم «الضباط الأحرار»..كما رآه الدكتور لويس: واحد من التنظيمات «الثيوقراطية».. ظهر «كسبيكة سرية.. بين الضباط الأحرار، كان أبوها الروحى عزيز المصرى باشا.»(٣).

وهو يرى أن تنظيم «الضباط الأحرار» قد احتفظ «بثيوقراطية» إلى ما بعد قيام الثورة.. «فعندما قامت ثورة سنة ١٩٥٢م كانت أغلبية الضباط الأحرار ومجلس قيادة الثورة ذات ميول للحزب الوطنى أو لمصر الفتاة أو للإخوان المسلمين.. وهى التنظيمات الشمولية.. التى تمثل الجناح الثيوقراطى فى الثورة العربية..»(٤).

لكن الدكتور لويس حرصا منه على أن يصور لقارئه أن مصر الحديثة كانت دائما علمانية، وأن مشاريعها النهضوية كانت كلها علمانية، وأن زعامتها التاريخية كانوا دائما علمانيين.. ذهب ليوهم القارئ أن جمال عبدالناصر (١٣٣٦ - ١٣٩٠هـ - ١٩١٨ - ١٩٧٠م) قائد تنظيم «الضباط الأحرار» وزعيم الثورة، قد تحول من خلال الصراع بينه وبين (جماعة الإخوان المسلمين) من «الثيوقراطية» إلى «العلمانية».. فكانت مصر الناصرية علمانية.. يقول: «لقد أصبح عبدالناصر، مع كل تحرك جديد ضد (الإخوان) أكثر علمانية فى تفكيره وفى أساليبه العملية.. ولقد استغرق دعوة الوحدة الإسلامية فى دعوة الوحدة العربية وفى دعوة الاشتراكية العربية.. وهما أكثر علمانية.. وحتى بعد كارثة الهزيمة فى سنة ١٩٦٧تشبث عبدالناصر بأسلحته العلمانية حتى وفاته سنة ١٩٧٠م.. ومن أجل هذا يجب أن نصف المرحلة الناصرية بأنها الحقبة العلمانية الرابعة فى تاريخ مصر»(٥).

تلك هى كلمات الدكتور لويس، وهذه هى دعواه: تنظيم ثيوقراطى، يفجر ثورة ثيوقراطية تقودهما زعامة ثيوقراطية.. ثم يحدث التحول من الثيوقراطية إلى العلمانية من خلال الصراع مع (جماعة الإخوان المسلمين) لتصبح مصر الناصرية إحدى حقب مصر العلمانية - (ولاحظوا أن الرجل لم يكلف نفسه النظر فى هذه المعادلة غير المعقولة: تنظيم ثيرقراطى يتحول للعلمانية، بسبب الصراع مع تنظيم آخر مثله فى الثيوقراطية)؟! لكن.. لنتجاوز عن هذه المفارقة.. ونسأل: ما هو نصيب هذه المقولة من الصدق الفكرى والتاريخى؟؟..

***

بادئ ذى بدء، نجد لزاما علينا أن نتنبه إلى المنزلق الذى لا يكف الدكتور لويس عن الوقوع فيه.. فالرجل صاحب عقل قد «ضرب فى أوروبا» وعشقه للحضارة الغربية وولاؤه لها قد بلغ درجة الممثل الماهر الذى تجاوز مرحلة «توصيل» الدور و«أداء» النص، فأصبح «يعيش فيه»!.. فإذا كانت الصراعات التى شهدتها «الدولة» فى أوروبا مع «الكنيسة» كانت صراعات «دينية»، لأن الكنيسة مؤسسة كهنوتية مقدسة تحتكر، بحكم اللاهوت الكنسى، جميع حقوق التفسير للدين والحديث باسمه. إذا كان هذا هو حال وطبيعة صراع «الدولة» مع «الكنيسة» فى أوروبا.. صراع بين «العلمانية» وبين «الدين» وطبيعته «دينية»، فإن

الدكتور لويس يصب صراع ثورة ٢٣ يوليو مع الإخوان المسلمين فى ذات القوالب الأوروبية، ويخلص إلى أن هذا الصراع قد تحول بعبدالناصر ومصر الثورة من «الثيوقراطية» إلى «العلمانية».. ولقد تجاهل الدكتور لويس خصوصية الشرق والإسلام فى هذه القضية.. وأكثر من هذا تجاهل أن حقيقة الصراع بين قيادة الثورة وبين الإخوان لم يكن صراعا على الدين ولا خلافا على الانتماء إليه والولاء له، وإنما كان صراعا سياسيا - وليس دينيا - دارت رحاه حول الحكم والسلطة، أى الفريقين أحق بها، وأقدر على القبض على مقدراتها!..

ونحن إذا تتبعنا فكر ثورة ٢٣ يوليو إبان مراحل صراعها مع (الإخوان المسلمين) ونظرنا إلى موقفها من الإسلام، وجدنا من الأدلة الشاهدة على هذه الحقيقة مالا تستوعبه هذه الصفحات..

● ففى ٥ سبتمبر سنة ١٩٥٤م، وإبان الصراع بين الثورة و(الإخوان) يخطب عبدالناصر، فيقول: «هم يقولون القرآن دستورنا، ونحن: نخلع الملك، ونقضى على الفساد والظلم الاجتماعى، ونحقق الجلاء. فهل هذا الذى نعمله خروج على القرآن؟!»(٦).

فالخلاف بين الفريقين ليس على القرآن، بل إن ما بينهما هو «مزايدة» على القرآن؟!

● وفى ٢٢ مارس سنة ١٩٦٦م أثناء المرحلة الثانية من الصدام العنيف بين الثورة و(الإخوان) - ممثلين فى تنظيم المرحوم سيد قطب (١٣٢٤ - ١٣٨٦هـ - ١٩٠٦ - ١٩٦٦م) - يخطب عبدالناصر فيقول: «لم تكن الرجعية أبدا شريعة الله، ولكن شريعة الله كانت دائما هى شريعة العدل»!(٧).

فأين هى العلمانية عند عبدالناصر الذى يقول إنه والثورة الملتزمون حقا بشريعة الله، وليس الإخوان المسلمين؟!..

● وفى ٢٢ فبراير سنة ١٩٦٢م، يخطب عبدالناصر فى ذكرى وحدة مصر وسوريا، فيقول: «إن الإسلام ثورة. والتضامن الإسلامى تحتاجه الشعوب»(٨).

وعن ذات القضية يتحدث فى خطاب ٢٨ مايو سنة ١٩٦٢م قائلا: «بالنسبة للروابط الإسلامية، إحنا طبعا أشرنا فى «الميثاق» إلى الإسلام والروابط الإسلامية، ولقد أشير إلى هذا من أول يوم من أيام الثورة فى كتاب فلسفة الثورة»(٩).

فأين هو ذلك التحول عن الروابط الإسلامية، واستغراقها فى الوحدة العربية «الأكثر علمانية»، كما يقول الدكتور لويس.

لقد التزم عبدالناصر، والتزمت الثورة بالتصور الذى تحدث عنه كتاب (فلسفة الثورة) حول الدوائر التى تتحرك فيها مصر: الدائرة الوطنية، فالعربية، فالإسلامية.. وهى دوائر يسلم كل منها للآخر، دونما تناقض أو تضاد.. ولم تكن الوحدة العربية، فى فكر الثورة ولا فى ممارساتها نهاية المطاف، ولا الدائرة التى تلغى روابط الجامعة الإسلامية والتضامن مع عالم الإسلام.. وفى هذا المعنى يقول جمال عبدالناصر فى خطاب ٢٧ مارس سنة ١٩٦٧م: «**إن الأمة العربية لا ترى أى تعارض بين قوميتها العربية المحددة وبين تضامنها القلبى والأخوى مع الأمم الإسلامية**، أى أن العربية بقواها الثورية التقدمية، لا ترى فى الإسلام عائقا عن التطور، بل تراه بحس وإيمان، دافعا لهذا التطور»(١٠).

● ومن الذى يستطيع أن يغفل دلالة زيادة تركيز عبدالناصر على دور الدين فى عملية إنهاض الأمة لمواجهة الهزيمة التى حلت بها فى يونيو سنة ١٩٦٧م؟.. لقد عاش عبدالناصر السنوات التى أعقبت الهزيمة، ولا هم له أكبر من بناء القوة الضاربة القادرة على تحقيق النصر وإزالة عار الهزيمة.. والذين يطالعون خطبه وأحاديثه، وخاصة إلى الجنود والضباط، **يلمسون التركيز**

على دور **الإيمان والتدين** فى هذا العمل الكبير الذى ختم الرجل به حياته.. ففى حديثه إلى الجنود والضباط فى ١٠ مارس ١٩٦٨م يقول: «**عاوز كل عسكرى يكون مؤمن بالدين وبالمبادئ والقيم**، ولازم التوجيه المعنوى يعمق هذه المعانى، ويجعل **عامل الإيمان بالله أساسى فى توعية الجندى، وهذا الإيمان الذى يملأ قلب كل واحد يدفعه أن لا يتردد فى وقت الشدة**. وقد لمستم ذلك فى المعركة، وعشتم أيامها، وأدركتم قوة المبادئ والإيمان»(١١).

وفى خطابه، فى اليوم التالى - ١١ - ٣ - ١٩٦٨م يتحدث عن عوامل النصر، فيقول: «**بالإرادة والإيمان بالله، والثقة بالنفس، وبالتدريب وبالجهد وبالعلم نستطيع أن نحيل الهزيمة إلى نصر**»(١٢).

● بل إننا لواجدون فى فكر الثورة ما يقطع «بوعيها» بقيام العلاقة بين «الدين» الإسلامى وبين «الدولة» الأمر الذى يجعل الحديث عن علمانية هذه الثورة وقائدها ضربا من التزييف لحقائق الفكر ووقائع التاريخ.

ففى المذكرة الإيضاحية لقانون «تطوير الأزهر» رقم ٦٠٣ بتاريخ ٢٢ يونيو سنة ١٩٦١م نقرأ هذه العبارة ذات الدلالات الهامة: «**إن الإسلام، فى حقيقته لا يفرق بين علم الدين وعلم الدنيا، لأنه دين اجتماعى ينظم سلوك الناس فى الحياة** ليحيوا حياتهم فى حب الله عاملين مؤثرين فى المجتمع فى ظل طاعة الله.. والإسلام يفرض على كل مسلم أن يأخذ بنصيبه من الدين والدنيا، **فكل مسلم يجب أن يكون رجل دين ورجل دنيا**»(١٣)؟!

فهذه العبارات، التى تضمنتها هذه الوثيقة الرسمية من وثائق حكومة الثورة، حاسمة، لا فى نفى العلمانية - بمعنى فصل الدين عن الدولة - فقط، وإنما هى حاسمة فى **نقض العلمانية وفى العداء لها**»؟!..

وفى كلمات عبدالناصر نجد ذات المعنى ونفس الموقف.. ففى خطابه فى ٢٨ يوليو سنة ١٩٦٣م، يقول: «فيه ناس بيقولوا: إن الإسلام دين رجعى. وأنا أقول: أبدا، الإسلام دين تقدمى، **هو دين التطور والحياة. الإسلام يمثل الدين ويمثل الدنيا، لا يمثل الدين فقط، الإسلام هو دين العدالة الاجتماعية**»(١٤).

وعندما تخرج إذاعات بعض النظم العربية، المناوئة لعبدالناصر تتهكم على اعتماد الثورة وقائدها على الفكر الإسلامى، يتناول عبدالناصر هذه القضية - فى ذات الخطاب - ٢٨ - ٧ - ١٩٦٣م فيعلن أن علاقة الدين بالدولة فى وطن الأمة العربية هى حقيقة تاريخية.. وأن هذه الأمة على امتداد تاريخها، لم تمكن لحاكم خارج على الدين من السلطة والسلطان فى بلادها.. يقول عبدالناصر «**طول عمر هذه المنطقة العربية تمسكت بالدين، وطول عمر هذه المنطقة العربية دافعت عن الدين، وطول عمر هذه المنطقة تدافع عن الدين، ولم تمكن أى خارج عن الدين من أن يكون صاحب سلطة فيها..**»(١٥)؟!

فأين هى «العلمانية»، ياترى، تلك التى يتحدث عنها الدكتور لويس؟!.. وأين وجدها؟

تلك هى حقيقة المشروع الذى قال عنه الدكتور لويس: إنه «الحقبة العلمانية الرابعة فى تاريخ مصر» الحديثة؟!

.. وهاهو ذا فكر الثورة، من خلال فكر قائدها.. ومن خلال وثائقها القانونية، شاهد صدق وعدل على نفيها للعلمانية، بل وعدائها لمضمونها الأساسى، وهو «فصل الدين عن الدولة»؟!

***

وأكثر من «فكر الثورة» فى نفى العلمانية تقوم «ممارساتها»، و«الواقع» الذى ورثته وطورته وأضافت إليه - مع الحفاظ على طبيعته - وكلها شواهد على أن الحديث عن علمانية مصر الناصرية هو ضرب من تزييف حقائق الفكر ووقائع التاريخ.

● فالمساجد الجديدة التى ارتفعت مآذنها فى سماء مصر الثورة تنفى عنها العلمانية.

● والنمو الملحوظ فى ميزانيات الأوقاف شاهد ثان من شهود الواقع على إسلامية مصر الثورة..

● وقيام منظمة المؤتمر الإسلامى شاهد ثالث.

● ولجان إحياء التراث الإسلامى، وما أضافت للمكتبة الإسلامية من كنوز تراث الإسلام، شاهد رابع..

● و«المجلس الأعلى للشئون الإسلامية» وسلاسل الكتب الإسلامية التى أصدرها.. وأنشطته بين الشباب المسلم، شاهد خامس.

● والمراكز الإسلامية التى أقامتها مصر الثورة، وأنفقت عليها خارج حدودها شاهد سادس.

● والعداء للفكر المادى.. ومنع تدريسه للبعثات التى ذهبت لتدرس فى المجتمعات الماركسية شاهد سابع.

● واهتمام الإذاعة المسموعة والمرئية بالفكر الإسلامى، شاهد ثامن.

● والحرص على إبراز الخلاف مع الماركسية حول: التدين، ودور الدين فى النهضة.. شاهد تاسع.

● والتوسع فى التعليم الإسلامى، من خلال الأزهر وجامعته ومعاهده الدينية، شاهد عاشر.

وهى شواهد، تضاف - مع مثيلاتها الكثيرة - إلى فكر الثورة وقيادتها، لتجسد لنا حقائق الفكر ووقائع التاريخ فى مصر ثورة ٢٣ يوليو.. وهى الحقائق والوقائع التى تقول:

لقد كان المشروع الناصرى مشروعا قوميا، يلى فى التاريخ ويتماثل فى الأهمية مع مشروع محمد على باشا، وسابقه مشروع الناصر صلاح الدين الأيوبى (٥٣٢ - ٥٨٩هـ - ١١٣٧ - ١١٩٣م).. وهذا المشروع الناصرى، وإن لم يكن إسلاميا خالصا، فإنه بالقطع ليس علمانيا.. وإنما هو خطوة على درب الإحياء لذاتية الأمة الحضارية، ولخصوصيتها المتميزة - وهى ذاتية - وخصوصيته يمثل الإسلام الحضارى جوهرها - إحياء هذه الذاتية وإبراز هذه الخصوصية فى مواجهة الغرب، وفكريته العلمانية، وتحدياته التى فرضها على وطن العروبة وعالم الإسلام.. ومن هنا، فإن هذا المشروع القومى الناصرى هو خطوة هامة، من الناحية الموضوعية، نحو «أسلمة» الحياة والنهضة فى عالم الإسلام.. ومن هنا جاءت مواجهة الغرب لهذا المشروع على نفس المستوى الذى واجه به المشاريع النهضوية التى سبقته على درب النهضة والتحرر والإحياء..

تلك هى حقيقة المشروع الذى قال عنه الدكتور لويس: إنه «الحقبة العلمانية الرابعة فى تاريخ مصر» الحديثة؟!..

الهوامش:

١ - انظر فى هذا المصطلح ومشتقاته ومضامينه: (معجم العلوم الاجتماعية) طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥م، و(قاموس علم الاجتماع) طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م.

٢ - سلامة موسى (اليوم والغد) - والنص فى (الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر) - للدكتور محمد محمد حسين جـ٢ ص٢١٥.

٣ - مجلة (المصور) العدد ٣٠٧٦ فى ٢٣ /٩/ ١٩٨٣م. و(تاريخ الفكر المصرى الحديث) - من عصر إسماعيل إلى ثورة سنة ١٩١٩م جـ١ ص١١٢. طبعة القاهرة سنة ١٩٨٠م.

٤ - مجلة (المصور) العدد ٣٠٧٨ فى ١٩٨٣/١٠/٧م.

٥ - المرجع السابق.

٦ - خطاب جمال عبدالناصر. انظر: رفعت سيد أحمد (الدين والدولة والثورة) ص٨٨ - كتاب الهلال - القاهرة سنة ١٩٨٥م.

٧ - المرجع السابق ص٩١.

٨ - المرجع السابق ص١١٣.

٩ - المرجع السابق ص ١١١.

١٠ - المرجع السابق ص٨٢.

١١ - المرجع السابق ص٩٤.

١٢ - المرجع السابق ص٩٥.

١٣ - المرجع السابق ص١٩٥.

١٤ - المرجع السابق ص ١١٠.

١٥ - المرجع السابق ص١٠٩.

الأسرة فى التشريع الإسلامى

- رعـايـة الشـبـاب فى ضوء السنة الشريفة
- محاسن الإسلام ومزاياه فى تشريعات المرأة (٧)

رعاية الشباب في ضوء السنة الشريفة

أ.د. أحمد عمر هاشم

لقد عنى الرسول ﷺ برعاية الشباب عناية فائقة، باعتبارهم طلائع الأمة، وعدتها فى الجهاد، وفى العمل والنهوض، وباعتبارهم رجال المستقبل، وأسبق فئات المجتمع إلى قبول دعوات الإصلاح.

ومن ناحية أخرى باعتبارهم قوة قد تتأجج بالخير إذا وجهت إليه، وقد تنزع إلى الشر، إذا تركت وأهملت.

ومن هنا حرص الرسول ﷺ على تنشئة الأبناء على أساس من العقيدة الصحيحة، والعبادة السليمة، وتقوى الله تعالى منذ نعومة أظفارهم، حتى إذا شبوا وكبروا كانوا متعودين على العبادات، وعلى طاعة الله تعالى، وكانت سائر أعمالهم وعلاقاتهم بغيرهم نابعة من محيط إسلامى نقى.

وأول ما ينبغى أن يتعلمه الأبناء من العبادات - بعد معرفة الله تعالى - هو إقامة الصلاة.

قال ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم فى المضاجع**» رواه أحمد وأبو داود والترمذى.

فيجب على المسلم أن يوجه ابنه ويأمره بالصلاة عقب تمام سبع سنين إذا كان الطفل مميزا، وإلا فعند التمييز، ويضربه ضربا غير مبرح على تركها وهو ابن عشر سنين، أى بعد تمامها، واعتقد جماعة من الشافعية أن الضرب يجب فى الشروع فى العاشرة، لأن الضرب عقوبة، والعشر من احتمال البلوغ بالاحتلام، وفى هذه السن يقوى عوده ويحتمل.

أولا: جانب التربية:

ولما كان لتربية الشباب أثرها البالغ فى الشباب أنفسهم، وفيمن يؤثرون فيهم بعد ذلك جيلا فجيلا، كانت نظرة الإسلام إلى تربية الشباب وتوجيه القوى الكامنة فيهم بعيدة المدى، وبحيث تقدم تربيتهم على أى عمل آخر حتى ولو كان صدقة.

أوصى الرسول ﷺ بتنشئة الأبناء على أساس العقيدة الصحيحة والمبادئ السليمة

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع»** رواه الترمذى.

ويجعل هداية الوالد لولده، وتوجيهه له التوجيه السليم أفضل هدية يقدمها الآباء للأبناء.

قال ﷺ: **«ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن»** رواه الترمذى.

ومن أهم ما ينبغى أن يغرس فى نفوس الأبناء، من فضائل الإسلام وآدابه: خلق الصدق، فإذا ما نشأوا عليه وألفوه منذ الصغر كبروا عليه. فكانوا صادقين صالحين فى سائر أقوالهم وأعمالهم.

عن عبدالله بن عامر قال: دعتنى أمى يوما، ورسول الله ﷺ قاعد فى بيتنا - فقالت: تعال أعطك، فقال لها ﷺ: **ما أردت أن تعطيه؟** قالت: أردت أن أعطيه تمرا. فقال لها: **«أما إنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة»** رواه أبو داود.

ومن أجل أن يشب الأبناء على سائر معانى الإسلام وفضائله، كانت الرعاية بغرس البر والخير والرجولة فيهم منذ صغرهم لها أهميتها، ومن ذلك: تحية الإسلام، وهى **«السلام»**.

عن أنس رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم، وقال: **«كان رسول الله ﷺ يفعله»**.

ولم تدع السنة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام جانبا من جوانب التربية والرعاية إلا واشتملت على وصايا وتعاليم فيه ترقى بالشباب وتهذب من سلوكهم، ومن ذلك: جانب قد يغفل عنه بعض الآباء فى تربية أبنائهم، بدافع العاطفة والرحمة والإشفاق، وهو أدب المائدة، وعندما يتناول الأبناء الطعام، هنا يوجه الرسول ﷺ النظر إلى ضرورة مراعاة البدء فى الطعام باسم الله وأن يأكل الإنسان مما يليه.

عن أبى حفص عمر بن أبى سلمة ربيب رسول الله ﷺ قال: كنت غلاما فى حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدى تطيش فى الصحفة، فقال لى رسول الله ﷺ: **«ياغلام سم الله تعالى وكل بيمينك، وكل مما يليك، فمازالت تلك طعمتى بعد»** رواه البخارى ومسلم.

ويوصى الإسلام باليتيم، لأنه فى حاجة ماسة إلى العناية والرعاية والرحمة.

قال تعالى: **﴿فأما اليتيم فلا تقهر* وأما السائل فلا تنهر﴾** الضحى: الآيتان ٩، ١٠.

وقال سبحانه: **﴿أرأيت الذى يكذب بالدين* فذلك الذى يدع اليتيم* ولا يحض على طعام المسكين﴾** الماعون: الآيات ١ -٣.

وقال ﷺ: **«أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما»** رواه البخارى.

كما خص الإسلام البنات بمزيد رعاية وإشفاق، باعتبارهن ضعيفات، وباعتبار أهميتهن

فى تكوين الأسرة، فالأسرة أساس المجتمع، والفتاة عندما تكبر وتصبح أماً فإن أهميتها بالغة ففى أحضانها تنمو عواطف الأبناء، وتترعرع أخلاقهم، لذا كان لها مزيد عناية واهتمام، عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: دخلت على امرأة ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندى شيئا غير واحدة فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل ثم قامت فخرجت فدخل النبى ﷺ علينا فأخبرته فقال: **من ابتلى من هذه البنات بشىء فأحسن إليهن كن له سترا من النار»** رواه البخارى ومسلم والترمذى.

خلق الصدق من أهم ما ينبغى غرسه فى نفوس الأبناء من فضائل الإسلام وآدابه

وهكذا، يكون جانب التربية، كواحد من جوانب رعاية الشباب فى ضوء السنة المشرفة.. ورأينا أنه يقوم على ترسم أسس العقيدة والدين الحق فى قلوب الشباب وعقولهم، وأخذ بمعانى الإسلام وقيمه، وتربيتهم تربية صحيحة، يستقيم منه سلوكهم وسيرهم فى الحياة.. ثم ننتقل بعد ذلك إلى الجانب الآخر وهو تحمل المسئولية، أو بعبارة أخرى: جانب العطاء فإن الجانب السابق هو جانب الأخذ، تتمثل فيه التوجيهات والنصائح المستقيمة.

ثانيا: جانب تحمل المسئولية:

وتقع على عاتق الشباب مسئولية كبيرة، تبدأ بنفسه وشبابه، فإن المرحلة التى يمر بها الشباب من حياتهم يجب عليهم أن يغتنموها، قبل أن يغزوهم الهرم والمشيب، فيضعفوا عن القيام بمهام الحياة التى نيطت بهم، وتفلت منهم المرحلة الذهبية فى تحمل المسئولية وفى عطائهم لأمتهم الإسلامية، وقد حثت السنة الشريفة على اغتنام هذه المرحلة قبل ضياعها، كما يجب اغتنام غيرها من فرص الحياة الكريمة التى يمكن أن تثرى بها قوة الأمة وإنتاجها، والبذل والتضحية والإنفاق والعمل والسعى فى كل دروب الحياة، يجب اغتنام كل هذا.

عن عمر بن ميمون قال: قال رسول الله ﷺ: **«اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»** رواه أحمد.

والإنسان مسئول عن هذه المرحلة من حياته، مرحلة الشباب، فيم أبلاها، وكيف قطعها، إنها فترة القوة والنشاط والحيوية، ويمكن للإنسان أن يستغل شبابه الفتى فى كثير من أوجه الحياة النافعة، فى الخير والإصلاح، فى التقوى والعمل الصالح، فى الإنتاج فى كل ما يدفع بموكب الحياة الإنسانية قدما إلى الأمام، وفى كل ما يجعل الحياة تسعد وتزدهر. إنه مسئول عن كل ذلك، فقد منحه الله تعالى هذه القوى الدافقة، ليستغلها فى خيره وخير الإنسانية، أما إن سخرها فى غير ما ينفع نفسه ولا ينفع المجتمع، وتباهى بقوته، ووجهها للفحشاء والمنكر، أو الظلم والعدوان. أو لمصلحة نفسه الخاصة، فغلفها بالأنانية والأثرة فإنه مسئول أيضا عن كل ذلك.

عن أبى داود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه» رواه أحمد.

وقد أعد الله تعالى منزلة عالية للشباب الذى ينشأ فى طاعة الله، إنه من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشاب نشأ فى طاعة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه» رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى.

تؤكد السنة النبوية الشريفة على ضرورة قيام كل شاب قادر بالعمل وأداء الواجب المنوط به

والإسلام إذ يحمل الشباب المسئولية ويكلفه بالواجب، إنما يحمله ذلك بعد اكتمال نضجه، ولا يحاسبه إلا بعد بلوغه، أما قبل ذلك فقد رفع القلم عنه.

قال ﷺ: «رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى حتى يبرأ، وعن الصبى حتى يكبر» رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم.

وفى رواية عن على وعمر بلفظ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبى حتى يحتلم» رواه أحمد وأبو داود والحاكم. وقد حرص الرسول ﷺ على توجيه الشباب توجيها سديدا، وتحميلهم مسئولية الحياة بالزواج وتكوين الأسرة الذى يدفع إلى الكسب والعمل، فوجههم توجيها يملك عليهم أقطار نفوسهم، ويكبح جماحهم، ويهديهم سواء السبيل فناداهم بالوصف القائم فيهم، الداعى لهم أن يصيخوا السمع ويرهفوا الإحساس إلى ما سيلقى عليهم بعد من توجيه، فناداهم بوصف الشباب قائلا: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» رواه البخارى ومسلم.

ففى الزواج العصمة من الزلل، والمحافظة من الانزلاق فى وحل المعصية، أو التردى فى مهاوى الفساد، فإنه أغض للبصر فيكفه عن النظر إلى ما حرم الله، وأحصن للفرج، فتكون به العفة وسلامة الخلق والدين وحماية الأعراض، هذا بالإضافة إلى ما فيه من السكن والمودة والرحمة.

وفى طريق تحمل المسئولية، ينبغى أن يكون اتجاه الشباب على أساس من العقيدة الصحيحة،

استعانة بالله وتوكلا عليه.

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: كنت رديف رسول الله ﷺ يوما فقال: ياغلام إنى أعلمك كلمات: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام وطويت الصحف**» رواه الترمذى.

وفى سبيل تحمل الشباب للمسئولية، تركز السنة الشريفة على قيام كل شاب قادر بالعمل، وأداء الواجب المنوط به، والسعى على المعاش، فيقوم بالعمل الذى يعف به نفسه، ويؤدى ما وجب عليه حيال أهله وعشيرته، وإن كان له أبوان كبيران وهكذا.. بل إن مثل هذا العمل الشريف الرائد المعتبر فى سبيل الله، له من المثوبة والمنزلة ما للمجاهد.

مر رجل على رسول الله ﷺ، فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلد ونشاط فقالوا: يارسول الله، لو كان هذا فى سبيل الله؟ فقال الرسول: «**إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان**» (الترغيب والترهيب).

وقد وضح الرسول ﷺ للشاب الذى جاءه يستأذنه فى الجهاد قيمة مسئولية العمل من أجل بر الوالدين فقال له: **أحىٌ والداك؟** قال نعم قال: **ففيهما فجاهد**.

ويتفرع جانب المسئولية ـ فى الشباب ـ من ناحية السعى والكسب، والجد والعمل إلى ناحية الجهاد فى سبيل الله، والرمى فى سبيل الله، وتعلم الوسائل المساعدة على ذلك. فيقول ﷺ: «**علموا أبناءكم السباحة والرماية**» رواه الديلمى وابن منده.

ويوضح قيمة الصناعة الحربية، التى تكون فى سبيل الله ومن أجل إعلاء الحق، وقيمة الرماية، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانع يحتسب فى صنعته الخير، والرامى به، ومنبله، وارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا، ومن ترك الرمى بعد ما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها، أو قال: كفرها**» رواه أبو داود.

وعن سلمة بن الأكوع قال: مر النبى ﷺ على قوم ينتضلون فقال: «**ارموا بنى إسماعيل، فإن أباكم كان راميا ارموا وأنا مع بنى فلان، فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال لهم الرسول ﷺ: ما لكم لا ترمون؟ قالوا: كيف نرمى وأنت معهم، فقال: ارموا وأنا معكم جميعا**» رواه البخارى.

ثم يتفرع جانب المسئولية ـ فى الشباب ـ إلى ناحية ثالثة هى الناحية الإنسانية، تلك الناحية التى تتمثل فى التعاون ومساعدة الضعفاء وكبار السن.

يقول الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ: «**ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه**» رواه الترمذى عن أنس.

ذلك أن من المعلوم أن الصحة نعمة من النعم يجب أن يؤدى صاحبها حقها من المساعدة للضعفاء، ومعاونة كل محتاج وكبير.

يقول الرسول ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**» رواه البخارى.

محاسن الإسلام ومزاياه فى تشريعات المرأة (٧)

أ. د. عبدالعظيم المطعنى

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤) ﴾

البقرة : آية ٢٣٤

الحكمة من تشريع العدة التأكد من خلو الرحم من الحمل من الزواج السابق

فى هذه الآية يخطو القرآن خطوة أخرى فى بيان أحكام المرأة.

والموضوع الذى تتحدث عنه الآية هو الزوجة التى توفى زوجها وهى فى عصمته، ومتى تحل هذه المرأة لزوج جديد.

يعنى: بيان العدة الفاصلة بين زواج ماض انتهى بموت الزوج، وزواج جديد.

وموضوع العدة بوجه عام التى يجب أن تقضيها المرأة إذا زالت عصمة زواجها بسبب الطلاق أو موت الزوج، من الأمور التى أولاها القرآن عناية فائقة، وحدد مُدَدها تحديدا دقيقا ولم يتركه لاجتهاد المجتهدين.

وهذه العدد كما وردت فى القرآن - عموما - هى:

- ثلاث حيضات أو ثلاثة أطهار لذوات الحيض.
- ثلاثة أشهر لليائسات من المحيض.
- وضع الحمل للحوامل.
- أربعة أشهر وعشر ليالى لمن يتوفى عنها زوجها.

وقد حرَّم الإسلام خطبة النساء وهن فى عدتهن تحريما قاطعا جازما، وعلة الحكم فى إيجاب العدة هى زوال العصمة الزوجية بسبب الطلاق أو وفاة الزوج، أما حكمة تشريع العدة فهى التأكد من خلو رحم المرأة من الحمل من الزواج السابق.

وعلة الحكم هى السبب المنشئ للحكم نفسه أما حكمة تشريع الحكم فهى الثمرة الناجمة عن تطبيق الحكم فى الواقع.

وبهذا تسقط كل الدعاوى الذاهبة إلى إلغاء العدة بكل أنواعها، والاكتفاء بإيقاع الكشف الطبى لمعرفة ما إذا كان الرحم مشغولا بحمل من الزواج السابق أم غير مشغول. وقد ذهب إلى هذا بعض المؤتمرات الحديثة الخاصة بشئون المرأة. لأن استبراء الرحم من حمل سابق ليس علة الحكم الموجب للعدة. بل هو - كما تقدم - حكمة وتشريع أما علة الحكم فهى انفصام العلاقة الزوجية، وهو أمر موجود يقينا فى جميع الأحوال. وعدم التمييز بين علة الحكم وحكمة مشروعيته هو الذى أوقع المؤتمرات فى الخطأ الذى تقدم.

وعضوات المؤتمر اللاتى أوصين بإلغاء العدة وإحلال الكشف

الطبى محلها ما كان لهن أن يتعرضن لأمور لا علم لهن بها لا من قريب ولا من بعيد.

ومن أحكام العدة بكل أنواعها أن تترك المعتدة التزين وألا تخرج من بيتها إلا للضرورة القصوى كالعلاج مثلا إذا تعذر القيام به فى البيت. ولذلك لم يجز لها الشرع الخروج للطاعات الواجبة كتأدية فريضة الحج أو العمرة.

والحكمة فى ترك المعتدة الزينة والخروج، أن الشريعة حرمت ـ كما تقدم ـ خطبة المعتدة وهى فى عدتها. وممارستها للزينة وكثرة الخروج تعرضها للأنظار، وهى ذريعة لأن يتقدم لها الرجال للخطبة تمهيدا للزواج بها.

وفى هذه الإجراءات صون للمرأة عن التبذل وسرعة تنقلها بين الأزواج بلا فواصل زمنية بين زوج قديم وزوج جديد. كأنها سلعة تباع وتشترى، وهذا ينافى كرامتها الإنسانية.

***

وعدة المتوفى عنها أطول العدد ـ ما عدا وضع الحمل غير المحدد تحديدا مطردا ـ لأن عدة المتوفى عنها زوجها محددة بثلاثين ومائة يوم. ووضع الحمل قد يكون مساويا لها، أو أطول أو أقل.

أما بقية العدد فهى إما ثلاثة أشهر (تسعون يوما) أو ثلاث حيضات أو ثلاثة أطهار، وهى تعادل الأشهر الثلاثة فى عدة اليائسات من المحيض.

الحكمة الشرعية فى طول عدة المتوفى عنها زوجها إذاً:

بعض الفقهاء التمس وجها مقبولا لطول عدة المتوفى عنها زوجها، بيانه هو الآتى:

أن عدة المطلقة لا تتجاوز الثلاثة أشهر سواء كانت من ذوات الحيض أو من اليائسات من المحيض.

وأن المطلق إذا تزوجت مطلقته بعد انقضاء عدتها مباشرة، ثم أنجبت طفلا أو طفلة بعد زواجها فى زمن يحتمل أن المولود من الزواج الأول المطلق. فإن أباه، وهو على قيد الحياة قادر على منازعة الزوج الثانى ورفع الأمر إلى القضاء لإثبات نسبة المولود، وأن القضاء قادر على التحقق من صحة هذه الدعوى أو بطلانها بالأدلة وقرائن الأحوال.

ولو جُعلت عدة المتوفى عنها زوجها ثلاث حيضات أو ثلاثة أشهر، ثم تزوجت بعد انقضاء عدتها مباشرة ثم أنجبت من مدة يظن أن المولود من الزوج المتوفى، امتنعت المنازعة القضائية لوفاة صاحب الشأن، وترتب على هذا نزع مولوده منه، ونسبته إلى الزوج الثانى زورا وبهتانا.

لذلك أطال الشرع عدة المتوفى عنها زوجها إلى ثلاثين ومائة يوم، حماية لحقوق الزوج المتوفى لأن هذه المدة تكون بعد نفخ الروح فى الجنين بعشرة أيام. ويكون ظهور الحمل خلالها ظهورا بينا، ويعرف أن الجنين قطعا تابع فى النسب للزوج المتوفى، فلا يترتب على هذا نزاع ولا اختلاط أنساب. وهذا فهم طيب كما ترى، وأن الشرع إذاً أقام من نفسه محاميا عن حقوق الزوج المتوفى ولنا أن نقول ونحن واثقون مما نقول أن هذا الإجراء يعتبر وجها من وجوه الإعجاز التشريعى فى القرآن الحكيم وصدق الله العظيم القائل فى وصف كتابه العزيز وفى بيان مصدره: ﴿**فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله..**﴾ هود: آية ١٤.

***

وفى عدة المتوفى عنها زوجها خلاف مشهور عند الفقهاء إذا كن حوامل، لأن الله ـ عز وجل ـ قد بين أن عدة الحوامل هى أن يضعن حملهن فقال: ﴿**وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن**﴾ الطلاق: آية ٤.

وفى آيتنا هذه حدد القرآن عدة المتوفى عنها زوجها بـ«أربعة أشهر وعشرا».

فإذا كانت المتوفى عنها زوجها غير حامل فلا خلاف أن عدتها «أربعة أشهر وعشرا».

ولكن إذا كانت حاملا. فهل عدتها وضع حملها

كما ورد فى آية الطلاق؟ أم عدتها «أربعة أشهر وعشرا»؟

لا يمكن أن تكون عدتها «أربعة أشهر وعشرا» إذا كانت حاملا ولم تضع بمرور «أربعة أشهر وعشرا» أما إذا وضعت قبل «أربعة أشهر وعشرا» فذهب بعض الفقهاء إلى انتهاء عدتها بالوضع. ولو وضعت بعد وفاة زوجها بيوم واحد. وهذا مذهب صحيح لا حرج من اعتماده والعمل به.

وقال آخرون عدتها فى هذه الحالة أقصى الأجلين يعنى إذا وضعت قبل «أربعة أشهر وعشرا» فلا تحل للأزواج إلا إذا أتمت «أربعة أشهر وعشرا»، وإذا بلغت «أربعة أشهر وعشرا» وهى لاتزال حاملا انتظرت حتى تضع حملها. وهذا كذلك مذهب وجيه.

أما فى الحالة الوسطى، وهى وضع الحمل قبل أربعة أشهر وعشرا، فإن أقصى الأجلين هنا هو انتظار مرور المدة المحددة بـ«أربعة أشهر وعشرا» يكون لا وجاهة له شرعا، وأحرى بالرد، لأنه لا يترتب عليه إجراء شرعى مقبول.

وللتوفيق بين الآيتين نقول:

- إن تحديد عدة المتوفى عنها زوجها بأربعة أشهر وعشرا يكون المراد به الزوجات غير الحوامل.

- وقوله تعالى: **﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾** عام فى جميع الحوامل سواء كن مطلقات أم توفى عنهن أزواجهن.

وبعد انقضاء العدة فلا حرج على اللاتى كن معتدات أن يخرجن لحوائجهن، وأن يتزين بما يليق بهن فى بيوتهن أو خارج البيوت فى غير ريبة.

ونلف نظر القراء الكرام إلى لمحات بلاغية من أسرار البيان القرآنى المعجز. ذلك أن القرآن أثبت نفى الحرج عن المخاطبين وهم جماعة المسلمين فى قول الله الحكيم **﴿فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف﴾**.

وكان الأصل أن يقال: **﴿فلا جناح عليهن﴾**، أى على الزوجات المعتدات عدة وفاة أزواجهن، يعنى أن ما يفعلن فى أنفسهن من زينة غير فاحشة، والخروج من بيوتهن بعد بلوغ الأجل، وهو مدة العدة فالحرج مرفوع عنهن، ومع هذا أوقع البيان القرآنى نفى الحرج على جماعة المسلمين المخاطبين بهذا الخطاب التشريعى الكريم.

فما السر فى العدول عن إيقاع نفى الحرج عن الزوجات إلى إيقاعه على المخاطبين وهم جماعة المسلمين، أو المجتمع الإسلامى بمعناه العام؟

السر هو أن التكاليف الشرعية فى الإسلام من أوامر ونواهٍ وإن كان المخاطب بها الأفراد المكلفون فإن رعايتها والحفاظ عليها مسئولية المجتمع الإسلامى كله، وليست المسئولية عنها محصورة فى الأفراد، لأن الأفراد قد يتهاونون فى امتثال الأوامر، واجتناب النواهى فإذا حدث هذا التهاون من بعض الأفراد وجب على جماعة المسلمين تقويم هذا الاعوجاج الواقع من بعض الأفراد. وطريق تقويم هذا الاعوجاج أمام جماعة المسلمين أمران:

الأول: الأمر بالمعروف، ويكون إذا ترك الأفراد أو بعضهم امتثال الأوامر الشرعية الواجبة النفاذ. سواء كان سند إيجابها القرآن الكريم، أو سنة رسوله الكريم، أو أجمع عليها علماء الأمة فى أى عصر من العصور.

الثانى: النهى عن المنكر، ويكون إذا ارتكب بعض الأفراد شيئا نهى الله عنه، أو نهى عنه رسوله، أو قام على تحريمه إجماع الأمة لهذا الهدف العظيم قال الله تعالى: **﴿فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف﴾**.

ولم يقل: فلا جناح عليهن. ليحمل كل المسلمين مسئولية تنفيذ الأحكام الشرعية.

***

﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا

قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم﴾ البقرة: آية ٢٣٥.

فى هذه الآية أباح الله - عز وجل - التعريض فى خطبة النساء وهن فى عدتهن من طلاق أو وفاة زوج سابق.

وهذا استثناء من أصل عام، هو حرمة خطبة أى امرأة وحرمة العقد عليها وهى فى العدة، ومن يفعل ذلك يفسخ نكاحه وتحرم عليه المرأة حرمة مؤبدة حتى الموت عقابا له على استعجال نكاح المعتدة قبل انقضاء عدتها.

والحكمة فى ذلك هى حماية الأنساب من الاختلاط كما تقدم، وحماية المرأة من سرعة التنقل بين أحضان الأزواج. وفى هذا امتهان لإنسانيتها.

وفى حالة المعتدة من طلاق بائن بينونة صغرى يجوز للزوجين مادامت المرأة فى العدة أن يعودا لحياتهما الزوجية إذا راجعها زوجها وهى فى العدة، أو العقد عليها عقدا جديدا بعد انقضاء العدة.

ولولم يحرم الإسلام التزوج بالمطلقات وهن فى العدة لامتنع عودة المطلق إلى زوجته عن طريق المراجعة. وقد يكون بينهما ذرية ضعاف، فيتعرضون للضياع.

هذا الأصل العام بما فيه من حكم تشريعية استثنى منه الإسلام التعريض بالخطبة فى أثناء العدة، فكان مطلع الآية: **﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء﴾**، يعنى فى أثناء العدة.

والتعريض هو إظهار المراد بغير لفظه الموضوع له فى أصل اللغة، وهو ضد التصريح ويعرف البلاغيون التعريض بأنه:

- «فهم المعنى عند اللفظ لا به».

وللتوضيح نقول: إذا ضمك مجلس فيه عاق لوالديه فقلت: أنا لم أعق والدى، لأن عقوق الوالدين قبيح. كان قولك هذا تعريضا للعاق بوالديه وتذكيرا له بقبح عقوق الوالدين. فأنت أفهمت السامع قبح عقوق الوالدين الذى يتصف به أحد الموجودين فى المجلس. بذكرك هذه العبارة دون أن تصرح بأن «فلانا» هو العاق لوالديه. وفى هذا الأسلوب تكلف فى إفهام المعنى المراد وكذلك قول من يقول لك: أنا جائع. فإنه تعريض بحاجته إلى الطعام، فقد أفهمك أنه فى حاجة إلى أن تطعمه، لكن بخفاء فى الدلالة وهذا هو معنى قول البلاغيين:

التعريض هو: فهم المعنى عند ذكر اللفظ لا به أى لا باللفظ نفسه.

هذا هو التعريض الذى أباحه الله فى خطبة المرأة وهى فى عدتها من زوج سابق يعنى يجوز لمن يريد الزواج بها أن يعرض لها برغبته فى الزواج منها بعد انقضاء عدتها وكرر العلماء عبارات كثيرة فى هذا الشأن كأن يقول لها أو لولى أمرها: سيسوق الله لك خيرا، أو إنى أفكر فى أن تكون لى زوجة، أو يذكر منزلته فى المجتمع أو غناه وحب الناس إياه.

ومن القصص التى ذكروها فى هذا الشأن ما رووه عن سكينة ابنة حنظلة: قالت: «دخل على أبو جعفر وأنا فى عدتى فقال يابنت حنظلة: قد علمتى قرابتى من رسول الله ﷺ.. فقالت: غفر الله لك ياأبا جعفر تخطبنى فى عدتى وأنت يؤخذ عنك، يعنى يقتدى بك الناس، فقال: أو قد فعلت؟ إنما أخبرتك بقرابتى من رسول الله ﷺ.

وعلى كل فإن إظهار الرغبة فى الزواج من المعتدة فى أثناء عدتها إذا لم يكن صريحا مكشوفا فلا حرج فيه، سواء كان التعريض به غامضا أو فيه شىء من وضوح.

وقد أذن الله فيه، ورفع الحرج عنه.

وكما أذن الله فى التعريض فى خطبة النساء المعتدات أذن فى ذكرهن فى أنفس من يرغبون فى التزوج منهن، والتفكير فيهن، وهذه توسعة من الله

على راغبى الزواج، لأنهم يكونون مشغولى الفكر فيهن، وهذا من الفطرة التى فطر الله الناس عليها فمن كان عنده رغبة فى خطبة امرأة لا يفتأ يذكرها فى جميع أحواله، شغوف برؤيتها، تواق إلى معرفة أحوالها، وسماع أخبارها.

وهذا المعنى أجاد فى تصويره الشاعر الذى قال:

إذا ظهرت ليلى فكلى أعيُنٌ

وإن حدَّثوا عنها فكلى مسامعُ

يعنى إذا بدت ليلى للأنظار تحوَّل جسمى كله إلى أعين تبصر وترى، وإذاتحدث الناس عنها تحول جسمى كله إلى آذان تسمع.

من أجل هذه الغرائز النفسية، توسع الله فى الإذن لعباده راغبى الزواج من إدامة التفكير فيمن يرغبون الزواج منهن فقال: **﴿أو أكننتم فى أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن﴾**. ثم عاد إلى حظر التصريح بالرغبة فى الزواج **﴿ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا﴾**، أى قولا مأذونا فيه شرعا.

يعنى: لا تواعدوهن نكاحا باللفظ الصريح فالمراد بالسر المنهى عنه هو: النكاح، سماه سرا لأنه لا يكون إلا سرا، فى المجتمعات الراقية أخلاقيا،وهى المجتمعات والبيئات الإسلامية المتخلقة بأخلاق الإسلام وآدابه السامية أما قوله تعالى: **﴿إلا أن تقولوا قولا معروفا﴾** عودة إلى التعريض بالرغبة فى الزواج، وقد ذكر بعض الفقهاء أن من التعريض الاهداء لها دون أن يصرح بالمقصود بالهدية.

ثم أتبع هذه الإباحات بأمر جازم، هو النهى من إجراء العقد فى أثناء الخطبة فقال: **﴿ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله﴾**، والأجل هو انقضاء العدة.

والعزم هو الإقدام والتصميم على إنفاذ عقد النكاح أو تحديد موعده سواء كان فى أثناء العدة، أو بعد انقضائها.

أما معنى «الكتاب» فى قوله تعالى: **﴿حتى يبلغ الكتاب أجله﴾**، فهو الحكم الشرعى المكتوب عند الله، وهو يشمل أنواع العدة لها، وهى:

- **الحيضات الثلاث أو الإطهار الثلاثة.**
- **الأشهر الثلاثة عند اليائسات من المحيض.**
- **وضع الحمل عند الحوامل.**

وبهذا كمل الجانب التشريعى بما فيه من واجبات ورخص فى المسألة التى تتحدث عنها الآية.

***

أما بقية الآية، وهى:

﴿واعلموا أن الله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم﴾.

فهى تذكير بسنة الله فى معرض الأحكام والتوجيهات الإلهية، وهى أن الله - دائما - إذا شرع شرعا وبين حكما، أو أنزل توجيهات، فإنه يحيط كل ذلك بإطار من الأخلاق يبين فيه ثمرة التشريع والأحكام والتوجيهات لهدفين جليلين:

الأول: إشراك المخاطبين فى عقل المعنى المراد لله من التشريعات والأحكام والتوجيهات، ليكونوا على بصيرة وفقه بما شرعه الله لهم، ليؤدوا هذه «التكاليف» وهم عاقلون لمعناها، عارفون بثمارها، حتى لا تكون بمثابة طقوس جامدة جافة وحتى لا يكون المكلفون كالحمار الذى يحمل أسفار العلم، وهو أجهل ما يكون بقيمة ما يحمله.

ليس فى القرآن حكم شرعه الله، إلا وأشرك المخاطبين فى إدراك قيمته، وفهم ثمرته.

وقد تتبع بعض دارسى القرآن الكريم، وهو المرحوم الدكتور محمد عبدالله دراز عضو جماعة كبار العلماء جميع مافى القرآن من الأحكام والتوجيهات فوجدها كلها مقرونة بذكرها وآثارها الطيبة الناجمة عن تنفيذها إلا اثنى عشر موضعا خلت من هذا النهج القويم ووجد أن هذه المواضع قد ذكرت فى آيات أخرى مقرونة بثمارها وبيان المغزى منها. وذلك فى كتابه العظيم **«دستور الأخلاق النظرية فى القرآن»** وهى أطروحته لنيل درجة «الدكتوراة» التى حصل عليها من «جامعة السربون» - رحمه الله -.

من أعلام المصلحين

الكواكبى.. المصلح الثائر!

كمال عبدالوهاب

قَد ثُرتَ بالفِكرِ المنير
وَثُرتَ بالأدبِ الرَفيع
مِنْ رَوْعَةِ القَلَمِ الجَرِىء
مَعَالمَ الفَجْرِ الوَدِيع
قَلمٌ غَرزت سِنَانَه
فِى مَعْقلِ الظّلمِ المنيع(١)

تتحدد قيمة المرء ومكانته فى الحياة، وذلك:

● بقدر ما يكدّ ويكدح.. ويجدّ ويمنح.. ويشقّ وينجح!

● وبقدر ما يصارع الموج والوحش.. ويغالب الأهواء والأنواء!

وهذا يعنى أن المعيار المحايد الذى لا يعرف تحيزا ولا ميلا هو «العطاء الإنسانى» وحده، بدرجاته المتباينة - بالطبع - ومستوياته.. ذلك «العطاء» الذى يدفع بأناس إلى القمة فيصبحون أعلاما، أو يقف بآخرين عند السفح أقزاما، فضلا عن تردد أو تعثر البعض بين الأعلى والأدنى ليسوا كهؤلاء أو أولئك!

عبدالرحمن الكواكبى

وما نعرض له على هذه الصفحات هو لمصلح ارتقى مدارج المجد بعد رحلة كفاح بطولية.. طويلة وشاقة! فحقّ أن يكون خفّاقا وشهابا لامعا أضاء الطريق أمام السالكين!

لقد أدرك ما قاله الإمام العظيم «على بن أبى طالب» - كرم الله وجهه - من أن: (قيمة كل امرئ ما يحسنه). وأن (قَدْر) الرجل على قَدْر همته). وأن (من أبطأ به عمله، لم يسرع به نسبه) لذلك هجر هذا المجاهد حياة الدعة والنعيم، ولو شاء لعاش فى دعة ونعيم! ولكنه آثر مشقة الجهاد، وشظف النضال فى سبيل قومه وقوميته(٢).

لقد ترك هذا المفكر العربى بلده وأهله وأولاده وأصفياءه، وأخذ يطوف الدنيا لا من أجل تجارة أو ربح، بل فى سبيل فكرة مثالية.. فى سبيل إشاعة مبادئ الحرية فى نفوس شعوب تقاسى ألوان الجور والظلم والهوان.

ومازال فى تطوافه الملىء بالأخطار تتقاذفه من قطر إلى قطر إلى أن حطّت به المقادير على شواطئ المحيط الهندى.. ومن تلك الشواطئ دخل موطن آبائه وأجداده، دخل شبه الجزيرة العربية.

وما كان هذا العالم الجليل ليجهل ما تضمه جزيرة العرب من كنوز وخيرات، وما يقاسيه أبناؤها من بؤس وشقاء، وما عليه أمراؤها من تنابز وخصومات، فثار على الكثيرين، ودعا إلى وحدة الصف العربى ليكونوا قوة ضخمة تقف للطامعين بالمرصاد.

ترك أرض الجزيرة وفى نفسه غصة، تركها إلى كراتشى، ثم إلى بومباى.. ومن هناك إلى جاوة وسواحل الصين!

كان هذا المفكر العربى الحر يستهدف من وراء هذه الرحلة المضنية.. فكرة إثارة تلك الأمم المغلوبة على أمرها لتنهض لتكوين اتحاد شرقى يقف إزاء مطامع الغرب المستعمر!

ومن سواحل الصين عاد إلى مسقط بعمان، فسواحل بلاد العرب الشرقية، فالبحر الأحمر، فمصر!.. رجع - أخيرا - إلى قواعده سالما(٣)!

○ **تُرى من هذا المصلح الثائر؟ (اسمه - مولده - نشأته - حياته)**(٤)

هو عبدالرحمن بن أحمد بهائى بن مسعود الكواكبى، ولد فى حلب عام ١٢٧١هـ/١٨٥٤م. وقد كان والده الشيخ أحمد بهائى من البارزين فى المجتمع الشامى، وكانت أمه من أسرة عريقة فى أنطاكية. وبعد وفاة والدته (وعمره آنذاك خمس سنوات) قامت بحضانته خالته، حيث أقام معها فترة من الزمن دخل فيها مدرسة خاصة، حفظ فيها شيئا من القرآن الكريم، وتعلم التركية التى كانت شائعة فى ذلك الوقت.

فى سنة ١٢٨٢هـ عاد الكواكبى من أنطاكية إلى موطن رأسه حلب، ليدخل المدرسة الكواكبية التى كان والده مديرا لها ومدرسا فيها، فقرأ عليه مبادئ العلوم العربية والدينية، كما تلقى إلى جانب ذلك علوما عصرية. وقد كان من أساتذته فى ذلك الحين الأستاذ/ خورشيد، وهو أديب تركى أتقن الكواكبى بواسطته اللغة التركية واللغة الفارسية تكلما وكتابة، وكان ذلك مما أكسبه شهرة بين أقرانه.

وفى هذه السن بدأ يطالع بنفسه ما يقتنيه والده وما استطاع هو الحصول عليه من الكتب العلمية والاجتماعية، ومن المجلات فكان له بذلك حظ وافر من فنون السياسة والأدب والتاريخ.

حين بلغ الكواكبى مبلغ الرجال اضطلع بكثير من الأعمال، ومن أهم الأعمال التى نستطيع أن نقف عندها تلك التى تتعلق بالسياسة والاجتماع.

أصدر فى سنة ١٢٩٣هـ أول جريدة سياسية أهلية وسماها (الشهباء)، ولم يصدر منها سوى خمسة عشر عددا، فقد ألغتها الحكومة لما لها من طابع خاص هو الدعوة إلى الحرية ومحاربة الظلم والاستبداد. كما أصدر جريدة أخرى باسم (الاعتدال) باللغتين العربية والتركية، إلا أنها لم تدم أيضا.

افتتح مكتبا جعل مهمته الدفاع عن المظلومين والمضطهدين، فأحنق ذلك عليه الخليفة عبدالحميد وأوقعه فى صدام عنيف مع الولاة.. حتى إن بعضهم حرض أحد رجال الشرطة ليكتب تقريرا عن الكواكبى يدعى فيه أنه يعمل على تأليف جمعية الغرض منها مناوأة الدولة. فقبض على الكواكبى وأودع السجن وقررت عدلية حلب وجوب محاكمته بتهمة الخيانة الوطنية. فاعترض الكواكبى واستنكر التهمة، وأصر على تحويل محاكمته إلى محكمة أخرى. فحوكم - بالفعل - أمام محكمة بيروت التى برّأت الكواكبى، وأطلقت سراحه، وطلبت عزل الوالى!

عاد الكواكبى إلى حلب وحاول الخليفة أن يستميله ويجعله داعية من دعاته أو أداة من أدواته، فقام بتعيينه رئيسا لبلدية حلب ومنحه النيشان المجيدى الثالث ورتبة أزمير المجردة!

لم يطمئن الكواكبى لمقامه فى هذا القفص الذهبى وأخذ يدير فى ذهنه أمر نفسه وأمر وطنه وأمر المبادئ التى أوقف نفسه للدفاع عنها، ورأى أن خير ما يفعل هو أن يهاجر بمبادئه إلى حيث يستطيع المناداة بها والتمكين لها.

كانت مصر وجهته، فقد وصلها سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م، ودخل عضوا عاملا فى جمعية الكتّاب. ونشر كتابيه «أم القرى»، و«طبائع الاستبداد».

ومن مصر بدأ سياحاته الطويلة فى سواحل إفريقيا وسواحل آسيا، ثم عادثانية إلى مصر، وظل بها إلى أن وافاه الأجل ليلة الجمعة ٦ ربيع الأول ١٣٢٠هـ. ولم تبق جريدة أو مجلة إلا أبّنته، ورثاه الشعراء، ومن ذلك بيتان خالدان قالهما شاعر النيل حافظ إبراهيم وكتبا على قبره:

هُنَا رجلُ الدنيا هُنَا مهبط التقَى
هُنَا خَيرُ مظلومٍ هُنَا خَير كاتب
قِفُوا واقرَءوا أمّ الكتابِ وسلّموا
عَليه فَهَذا القبرُ قبرَ الكواكبى

○ **جهاده**(٥)

يتمثل جهاد الكواكبى فى مواقفه التى جسدها فكره وقلمه.. وسنعرض هنا قطوفا من بعض أعماله وآثاره من خلال مؤلفيه الشهيرين: طبائع الاستبداد - أم القرى.

- الدين واليقظة العقلية:

يقول الكواكبى طيب الله ثراه: «وقد سلك الأنبياء - عليهم السلام - فى إنقاذ الأمم من شقائها مسلك الابتداء أولا بفك العقول من تعظيم غير الله والإذعان لسواه، وذلك بتقوية حسّ الإيمان المفطور عليه وجدان كل إنسان، ثم جهدوا فى تنوير العقول بمبادئ الحكمة وتعريف الإنسان كيف يملك إرادته أى حريته فى أفكاره، واختياره فى أعماله، وبذلك هدموا حصون الاستبداد وسدوا منبع الفساد. ثم بعد إطلاق زمام العقول صاروا ينظرون إلى الإنسان على أنه مكلف بقانون الإنسانية، ومطالب بحسن الأخلاق، فيعلمونه ذلك بأساليب التعليم المقنع، وبث التربية التهذيبية.

والحكماء السياسيون الأقدمون اتبعوا الأنبياء - عليهم السلام - فى سلوك هذا الطريق وهذا الترتيب(٦).

إن اختيار الدين أساسا للإصلاح جاء عند الكواكبى من أمرين:

الأول: أنه أصلح الأشياء لأن يقوم عليه الإصلاح، مع حاجة الدين ذاته لمن يجدده فى رأس كل مائة عام.

الثانى: تلعب القوى النامية المتطورة دورها فى حركة الإصلاح الدينى، ذلك لأن هذا الإصلاح من حيث هو حركة دافعة إلى اليقظة العقلية يؤدى حتما إلى إصلاحات عديدة فى ميادين مختلفة خاصة فى الميادين السياسية.

يذهب الكواكبى إلى قدرة العقل البشرى وحقه فى فهم النصوص القرآنية واستنباط الأحكام دون الرجوع إلى أناس بأعيانهم، بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيلزم المسلم أن يستهدى بنفسه لنفسه دون أن يقلد أحدا حتى ولو كان من الأئمة السابقين. ويعجب غاية العجب من أولئك الذين يقولون بسد باب الاجتهاد.

كذلك فإن الكواكبى يشير إلى أن المجتهدين والفقهاء الأولين علمونا طرائق الاستهداء والاجتهاد والاستنباط والتخريج والتفريع وقياس النظير على النظير. وما أحد منهم دعانا إلى الاقتداء به مطلقا!.. كما فتح هؤلاء الأئمة العظام لمن بعده ميدانا واسعا، فجاء أتباعهم ومدوا الأطناب وأكثروا من الأبواب، وتفننوا فى الأشكال وتنويع الأحكام وأحدثوا علمى الأصول والكلام. إلا أن هذا التوسع كله - كما يقول الكواكبى - ليس من ضروريات الدين، بل ضرره أكثر من نفعه.

فالقول الذى فيه فصل الخطاب أن الله لم يطلب منا أن نتّبع الأعلم الأفضل، بل كلفنا بأن نستهدى من كتابه وسنة رسوله على حسب إمكاننا وطاقتنا، وهو - سبحانه - يرضى منا بجهدنا، حيث قال: ﴿**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**﴾ البقرة: آية ٢٨٦(٧).

يذهب الكواكبى أيضا إلى أمر آخر: أمر إن دل على شىء فإنما يدل على أن الكواكبى يريد أن يقف من الأحكام الشرعية عند ما ورد فيه النص، وإن تعداه فإنما إلى إجماع الصحابة فقط، أما ما عدا ذلك فهى الأمور التى يستطيع العقل أن يصول فيها ويجول. ومن هنا يوضح الكواكبى أن إجماع السابقين لا يمكن أن يكون حكما على اللاحقين.

إن الكواكبى حين ينتهى إلى أن مجال الإسلام مجال فسيح، فذلك لأنه يجعله أقدر الأديان على مسايرة النهضة ومجاراة المدنية. إنه الدين الذى يستوعب كل شىء ولا يحول بين الإنسانية والتقدم والترقى. «بناء عليه من الحكمة أن نلتمس للضرورات أحكاما اجتهادية فيأمر به الإمام فإذا ألجأ الزمان تبديلها بقول اجتهادى آخر فكذلك يأمر الإمام أو السلطان منعا للخلاف. وبنحو ذلك يسلم شرعنا من التلاعب والتضارب، ويتخلص القضاء والإفتاء من التوفيق على الأهواء، وحينئذ يتحقق أن الخلاف فى الفروع رحمة. وعلى علماء الأمة أن يقاوموا فكرة التعصب لمذهب دون الآخر، فيكون سعيهم هذا منتجا للتأليف وجمع كلمة الأمة»(٨).

الدين والسياسة

يتحدث الكواكبى عن العلاقة بين الدين والنظام الديمقراطى أى حكم الشورى. فهو يرينا أن الإسلام يكره الحكم المطلق.. يكره الاستبداد والمستبدين. ومن هنا نراه يجعل الصلاح والفساد يدوران حتما مع حكم الشورى أو الحكم المطلق.

يبين الكواكبى الأسباب التى دفعت بالمسلمين إلى طريق منحدر، فيقول: «إن إهمال المسلمين لتلك الوسائل الشريفة المؤسسة عندهم للشورى والمفاوضات والتناصح والتداعى هو عندى أعظم أسباب الفتور»(١٠).

وأهم من كل ما تقدم أن الكواكبى يجعل نظام الشورى رهنا بالرجال الأقوياء.. الأحرار.. ولذلك نراه يعلل فقد هذا النظام بفقد الحرية. فالحرية ليست إلا مجموعة من الرجال الذين يناضلون عنها ويجاهدون فى سبيلها. يقول الكواكبى: «المجد لا ينال إلا بنوع من البذل فى سبيل الجماعة، وبتعبير الشرقيين فى سبيل الله أو سبيل الدين، وبتعبير الغربيين فى سبيل الإنسانية أو سبيل الوطنية»(١١).

يا صيحةَ الأحْرَار دوّى
فى المسَامِعِ والقلُوب
فى صَوتِك الهدّار أغنيَة
المآسِى والحروب
دُكّى بِنَاء الظّلم وانْطَلِقى
بِآمالِ الشّعُوب(١٢)

الهوامش

١- من قصيدة للشاعرة عزيزة هارون، بعنوان: عبدالرحمن الكواكبى.

٢ - الدكتور مهدى علام، من كلمة بعنوان: عبدالرحمن الكواكبى، ألقيت فى احتفالات حلب، ١٩٥٩م.

٣ - الأستاذ/ محمد سعيد العريان، من كلمة بعنوان: مفهوم القومية العربية عند الكواكبى، ألقيت فى احتفالات حلب، ١٩٥٩م.

٤ - الدكتور/ محمد أحمد خلف الله، الكواكبى (حياته وآراؤه)، مكتبة العرب.

٥ - المصدر السابق.

٦ - طبائع الاستبداد، ص٨٩.

٧ - المصدر السابق، ص٨٦، ٨٧.

٨ - المصدر السابق (بتصرف)، ص١٠٨.

٩ - أم القرى (بتصرف)، ص٤٤.

١٠ - طبائع الاستبداد، ص٤٠.

١١ - من قصيدة للشاعرة عزيزة هارون، بعنوان: عبدالرحمن الكواكبى.

الحضارة والعلوم

- التـدخين بين العلم والدين
- من آيات الله فى خلق الوجـه
- سماحة الإسلام مع غير المسلمين
- مـاذا يعنى العيـد للمسلمين؟

التدخين بين العلم والدين

أ. د. محمد فتحى فرج بيومى

منذ فترة ليست بعيدة عندما كانت بعض المنتجات المستوردة تدخل بلادنا على استحياء كنا نلاحظ بعض الوجهاء والمستورين من خلق الله لاسيما مع انتهاء شهر رمضان وقرب حلول عيد الفطر المبارك يطوفون على المحال الشهيرة باستجلاب الأنواع المستوردة من السجائر الفاخرة من سلسلة طويلة من الأنواع التى لا نستطيع حصرها وذلك احتفاء بقدوم العيد وإظهارا للبهجة والفرحة بمقدمه السعيد! فهل هذا بالفعل سلوك سوى قويم لقد كان المؤمل أن ينتهزوا فرصة شهر الصيام لكى يقلعوا عن هذه العادة السيئة وهنا لا أجد ما أقوله جوابا على هذا السؤال خيرا من أن أردد مع القائل: عجبا لأناس يضيعون عقولهم ويخربون أجسادهم ويؤذون أنفسهم وهم يعلمون!

التبغ من الناحية التاريخية:

لم يكن التبغ فى يوم من الأيام حاجة فطرية ملحة كالطعام والشراب وحينما كانت تجهله البشرية لم يكن ينقصها شئ بل كانت فى منأى عن مشاكله وأخطاره ولم تعرفه إلا مؤخرا حينما استجلبه المستكشفون الأوربيون من العالم الجديد (أمريكا) فحينما نزلوا فى «سان سلفادور» وجدوا أن قبائل الهنود الحمر يشعلون أوراقه الجافة ويستنشقون دخانها أو يلفون تلك الأوراق بعضها ببعض أو يلفونها بأوراق عرانيس الذرة الداخلية أو يحشونها فى سعف النخيل ويضعون أحد طرفى اللفافة فى الفم ويشعلون الطرف الآخر ويدخنون فيتصاعد دخان التبغ من أفواههم وأنوفهم وكان ذلك المشهد مثيرا بالنسبة للوافدين الجدد. وعلى ذلك فإن اكتشاف التبغ يرجع إلى عام ١٤٩٢م حينما حصل كريستوفر كولمبوس على قدر من أوراق التبغ التى أهداها إليه السكان الأصليون فاستعملها بعض رجاله البحارة مقلدين فى ذلك الهنود الحمر فى تدخينهم وقد نقلوها معهم إلى إسبانيا كما نقلوا بذور نبات التبغ أيضا حيث بدأ بعض أثرياء

الإسبان يزرعون ذلك النبات فى حدائق منازلهم للزينة .وفى مرحلة لاحقة استعملوه لعلاج بعض الأعراض والأمراض كالصداع والزكام وغيرهما ومن ثم بدأوا فى تدخينه فانتشرت عادة التدخين فى إسبانيا أولا ومنها انتقلت إلى فرنسا عام ١٨٤٠م ثم إلى انجلترا لتعم الظاهرة كل بلدان أوربا لاسيما بعد حرب القرم ثم انتقلت إلى مصر وأفريقيا وآسيا وروسيا واليابان وسائر أقطار الأرض لتنشب أظفارها فى أجساد الجميع. وقد كان إقبال الناس على التبغ شديدا جدا حتى إن الناس قد تفننوا فى استعماله بطرق مختلفة فاستعملوه تدخينا أو مضغا واستعملوه سعوطا. ثم تنبهت له مافيا التجارة الخبيثة بإيعاز من بعض الدول التى لها مصالح فى ذلك خاصة الدول الاستعمارية التى روجت له لتجعل منه معلما من معالم المدنية الحديثة لينتشر من ثم فى كل مكان(١).

الإعلان عن مضار التدخين شابه قصور فى وسائل الإعلام المختلفة

التبغ من الناحية العلمية:

التبغ نبات يتبع الفصيلة الباذنجانية السامة Solanacea وقد وصف علماء النبات نحو ٦٠ نوعا من هذا النبات تختلف فيما بينها اختلافا بينا إلا أن أشهرها جميعا نوعان هما :نيكوتيانا توباكوم Nicotiana tobacum و نيكوتيانا روستيكا N. rustica وقد وصفهما عالم التصنيف السويدى المعروف كارل لينياس K. Linnaeus وقد أطلق اسم «الجنس»: نيكوتيانا عليهما نسبة إلى سفير فرنسا فى البرتغال مسيو «جان نيكوت» الذى تعاطى التبغ هناك وتعود عليه ثم امتدحه ووصفه للناس هناك.

والموطن الأصلى لهذا النبات كما ذكرنا آنفا هو أمريكا. والتبغ نبات حولى يصل طول نباته الجيد المزروع فى أرض مناسبة مترين تقريبا ذو ساق اسطوانية الشكل أما أزهاره فحمراء وردية جميلة وأوراقه خضراء بيضاوية لزجة كبيرة الحجم وهى التى تستعمل فى صنع التبغ. أما كلمة «طباق» Tobaccoفمشتقة من كلمة تصف الأنبوب الذى كان يستخدمه الأهالى لاستنشاق أبخرة التبغ Tobaggo وهناك من ينسبها إلى «توباجوس» إحدى مقاطعات المكسيك التى تجود فيها زراعة التبغ(٢).

مكونات التبغ:

أسفرت الدراسات الكيميائية التحليلية التى أجريت على التبغ حتى الآن عن اكتشاف ما يربو على ٣٠٠ مادة كيميائية ضارة بالتبغ بيد أن هذه المواد تختلف نسبها باختلاف نوع وطريقة استعمال التبغ ومن هذه المواد ما يلى:

١ ـ النيكوتين Nicotine :

وهى مادة قلويدية (شبه قلوية) alkaloid لا لون ولا رائحة لها فى حالتها النقية وهى مادة زيتية القوام تميل إلى اللون الأصفر عند تعرضها للهواء. ويتميز النيكوتين بسميته العالية ومن ثم خطورته على جميع الكائنات الحية .ويتميز أيضا بامتصاصية عالية فتصل نسبة امتصاصه إلى ٩٠٪ فيمن يستنشقون دخان السجائر. وعند تدخين التبغ يتم امتصاصه فى الرئتين. وتحتوى السيجارة على حوالى ٢٠ ملليجراما من النيكوتين

التدخين يصيب اللسان وقاع الفم بالتقرحات كمقدمة لحدوث السرطان

بينما تصل الجرعة القاتلة للنيكوتين إلى حوالى ٦٠ ملليجراما فقط.

والجدير بالذكر أن امتصاص النيكوتين بشكل دائم هو الذى يؤدى إلى إدمان تدخين التبغ ذلك أن امتصاص نصف ملليجراما من النيكوتين لكل كيلو جرام من وزن الجسم يوميا يؤدى إلى إعاقة عملية التخلص من هذا العقار من الجسم فالقدرة على إزالة النيكوتين من غير المدخنين تصل إلى ٥٥-٧٠٪ بينما تصل هذه النسبة إلى ٢٥-٥٠٪ فى حالة المدخنين(٣) هذا وتتباين كمية النيكوتين المستنشقة فى السجائر المختلفة كما تزداد فى حالة وجود المرشح (الفلتر)، وتصل كمية النيكوتين فى الجزء الأخير من السيجارة إلى ضعف ما يحتويه أولها.

٢ - البريدين:

وتوجد هذه المادة بكمية أقل من النيكوتين إذ ينتج الجرام الواحد من التبغ المحترق ملليجراما واحدا تقريبا من البريدين. وهى مادة أقل سمية من النيكوتين.

٣ - أول أكسيد الكربون:

تحتوى السيجارة على ٥٪ من أول أكسيد الكربون، وهو غاز سام جدا، يحرم الخلايا من نصيبها الطبيعى من الأوكسيجين حيث يؤثر على كفاءة نقل الدم لهذا الغاز الهام وذلك لقدرته الفائقة للاتحاد مع هيموجلوبين الدم مكونا مادة كاربوكسى هيموجلوبين carboxy haemoglobin التى تفقد صلاحيتها فى نقل الأكسيجين وتوصيله إلى خلايا الجسم فيؤدى ذلك إلى نقص إنتاج الطاقة فى الجسم مما يتسبب عنه الإحساس بالتعب لأداء أقل مجهود. وفضلا عن ذلك يؤدى غاز أول أكسيد الكربون، نتيجة لذلك، إلى إتلاف جدران الشرايين مما يتسبب عنه تراكم السوائل فيها ثم ترسيب الكوليسترول عليها، وهى الحالة التى تعرف بتصلب الشرايين والتى تؤثر على القلب وترفع من ضغط الدم. وقد أثبتت البحوث العلمية أن ٥٠ - ٨٠٪ من أول أكسيد الكربون الناتج من التدخين يتم استيعابه بالجسم، أما نسبة مركب كاربوكسى هيموجلوبين فى الدم فتتراوح مابين ٦ - ١٣٪ بين المدخنين بانتظام مقارنة بنسبة ١٪ فى غير المدخنين(٤).

٤ - القطران (القار):

والقطران مادة لزجة صفراء، تتولد عن التبغ المحروق (حوالى ٤٠ ملليجرام/ كج من التبغ)، وتؤدى إلى اصفرار الأسنان ونخرها، والتهاب اللثة، ويمكن ملاحظة تأثيرها فى مرشح (فلتر) السيجارة الذى يتحول بسببها إلى اللون البنى. والقار عبارة عن خليط من المركبات الهيدروكربونية كالفينول والبنزين وغيرهما. ويتحد القطران ببعض أيونات العناصر المعدنية كالحديد منتجا مادة معلقة قد تؤدى إلى تكسير الحمض النووى دنا DNA، وهو الحمض المسئول عن نقل الصفات الوراثية من الآباء إلى ذريتهم(٥) كما يترسب القطران على جدران الحويصلات الهوائية فيعوق عملية تبادل الغازات فى الرئتين، كما يؤدى إلى إتلاف الحويصلات الهوائية على المدى الطويل، ثم ينشط تكاثر هذه الخلايا بصورة

غير طبيعية فيؤدى ذلك إلى إحداث السرطان(٦) نتيجة لوجود مادة البنزبيرين ذات المفعول الأكيد لإحداث السرطان.

٥ـ مركبات الأمونيا:

يؤدى احتراق جرام واحد من التبغ إلى إنتاج من ٣-٥ ملليجرامات من مركبات الأمونيا التى تسبب تهيج والتهاب الأغشية المخاطية للفم والحنجرة والقصبة الهوائية مما يؤدى إلى حدوث السعال والبصاق فى حالة معظم المدخنين.

٦ـ العناصر الثقيلة:

تشمل هذه العناصر كلا من الكادميوم والراديوم والرصاص والبزموث. ويعتبر التبغ من المصادر الرئيسية للكادميوم فى البيئة(٧)، وهو يتراكم بشكل أساسى فى الكلى والكبد، فيؤدى ذلك إلى ارتفاع ضغط الدم كما يؤدى إلى إحداث خلل فى وظائف الكبد والكليتين.

٧ـ المبيدات الحشرية:

يتم رش نبات التبغ بعدد كبير من المبيدات الحشرية لوقايته من الحشرات، وتصل بقايا هذه المبيدات إلى رئتى المدخن، كما تم اكتشافها أيضا فى بول المدخنين. وتؤثر هذه المبيدات فى الكبد فتقل قدرته على التخلص من السموم كما تقل فاعلية الأدوية التى يتناولها المدخنون لعلاج أمراضهم(٨). ونكتفى بهذا القدر من المواد الخطيرة الناتجة عن تدخين التبغ.

مضار التدخين:

لقد تأخر الإعلان عن مضار التدخين على الرغم من الوثوق بأضراره البالغة فإن نفوذ المال القادر على طمس كل حقيقة لم يلبث أن انساب إلى خزائن الصحف وإدارات التليفزيون والإعلان فوقفت كلها مع شركات التبغ لتحارب تقارير المختصين سواء بالتشكيك فى صحتها أو بالدعاية المضللة للسجائر وعلى سبيل المثال فقد حجبت جريدة «التايمز» الشهيرة بعض رسائل الخبراء التى تبين خطورة التدخين بالأدلة العلمية(٩). أما أول وثيقة علمية رسمية فى هذا المجال فقد كتبها الجراح الأمريكى العام The Surgeon General سنة ١٩٦١وتم نشرها عام ١٩٦٤ أما تقرير كلية الأطباء الملكية البريطانية فقد تم ونشر عامى ١٩٦٢ و ١٩٧٧(١٠).

ليس أعجب من أناس يرون الحقيقة ثم يغمضون أعينهم عنها ليؤكدوا بذلك عكسها ولكن العجب يتلاشى ويزول حينما نعلم أن ما يحفزهم على ذلك هو مصالحهم العاجلة وغير المشروعة فتبا لهم ولما يصنعون .فكما أن للتبغ أعداء ألداء فله أيضا أصدقاء أوفياء ولكن الحقيقة تظهر جلية ناصعة ولو بعد حين فقد أسفرت المعركة التى نشبت لمدة طويلة بين أنصار التدخين والمعارضين له عن انتصار الفئة الأخيرة وذلك لمضاره ومساوئه على كل المستويات: على المستوى الصحى للإنسان. على المستوى الاقتصادى سواء بالنسبة للفرد أو المجتمع ـ ثم على المستوى الاجتماعى والبيئى .ولذلك فلم يكن ثمة بد من أن يجمع علماء المسلمين وفقهاؤهم وحكماء الأمم المختلفة وأطباؤهم على تحريم هذا الداء العضال والدعوة الحارة إلى التخلص من هذه العادة الضارة للوقاية من آثارها المدمرة على الفرد والمجتمع .

ـ المخاطر الصحية:

الجهاز التنفسى:

تم تحضير شرائح مجهرية لنسيج الرئتين فى آلاف من المدخنين بعد الوفاة وقد تبين فيها وجود خلايا غير طبيعية وقد ثبت ذلك حتى فى الأشخاص الذين لم تحدث وفاتهم نتيجة للسرطان. وقد لاحظ الباحثون أيضا **تضخمات** وتمزقات فى الحويصلات الهوائية كما لاحظوا أيضا أن الشرايين الصغيرة أصبحت ذات جدر سميكة. أما الأهداب الطاردة للمخاط والدقائق الغريبة فى كل من القصبة الهوائية والشعبتين

وكذلك الخلايا الواقية فى الطبقة المخاطية فقد تم تحطيمها وإتلافها نتيجة للتدخين. وقد لاحظ الباحثون أيضا النتيجة الفعلية لتلف الأهداب والخلايا المبطنة للقصبة الهوائية والشعبتين كالسعال الحاد والبصاق ذلك أن هذه التراكيب هى التى تقوم بتنظيف وتشحيم المجارى التنفسية .أما التهاب الشعب الهوائية bronchitis ومرض النفاخ emphysemaفينجم عن تنكس وتدهور فى تركيب الرئتين .هذا وتؤدى كل هذه التغيرات المرضية إلى إعاقة عملية التبادل الغازى وضيق فى التنفس أثناء الراحة أو عند بذل أقل مجهود. كما يضاعف التدخين من نوبات الربو الشعبى فى المصابين به.

أمراض القلب والشرايين:

يؤدى التدخين إلى تراكم الدهون على الجدران الداخلية للشرايين فيؤدى ذلك إلى ضيقها وتخثر الدم فى أماكن التراكم هذه فتتكون الجلطة الدموية ومن ثم تزيد احتمالات الوفاة بين المدخنين ضعفين بالمقارنة إلى غير المدخنين ممن تقل أعمارهم عن ٦٥ سنة فى الفئتين .هذا فضلا عن ارتفاع ضغط الدم مع تسارع وعدم انتظام دقات القلب. أما التعرض للإصابة باحتشاء العضلة القلبية (تكوين الجلطة فى شرايين القلب) ومن ثم حدوث الذبحة الصدرية التى كثيرا ما تتكرر بين المدخنين.

الجهاز الهضمى:

يؤدى التدخين إلى إصابة اللسان وقاع الفم بالتقرحات مع تضخمات وابيضاض فى الغشاء المخاطى كمقدمة لحدوث السرطان. كما يؤدى التدخين إلى التهاب اللثة واللسان بحيث يبدو اللسان مشعرا لطول حلماته. أما الأسنان فتتأثر بمادة القار فتتحول إلى اللون الأصفر أو البنى. كما يؤدى التدخين إلى التهابات فى الغدد اللعابية وتليفها ومن ثم تلفها. أما قرحة المعدة والإثنى عشر واضطرابات الحركة البوابية فكثيرة الحدوث نتيجة التدخين.

الجهاز العصبى:

يعمل التدخين على إثارة إفراز النواقل العصبية مثل أسيتايلكولين acetylcholine ونورإبينيفرين norepinephrine مما يجعل المتعاطى كما لو كان واقعا تحت ضغط عصبى فتسهل إثارته بأقل المثيرات التى لا يتأثر بها غير المدخنين .كما يعمل التدخين على تنبيه الجهاز العصبى خاصة فى مراكز التنفس والقئ وغيرها. أما تقليل التدخين لكمية البول فى المدخن فتتأتى عن طريق التأثير على الفص الخلفى للغدة النخامية فيزيد من إفرازه للهرمون المضاد لإفراز البول ADH فيقل إنتاج البول.

ارتفاع معدل الوفيات:

تزيد معدلات الوفيات فى الفئات العمرية المختلفة بين المدخنين مقارنة بنظائرهم من غير المدخنين عدة أضعاف وربما كان ذلك من جراء حدوث السرطان فى أماكن مختلفة فى الجسم لاسيما فى الرئتين وبعض أجزاء الجهاز الهضمى إضافة إلى المثانة البولية.

المخاطر البيئية والاجتماعية:

لن نذكر بإسهاب أن التدخين يعد من الظروف المواتية التى تسهل وقوع المدخنين فريسة لأمراض كثيرة بما لها من انعكاسات بيئية وصحية واجتماعية خطيرة. ولن نؤكد على أن انتشار عادة التدخين فى أمة من الأمم يؤدى إلى إعاقة التفوق الرياضى لشبابها ولن نشير إلى الآثار الاقتصادية الرهيبة للتدخين سواء على مستوى الفرد والأسرة أو على مستوى الدولة ككل ولن نذكر بالتفصيل المضايقات الاجتماعية التى يسببها المدخنون لغيرهم خاصة بين المتزوجين وما تسببه الروائح الكريهة للدخان من نفور وشجار فيما بينهم بيد أننا سنؤكد فقط على بعض التأثيرات المباشرة إذ تعتبر نواتج التدخين التى أشرنا إليها آنفا من أخطر الملوثات البيئية لاسيما إذا كان ذلك التدخين يتم فى أماكن مغلقة حيث تتزايد الملوثات الخطيرة مثل أول أكسيد الكربون الذى

يؤدى استنشاقه إلى التسمم والاختناق. وجدير بالذكر أن هناك نوعين من التسمم بهذا الغاز الخطير يعرف أحدهما بالتسمم الحاد الذى قد يسفر عن الوفاة أما الآخر فيعرف بالتسمم المزمن ولكل منهما مظاهره وأعراضه. هذا ولا يقتصر ذلك التأثير الخطير على المدخنين وحدهم ولكن يتعداهم إلى غيرهم ممن لا يدخنون وهم يعرفون فى هذه الحالة بالمدخنين السلبيين. وهذا مثل واحد فقط من الملوثات العديدة التى يخلفها التدخين لتنطلق فى البيئة لتلوثها ومن ثم تؤثر سلبا على الحياة والأحياء. ولا نستطيع أن ننهى هذه الفقرة دون أن نشير إلى ما يؤدى إليه التدخين من مضار على الأجنة والأطفال لنرى مدى ما يفعله المدخنون بفلذات أكبادهم حتى قبل أن يروا النور ويتنفسوا مباشرة نفثات دخانهم بل قل سمومهم! فقد ثبت أن جنين الأم المدخنة أقل وزنا وأكثر عرضة للوفاة من جنين الأم غير المدخنة كما ثبت علميا أن التدخين يؤدى إلى حدوث تشوهات فى أجنة الحيوانات وهناك بعض البحوث التى تشير إلى حدوث ذلك أيضا فى أجنة البشر. من كل ما سبق يتبين بجلاء ووضوح رأى العلم فى مسألة التدخين فما هو رأى الدين.

الإسلام يحرّم التدخين:

تعددت الفتاوى والأحكام الشرعية التى تحرم التدخين بيد أن المدخنين لا يلقون لذلك بالا وكأن الأمر لايعنيهم فى قليل أو كثير. وقد أصدرت دار الإفتاء المصرية حكما شرعيا بالحرمة القطعية للتدخين جاء فيها ما يلى: «إن العلم قد قطع فى عصرنا الحالى بأضرار استخدامات التبغ على النفس لما فى التدخين من أضرار تصيب المدخن وغيره ممن يخالطونه ولما فيه من إسراف وتبذير نهى الله عنهما.

والله تعالى يقول: **﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾** النساء: آية ٢٩.

ويقول أيضا: **﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾** البقرة: آية ١٩٥.

وعليه فإن التدخين حرام بكل المقاييس الشرعية».

وإذا كان الأمر كذلك من اتفاق الدين والعلم فى مشكلة مجتمعية كهذه على درجة كبيرة من الخطورة فما الحل والمدخنون سادرون بل إن هناك من الأطباء والتربويين من يدمنون على التدخين بشكل مؤسف مشين. الحل فى تقديرى يكمن فى محاصرة المدخنين بشتى الوسائل ومن كل سبيل فلابد من تطبيق القوانين المسنونة والخاصة بالتدخين فى الأماكن المغلقة أو فى وسائل المواصلات أو فى أثناء العمل خاصة فى المدارس والجامعات. هذا فضلا عن التوعية الجماعية فى كل دوائر المجتمع عن طريق المحاضرات والندوات فى المدارس والجامعات والنقابات والهيئات والمصانع والشركات كما أن لدور العبادة ووسائل الإعلام مقروءة ومسموعة ومرئية دور هام فى التوعية بمضار التدخين على كل المستويات والحث على الإقلاع عن هذه العادة الرذيلة ليسلم الفرد والمجتمع من آثارها السيئة ومخاطرها الوبيلة .اللهم قد بلغت.

الهوامش:

١ ـ د. هانى عرموش (١٩٩٣) المخدرات: امبراطورية الشيطان. دار النفائس. بيروت. ص ١٧٥.

٢ ـ د. عادل الدمرداش (١٩٨٢) الإدمان: مظاهره وعلاجه. المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت. ص ٢٥٠ انظر أيضا المصدر رقم ٢ نفس الموضع.

(3) Backet , A.H. and Triggs , E. J. (1967). Nture , 216 : .587

(4) Ashton,H, Stepney, R.and Thompson, J.W.(1981).Br. Med. J.,282:10- 13

(5) Janoff,A., Pryor,W.A.and Bengali,Z.H. (1987).Am.Resp. Dis., 136: 1058-.1064

٦ ـ المصدر رقم ٢.

٧ ـ د. موسى توفيق الأعظم (١٩٩٤). التدخين. دار الصفوة للطباعة والنشر. القاهرة. ص١٠.

(8)Dawson,G.W. and Vestal,R.E.(1982). Pharmacol.Ther.,15:207-.221

٩ ـ ك.م. فلتشر هـ .كول لينا ججر كريستوفر وود (ب.ت). التدخين. مؤسسة سجل العرب .القاهرة.

١٠ ـ المصدر رقم ٢ ص ٢٥٦.

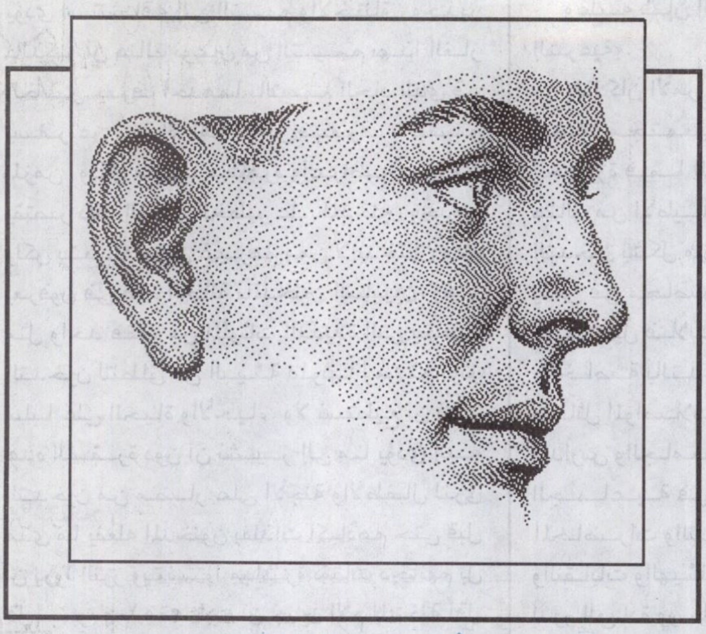

الوجه يعبر عن الصورة الإيمانية والخلقية للإنسان فهو يشرق بانشراح الصدر بالهداية والإيمان والسعادة والطمأنينة والسكينة

من آيات الله فى خلق الوجه

أ.د: عبدالمعبود عمارة

الوجه صورة مجسدة لأحوال الجسم الصحية، العضوية منها والنفسية. كما يعبر الوجه عن الصورة الإيمانية والخلقية للإنسان، والوجه يشرق بانشراح الصدر بالهداية والإيمان والسعادة والطمأنينة والسكينة ويظهر علي الوجه علامات النور والرضا

التركيب التشريحى للوجه:

الوجه عبارة عن المساحة بين مقدمة الرأس ومنبت الشعر (الناصية) حتى أسفل الذقن طولا، وما بين شحمتى الأذنين عرضا. ويختلف الوجه من إنسان إلى آخر فى الطول والعرض والشكل العام، وبروز الأنف، ومقلة العين، والشفتين والنتوءات العظمية، وخاصة الفك الأسفل. والصورة الفوتوغرافية للشخص ذات دلالة قوية على التعرف عليه، وتعتمد عليها الأحوال المدنية فى الحياة الاجتماعية وحركة الحياة اليومية.

وأول طبقة فى الوجه هى طبقة الجلد وما به من غدد عرقية ودهنية وجذور الشعر، والجلد منه الأبيض والأسود والمنبسط والمتعرج. وفيه العيون السمراء والزرقاء والخضراء، فاختلاف الألوان آية من آيات الله، كما أن اختلاف الألسنة آية أخرى.

ويوجد تحت الجلد الطبقة الدهنية، وتنتشر فيها العشرات

من عضلات الوجه والتى يسميها العلماء «عضلات التعبير» «MUSCLES OF EXPRESSION».

وعضلات التعبير ذات أهمية قصوى فى أثناء الانفعالات، وتقدر هذه العضلات بحوالى خمس وستون عضلة أبرزها «عضلة جدار الخد» الجدار الفمى، وهذه العضلة تعطى القوام لجدار الفم أثناء المضغ وتدفع بالطعام الممضوغ إلى التجويف الحقيقى للفم تمهيدا للبلع.

ومن هذه العضلات العضلة العاصرة لجفون العين، وهذه العضلة مسئولة عن قفل العين أثناء النوم أو عند التعرض لأى أذى قد يلحق بالعين. كما توجد العضلة العاصرة لفتحة الفم والتى تغلق الفم وتساعد على استخدام الشفتين فى الكلام وتناول الطعام والشراب.

التدريب على السماحة والتخلق بأخلاق الإسلام يساعد على طلاقة الوجه وإشراقه

أعصاب الوجه:

للوجه عصب حركى على كل جانب وهو العصب الوجهى السابع المخى، وهذا العصب يغذى عضلات الوجه ويساعد فى قفل وفتح العين، والفم والمضغ لأنه يغذى عضلة جدار الفم، وقد يتعرض هذا العصب لبعض المؤثرات كتيارات البرد الشديدة أو بعض الأمراض المزمنة كالسكر أو أمراض الجلطات التى تصيب الجهاز العصبى وقد يحدث «شلل بالعصب الوجهى» ويشكو المريض من عدم استطاعته قفل العين فى الناحية المصابة مع انحراف فتحة الفم وتجمع الطعام فى دهليز الفم، وعلاجه بواسطة أخصائى المخ والأعصاب ويشفى المريض بإذن الله تعالى لعلاج سبب المرض.

كما أن للوجه عصب حسى على كل جانب هو العصب الخامس Trigeminal Nerve ذو الرؤوس الثلاثة (العينى - والفكى العلوى - والفكى السفلى) وهذا العصب مسئول على الإحساس باللمس والحرارة والألم والضغط. كما أن العصب الفكى السفلى (Mandibvlar nerve) يغذى عضلات المضغ.

ويوجد بالوجه العظم الجبهى فى مقدمة الرأس، ويوجد أسفله القوس الحاجبى، والعينين، والعظم الوجنى، وفتحتى الأنف وعظام الفك العلوى وعظام الفك السفلى.

وبين الفك العلوى والسفلى توجد الشفتان وفتحة الفم ويوجد داخل تجويف الفم اللسان. ويختلف شكل الوجه من إنسان لآخر ومن جنس إلى آخر.

ويوجد على جانبى الوجه جهاز السمع وهو الأذنان.

الوجه واللسان يعبران عن النفس:

عندما تريد التعبير عما فى نفسك، حسب الإشارات التى وصلت إلى الجهاز العصبى المركزى عن طريق المشاهدة أو السمع أو الشم أو أحد أعضاء الحس، فإن الإشارات تنزل إلى جهاز الصوت (الحنجرة والأحبال الصوتية) وتنطلق الذبذبات الهوائية من الجهاز التنفسى وتتحول الذبذبات إلى أصوات تتناوله عضلات الفم واللسان والوجه لتعبر عن حالة الإنسان ومدى

تقبله لموضوع الحديث، فقد يسوده الهدوء والرضا والامتنان ويشرق وجهه وترتخى عضلات الوجه ويبتسم، وذلك عند الأخبار السارة والودية والمواد النافعة. أما إذا كان الأمر على خلاف ما تهوى النفس، فإن الصوت قد يعلو وتحل الثورة والغضب وتتقلص عضلات الوجه وتتمقد وتفرز مادة الأدرينالين فى الدم ويعلو الضغط، وتزداد ضربات القلب ويزداد العرق، وقد يعلو مستوى السكر فى الدم وقد يتعرض الإنسان لبعض الأزمات الصحية.

ونعم العلاج الذى وصفه لنا سيد المرسلين حينما سئل النصيحة فقال ﷺ للسائل: «**لا تغضب**». فالألم والسخط والغضب يبدو جليا فى وجه الإنسان كما أن المرض يعطى انطباعا فى الوجه كالأمراض الصدرية والعصبية وأمراض الكبد والجهاز الهضمى وبعض أمراض الدم كالأنيميا والصفراء وغيرها ويحددها الأطباء بسهولة.

ويساعد على طلاقة الوجه وإشراقه وزيادة نوره التدريب على سماحة الإسلام والتخلق بأخلاق عباد الرحمان الذين تجردوا من حب الدنيا والأنانية وحب الذات وأحبوا الناس فى الله، وانصرفوا يزرعون الخير أينما وجدوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، قال تعالى: ﴿**تعرف فى وجوههم نضرة النعيم**﴾ المطففين: آية ٢٤، هؤلاء هم عباد الرحمان الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، هم قوم يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم، وكما جاء فى معنى الحديث الشريف قوله ﷺ: «**لأن تلقى أخاك بوجه طلق خير لك من حمر النعم**».

ويوم القيامة ستكون الوجوه أيضا مختلفة، فمنها الأبيض والأسود، قال تعالى: ﴿**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**﴾ آل عمران: آية ١٠٦.

وقال سبحانه: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ القيامة: آية ٢٢.

وقال جل من قائل: ﴿**وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة**﴾ عبس: آية ٣٨.

وفى الدنيا تعرف النور فى وجوه المؤمنين قال تعالى: ﴿**سيماهم فى وجوههم من أثر السجود**﴾ الفتح: آية ٢٩.

وتستطيع أن تعرف فى وجوه أهل الكفر والعصيان علامات السخط والغضب قال تعالى: ﴿**تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر**﴾ الحج: آية ٧٢.

ويقول سبحانه: ﴿**وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم**﴾ النحل: آية ٥٨.

وللوجه مكانة مرموقة فى الدين الإسلامى حيث جعل الوجه قبلة الدعاء قال تعالى: ﴿**قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام**﴾ البقرة: آية ١٤٤. كما أن الوجه مكان استقبال البشرى فى قصة سيدنا يوسف عليه السلام قال تعالى: ﴿**فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا**﴾ يوسف: آية ٩٦، وما حدث كان من معجزات هؤلاء الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

وبعد: فالوجه آية من آيات الله، يعبر عن الحالة النفسية والعضوية والإيمانية لصاحبه، وهو مرآة السعادة والحزن، يزيده الله نورا بالإيمان والصلاح، ليس ذلك فى الدنيا فحسب، وإنما الوجه يكون أيضا مرآة النعيم والعذاب، والوجه مكان التكريم والتقبيح وقبلة الدعاء.

نسأل الله تعالى أن تبيض وجوهنا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، وأن يجعل وجوهنا مشرقة بنور القرآن والإيمان وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنه نعم المولى ونعم المجيب.

سماحة الإسلام مع غير المسلمين

فضيلة الشيخ /شوقى عبد اللطيف

إن الإسلام هو دين السماحة بكل ما تحمله الكلمة من معانى، لأنه يؤمن بأن الحب هو زهرة الحياة والسعادة سداها ولحمتها، ويؤكد على أن التعاون والتعارف بين بنى البشر لابد من تنميته وتفعيله، فبدونه تتوقف عجلة الحياة ويظلم وجهها.

قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ المائدة: آية ٢.

إن مفهوم التسامح الإسلامى مع أهل الشرائع الأخرى: «أن يكون لكل فرد فى الأمة من غير المسلمين حق الاعتقاد والحرية فى تأدية شعائر دينية كما يشاء وأن يكون أهل الشرائع المختلفة أمام قوانين الدولة سواء».

● وفى تسمية الإسلام لليهود والنصارى بأهل الكتاب هى قمة التسامح قال تعالى: **﴿قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾** آل عمران: آية ٦٤.

● وتظهر السماحة الإسلامية فى ثوبها القشيب حين:

● تنظر للإنسان على أنه قيمة لا مثيل لها، فالإنسان بغض النظر عن دينه وجنسه ولونه هو سيد فى الكون وخليفة الله فى أرضه: **﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون﴾** البقرة: آية ٣٠،

وقال تعالى: ﴿**ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**﴾ الإسراء: آية ٧٠.

● ثم انظر إلى عظمة الإسلام وهو ينفى منذ اللحظة الأولى كل نعرة جنسية أو عنصرية فيرد البشرية كلها إلى أصل واحد، ويقرر أن لا فضل لجنس على جنس ولا ميزة لعنصر على آخر وأن اختلاف الجنس واللون واللغة لا يدل على ميزة أو أفضلية قال تعالى: ﴿**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**﴾ الحجرات: آية ١٣.

وقال تعالى: ﴿**يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها**﴾ النساء: آية ١.

● ثم انظر إلى الرسول ﷺ وهو يؤكد للبشرية بأسرها هذا المنهج من خلال بيانه العظيم فى الخطبة التى ودع فيها أمته وخط لهم الطريق المستقيم الثابت الذى تلتزم به فى كيفية التعامل بين أفرادها ومع الآخرين من غير المسلمين: «**يأيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد. كلكم لآدم وآدم من تراب**».

● ثم انظر إليه وهو ينهى فى الحديث الشريف عن العصبية ويحذر من خطرها ويعلن براءته من المتعصب فيقول ﷺ: «**ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية**» أخرجه أبو داود، وهاهو رسول الله ﷺ يحترم النفس البشرية على اختلاف عقيدتها وجنسيتها، روى جابر بن عبدالله قال: «**مرت بنا جنازة فقام النبى ﷺ وقمنا، فقلنا يارسول الله: إنها جنازة يهودى فقال: أو ليست نفسا! إذا رأيتم الجنازة فقوموا**» رواه البخارى فى صحيحه.

سماحة الإسلام تقتضى عرض الدعوة وليس فرضها فإن كانت هناك مجادلة فلتكن بالحسنى

● وانظر إلى عظمة هذا الدين فى سماحته وهو يقرر مبدأ حرية العقيدة، وذلك فى إشارته الواضحة بأن للكون إلها خالقا رازقا منه المبدأ وإليه المرجع: ﴿**له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير* هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير**﴾ التغابن: الآيتان ١، ٢.

● ولقد بين المنهج الإسلامى حقيقة تحمل أبناءه على التسامح وتوطنهم على قبول الآخر مهما كانت عقيدته، لأن صاحب المشيئة فى كل ما يحدث فى هذا الكون العجيب هو الله وحده: ﴿**ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين* إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**﴾ هود: الآيتان ١١٨، ١١٩.

● إن الدعوة إلى الله من أوجب الواجبات، وهذه الدعوة يجب أن تتسم بالحكمة والموعظة الحسنة: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**﴾ النحل: آية ١٢٥.

● سماحة الدعوة تقتضى أن تعرض ولاتفرض: ﴿**قل ياأيها الكافرون* لا أعبد ما تعبدون* ولا أنتم عابدون ما أعبد* ولا أنا عابد ما عبدتم* ولا أنتم عابدون ما أعبد* لكم دينكم ولى دين**﴾ الكافرون: الآيات ١ ـ ٦.

● فإن كانت هناك مجادلة اقتضاها الموقف فلتكن بالحسنى ولين الكلام ﴿**قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**﴾ آل عمران: آية ٦٤، ﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن**﴾ العنكبوت: آية ٤٦.

● ولا يقف الأمر عند حرية العقيدة بل يتعداها إلى توفير الحماية لها قال تعالى: ﴿**لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى**﴾ البقرة: آية ٢٥٦، يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية: لا تكرهوا أحدا على الدخول فى دين الله فإنه بين واضح جلى دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، وهذه الآية حكمها عام ودائم إلى أن تقوم الساعة.

● ولهذا لم يعرف التاريخ أن شعبا أو حاكما مسلما حاول إجبار أهل الذمة على دخول الإسلام وتلك حقيقة يعترف بها أهل الذمة أنفسهم

***

● لقد تألقت السماحة وبلغت مداها حين سمح صاحب الرسالة السمحاء لوفد نصارى نجران بالصلاة الخاصة بهم فى المسجد النبوى الشريف، وقد حانت صلاة العصر، فقاموا يصلون فقال رسول الله ﷺ: «**دعوهم**»، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم.

● ومما جاء فى عهد خالد لأهل الحيرة: على ألا تهدم لهم ضيعة، ولا كنيسة ولا يمنعون من ضرب النواقيس إلا فى أوقات الأذان والصلاة حتى لا يحدثوا فتنة، كما جاء فى عهد آخر: ولا يمنعون من إخراج الصلبان فى يوم عيدهم

● وجاء مثل ذلك فى عهد أبى عبيدة أيام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: «**على أن تترك لهم كنائسهم وبيعهم**»، وحادثة عمر بن الخطاب حين ذهب إلى القدس وامتنع عن الصلاة فى الكنيسة حتى لا يتعلل المسلمون بذلك ويأخذوها، فخرج وصلى خارجها بعد أن طلبوا منه الصلاة فيها حفاظا على المسيحيين على مر الزمن حتى لا يأخذها المسلمون بحجة أن عمر صلى بها.

***

● وانظر إلى الإسلام فى عظمته وهو يبيح لأهل الذمة الحرية الكاملة فى الأمور الخاصة بهم كالزواج والطلاق والميراث والعبادة.. دون تدخل.

● كتب أبو عبيدة بن الجراح قائد الجيش فى الشام إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن الجميع يخبره بما أفاء الله به على المسلمين وما أعطى أهل الذمة من الصلح، فكتب إليه الخليفة يقول له: وامنع المسلمين ظلمهم، والإضرار بهم، وأكل أموالهم إلا بحقها، ووفى لهم بشروطهم التى شرطت لهم فى جميع ما أعطيتهم.

● ومن سماحة الإسلام أيضا الحث على صلة غير المسلمين والإحسان إليهم.

● إن شريعة الإسلام ماهى إلا حلقة أخيرة فى سلسلة الشرائع السماوية التى تنتمى إلى مصدر واحد «**إن الدين عند الله الإسلام**»، ويقوم على مبدأ واحد وهو التوحيد: ﴿**ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره**﴾ هود: آية ٦١.

● وهناك من الأدلة القرآنية التى تدعونا إلى تعميق الصلة بأهل الكتاب والعمل على تنميتها فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم**﴾ المائدة: آية ٥.

● والإسلام حين يأمر أبناءه بصلة الآخرين والإحسان إليهم فإنه يقصد بذلك الصلة العامة والإحسان الشامل الذى يشمل الناس جميعا على اختلاف عقائدهم ومشاربهم، نجد ذلك فى قول الحق: **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا﴾** النساء: آية ٣٦.

● ومن خلال قراءتنا لهذه الآية نجد فيها الدعوة الواضحة إلى مبدأ التكافل الاجتماعى للمسلمين وغير المسلمين بما فيهم اليهود والنصارى، وهذا ما نلاحظه فى قوله: **﴿والجار الجنب﴾** قال المفسرون هم اليهود والنصارى، ويؤكد هذا ما ورد عن الرسول ﷺ فى الحديث الذى رواه جابر بن عبدالله ـ رضى الله عنهما ـ: **«الجيران ثلاثة: جار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقا، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران حقا، فأما الجار الذى له حق واحد فجار مشرك لا رحم له له حق الجوار، وأما الجار الذى له حقان فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار، وأما الذى له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم».**

● وما أعظم قول الحق تبارك وتعالى وهو يدعو المسلمين إلى مودة أهل الكتاب وبرهم والإحسان إليهم وحسن معاملتهم: **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾** الممتحنة: آية ٨.

● ومما جاء فى بنود معاهدة خالد بن الوليد: «أيما شيخ ضعف عن العمل أو اصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه معرفة بحاله، طرحت عنه الجزية وعيل من بيت مال المسلمين وعياله وهو بذلك يقتدى بما فعله عمر مع اليهودى الذى كان يسأل الناس إحسانا فى المدينة، فلماعرف حاله حط عنه الجزية وجعل له ولأولاده معاشا من بيت مال المسلمين.

● ولقد سطر التاريخ بأحرف من نور صلة المسلمين لأهل الذمة للرحم التى بينهم، فعلى سبيل المثال كان الوليد بن عقبة أحد ولاة عثمان بالعراق يدخل النصارى المساجد ويجرى عليهم كل شهر العطايا وخصص لهم أرزاقا شهرية، كما تمتع أهل الذمة (غير المسلمين) فى خلافة على ابن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ بالمعاملة الحسنة، فقد أعطى النصارى من العطاء وساواهم بالعرب والموالى، وكان يوصى عماله فى كل مكان بأهل الذمة خيرا، فمن ذلك أنه أمر عاملا له بحفر نهر لأهل الذمة يروون به أرضهم.

● واشتكى يهودى على بن أبى طالب إلى شريح قاضى البصرة فأنصفه شريح من الخليفة مما أدى إلى إسلام اليهودى وقتاله فى صفوف الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ.

● وفى عهد الخليفة الخامس عمر بن عبدالعزيز لقى أهل الذمة كل مودة وتكريم فأباح لهم بناء الكنائس وإصلاح القديم منها، وكتب إلى عامله بالكوفة أن يعطى أهل الذمة ما بقى من خراج الكوفة، فيسدد ديونهم ويساعد من أراد الزواج منهم، وكان يجعل صدقات بنى تغلب القبيلة العربية المسيحية فى فقرائهم دون ضمها إلى بيت المال.

موقف فقهاء المسلمين من أهل الذمة:

● لقد تعلم الفقهاء السماحة من خلال فهمهم الجيد للإسلام دين الرحمة والحب، فنقلوا إلى أفراد الأمة تلك التعاليم التى انعكس أثرها على

أبناء الأمة فاحتضنوا أهل الذمة وأحسنوا إليهم.

● يذكر التاريخ موقف شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية حينما تغلب التتار على الشام وذهب ليكلم «قطاو شاه» فى شأن الأسرى، فسمح القائد التترى للشيخ بإطلاق أسرى المسلمين وأبى أن يسمح له بإطلاق الأسرى من أهل الذمة، فما كان من شيخ الإسلام إلا أن قال: لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسرى اليهود والنصارى فهم أهل ذمتنا ولا ندع أسيرا من أهل الذمة ولا من أهل الملة، فلما رأى القائد إصرار الشيخ وتشدده أطلقهم له.

● وهذه كلمات نيرة للفقيه الأصولى شهاب الدين القرافى شارحا بها معنى البر الذى أمر الله به المسلمين فى شأن أهل الذمة، فذكر من ذلك الرفق بضعيفهم وسد خلة فقيرهم وإطعام جائعهم وكساء عاريهم ولين القول على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة واحتمال أذاهم فى الجوار مع القدرة على إزالتها لطفا منا بهم لا خوفا، والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل العادة، ونصيحتهم فى جميع أمورهم فى دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحدا لأذيتهم وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم وأن يعاونوا على رفع الظلم عنهم وإنصافهم فى جميع حقوقهم.

***

وتظهر سماحة الإسلام أيضا فى عدله مع غير المسلمين لأن الإسلام يرى بأن العقيدة هى لله وأن المواطنة هى حق الجميع وكل حق لابد أن يقابله واجب، وأن العدل هو أساس الملك، ومن هنا نجد أن آيات الذكر الحكيم تأمر المسلمين بالعدل مع أهل الكتاب وإنصافهم حتى ولو كان الخصم مسلما بل ومن المقربين: **﴿يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾** المائدة: آية ٨.

● وفى هذا يقول الرسول ﷺ: **«من قذف ذميا حد له يوم القيامة بسياط من نار»**، ويقول ﷺ فى حديث آخر: **«من آذى ذميا فقد آذانى»** رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد الصحيح. ويقول الرسول الكريم أيضا: **«من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا خصمه يوم القيامة»** رواه الخطيب بإسناد حسن.

● ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى كتاب له إلى عمرو بن العاص فى أثناء ولايته على مصر مشيرا إلى الحديث السابق ذكره: **«إن معك أهل الذمة والعهد فاحذر ياعمرو أن يكون رسول الله خصمك»** حديث صحيح.

● إن العدالة كلها تتجسد فى هذه الواقعة التى توضح إنصاف حكام المسلمين لأهل الذمة حتى لو كان الخصم ابن الحاكم، فقد تسابق ابن عمرو بن العاص والى مصر مع رجل من أقباط مصر على فرس له فسبقه القبطى، فعز على ابن الحاكم العربى المسلم أن يسبقه أحد الرعية فضربه بالسوط وهو يقول: «خذها وأنا ابن الأكرمين» فلماعرضت القضية على خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى مؤتمر الحج العام أعطى المصرى درته وقال له: **«اضرب ابن الأكرمين»**، ثم قال قولته الخالدة: **«متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟»** ولقد شاء الخليفة ألا يضرب المصرى ابن عمرو وحده بل أراد أن يعلو بالدرة عمرا فما استطال ابنه إلا بجاه والده، إلا أن القبطى أبى واكتفى بالقصاص لنفسه ممن ضربه.

● **وبعد**: فتلكم هى سماحة الإسلام التى أثرت الكون كله منذ سطوح فجره، ونثرت على الإنسانية بردها وسلامها وخيرها وأمنها **﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾** البقرة: آية ١٣٨.

العيد فى الإسلام يوم فرح وسرور وزينة، يحب الله فيه أن تظهر آثار نعمه على عباده، بارتداء الجديد من الثياب، وتناول الطيب من الطعام، من غير إسراف ولا مخيلة، فالله سبحانه يقول: ﴿يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لا يحب المسرفين* قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ الأعراف: الآيتان ٣١، ٣٢.

أ.د. محمد إبراهيم الجيوشى

ماذا يعنى العيد للمسلمين؟

فالله قد أحل الطيبات من الطعام واللباس فى ذلك اليوم، ولكنه حدد ذلك بعدم الإسراف حتى لا ينسى المسلمون المعنى الطيب من العيد وهو شكر الله على إنعامه وتوفيقه، ويندفعون فى المشقة على أنفسهم وعلى غيرهم من ذوى الدخول المحدودة بالإسراف فى ألوان الطعام، واللباس إسرافا يخرجه عن حد المألوف المباح إلى دائرة المكروه أو المحرم.

وشكر الله على نعمه يقتضى البعد عما حرم، ولعل فى ذلك توجيها إلى من ينسون الغاية من الأعياد فى الإسلام، فيعكفون على ما حرم الله من مطعوم ومشروب فيقلبون بذلك نعمة الله إلى نقمة تعود عليهم بغضب الله ونقمته وعذابه.

ولعل المسلمين فى العيد جميعا على اختلاف مستوياتهم الفكرية والاجتماعية يعون هذا التوجيه الإلهى، فيحرصون على جلال العيد وبهجته ويبتعدون عن كل ما يشوب هذا الجلال من قول أو فعل أو سلوك، ولعل فى ذلك التحذير ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وربما سرت عدوى هذا الإقدام على الحرام فى هذا اليوم إلى بعض فئاتنا من التشبه بالمجتمعات الغربية، التى تتخذ أيام أعيادها مناسبات تعب فيها من الحرام والتشبه بهم فى هذا السلوك لا يليق بالمسلم الذى دعاه رسول الله ﷺ أن يحافظ على شخصيته متماسكة ويلتزم بالاتجاه التقى الذى أمره به الإسلام فى القول والعمل والتعامل والسلوك حين قال الصادق المصدوق: **«لا يكن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم».**

وهذا التوجيه يدعونا إلى أن نتعرف على معنى العيد فى الإسلام، وفى الأمم الأخرى، فقد جرى العرف عند الأمم من غير المسلمين أن تتخذ من الأيام ذوات الأثر فى تاريخها أعيادا تذكرها بأحداث وقعت فى تلك الأيام، قد تتعلق

بيوم بناء أو انتصار أو ابتداء مما يتعلق بأمور الدنيا وأحداث السياسة ووقائع التاريخ، وقد تكون تخليدا لبطولة بعض رجالها من الماضين أو المعاصرين.

ولكن أمر الأعياد فى الإسلام مختلف اختلافا جذريا عن نهج الأمم الأخرى، لأن تشريع العيد فى الإسلام ارتبط بالمواسم الدينية التى توثق صلة العباد بربهم، وتذكرهم بنعم الله عليهم، فعيد الفطر يأتى فى أعقاب شهر رمضان الذى صامه المسلمون امتثالا لأمره سبحانه، ذلك الشهر الذى أنزل فيه القرآن، وعيد الأضحى يرتبط بموسم آخر تهتز فيه قلوب المسلمين إلى التطلع إلى زيارة بيت الله الحرام، تحج إليه استجابة لقول الحق سبحانه.. **﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾** آل عمران: آية ٩٧.

ذلك الحج الذى تستعيد فيه الأمة ذكريات التضحيات العظام التى قام بها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام فى تلك الرحاب المقدسة، حين أقدم على التضحية بابنه الوحيد - الذى رزقه على كبر فى السن - استجابة لأمر الله فى رؤياه - ورؤيا الأنبياء حق - كما قص الله علينا ذلك فى سورة الصافات حيث يقول: **﴿رب هب لى من الصالحين* فبشرناه بغلام حليم* فلما بلغ معه السعى قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين* فلما أسلم وتله للجبين* وناديناه أن ياإبراهيم* قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين* إن هذا لهو البلاء المبين* وفديناه بذبح عظيم* وتركنا عليه فى الآخرين* سلام على إبراهيم* كذلك نجزى المحسنين﴾** الصافات: الآيات ١٠٠ - ١١١.

الاحتفال بالعيد لا يعنى الإسراف والاستمتاع بما حرم الله من طعام وشراب وسلوك

وكذلك مرتبط ببعض أحداث نبينا محمد ﷺ إذ فيه يوم عرفة الذى يقول النبى ﷺ فيه **«ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، لأنه اليوم الذى تتنزل فيه الرحمات على عباده، ويتجاوز سبحانه فيه عن الذنوب العظام، ويباهى الله فيه الملائكة بعباده الذين أتوا من كل فج عميق»**، كما جاءت بذلك الأحاديث النبوية ومنها **«إذا كان يوم عرفة إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيباهى بهم - الحجاج - الملائكة فيقول: انظروا إلى عبادى أتونى شعثا غبرا ضاحين - بارزين للشمس - من كل فج عميق، أشهدكم أنى قد غفرت لهم، فتقول الملائكة يارب، فلان كان يرهق - يأتى المحارم - وفلان وفلانة، قال يقول الله عز وجل: لقد غفرت لهم»**. قال رسول الله ﷺ: **«فما من يوم أكثر عتيق من النار من يوم عرفة»**(١). ولذلك يكون الشيطان فى ذلك اليوم صغيرا ذليلا حقيرا مدحورا مغيظا، بسبب مايرى من رحمة الله على العباد، وغفرانه لذنوبهم كما جاء فى الحديث الشريف **«ما رئى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر، ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة، وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما كان من يوم بدر؟ قال: أما إنه رأى جبريل وهو**

يزع - يقود - الملائكة(٢)»، وهو اليوم الذى أكمل الله فيه الدين وأتم النعمة وارتضى الإسلام لنا دينا، وأشاد به فى الكتاب العزيز حيث قال: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾** المائدة: آية ٣، وتروى الكتب أن رجلا من اليهود قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إن فى كتابكم آية لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا يومها عيدا، ثم قرأ الآية السابقة فأجاب أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قائلا إنى لأعلم أين نزلت ومتى نزلت إنها نزلت يوم عرفة يوم الجمعة، ونحن نتخذ يوم الجمعة عيدا من كل أسبوع ويوم عرفة من أعظم الأيام عندنا، ونتخذ اليوم الذى يليه عيدا هو عيد الأضحى وقد سماه الله يوم الحج الأكبر فى قوله سبحانه: **﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله﴾** التوبة: آية ٣.

وهناك قصة طريفة تروى حول بداية الاحتفال بالعيد فى الإسلام، خلاصتها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة، وجد الأنصار يحتفلون بيومين، فلما سألهم عنهما، قالوا: إن آباءهم كانوا يحتفلون بهما فى الجاهلية، فقال: إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما، يوم الفطر ويوم الأضحى، وتأكيدا للمعنى الدينى الذى يرتبط بالأعياد فى الإسلام فإننا نرى أن هناك صلاة شرعت خصيصا لذلك اليوم تسمى صلاة العيد، يجتمع فيها المسلمون، يكبرون الله، ويعظمونه، ويصلون شكرا واعترافا بالنعم، وسؤال المزيد منها حلالا طيبا.

ومن المعانى الإنسانية ذات الأبعاد السامية فى السلوك الإنسانى إن الله سبحانه شرع زكاة الفطر بين يدى العيد يوم الفطر، وهى حق للفقراء فى أموال الأغنياء، يؤدى لهم قبل يوم العيد، أو صبيحة ذلك اليوم قبل صلاة العيد، لتكون عونا للفقير كى يشارك بقية أفراد المجتمع فى الإحساس بمعنى العيد، فلا يشعر بحرمان الحاجة، وقلة ذات اليد فى ذلك اليوم، الذى تغمر البهجة والسرور فيه قلوب الأغنياء، ولذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم: **«اغنوهم عن السؤال فى ذلك اليوم»**، ولاشك أن هذه إحدى اللمسات الإنسانية فى التشريع الإسلامى، وما أكثرها ليحقق للمجتمع استقراره وأمنه وأمانه، ويربط برباط المودة والتعاطف بين الأغنياء والفقراء حتى يتحقق لهم الإحساس بالأسرة الواحدة، والشعور المشترك بين الجميع فى السراء والضراء، تطبيقا لقول النبى صلى الله عليه وسلم **«مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر»**.

وحينما يتأمل المرء فى بعض التشريعات التى سنها الإسلام فى عيد الأضحى يجد أنها تؤكد المعانى الإنسانية العليا التى يحرص الإسلام على سيادتها، وأخذ المسلمين أنفسهم بها، ومن الأمثلة على ذلك تشريع الأضحية، والطريقة التى رغب الإسلام فى السير عليها، فقد سن الإسلام للقادر أن يضحى فى تلك المناسبة بشاة أو أكثر من ذلك إن كان فى وسعه أن يفعل، وليس كل الناس قادرين على التضحية فى هذه المناسبة، والمرء لا يعيش وحده، وإنما له الأقارب والأصدقاء والجيران، وهؤلاء فيهم الغنى والفقير، والقادر والضعيف، فإذا تأملت منهج الإسلام فى التصرف فى هذه الأضحية وجدته يؤكد على قيام علاقات إنسانية وثيقة، تربط بين قلوب الجميع أغنياء وفقراء، فقد سن الإسلام للمسلم أن يتصدق من أضحيته بالثلث، وأن يهدى الثلث، فالفقير لن يشعر الحاجة فى ذلك اليوم الذى

جعله الله يوم فرح وسرور، لأنه سيأتيه من إخوانه وجيرانه ما يزيد عن حاجته وحاجة من يعول، وفى ذلك ما فيه من غرس المودة فى القلوب، وزيادة الألفة بين أفراد المجتمع، والغنى سيسعد بلاشك بهدية تأتيه من صديق أو قريب أو جار، فتتآلف القلوب وتتلاقى على المودة والمحبة والتعاون.

ولاشك أن الأعياد بهذا المنهج مواسم للصلات الإنسانية العالية، والروابط الاجتماعية الوثيقة التى تشعر المسلمين بوحدتهم، وتآلفهم فى جو من السرور والفرح، ومن سنن الإسلام فى هذه المناسبات أن لا حرج على المسلم فى الأخذ ببعض اللهو المباح، مادام ليس خارجا على الأخلاق، ولا منافيا للأعراف والتقاليد السليمة.

الأعياد فى الإسلام مواسم للصلات الإنسانية والروابط الاجتماعية التى تشعر المسلمين بوحدتهم وتآلفهم

وقد أشار النبى ﷺ إلى ذلك فى قوله: **«جئت بالحنيفية السمحة لتعلم يهود أن فى ديننا فسحة»**.

ذلك لأن الإسلام دين الفطرة، فليس فيه ضيق، ولا تشدد ينفر النفوس، وليس فيه إفراط ولا تفريط يسمح بانطلاق الشهوات، وعبث الأهواء، وكما حارب الإسلام انطلاق الشهوات، وعبث الأهواء، وكما حارب التفريط والفوضى فى الخلق والمعاملة والسلوك فإنه حذر من التزمت والإفراط فى مظاهر التعبد، وكان أساس ذلك قول النبى ﷺ: **«إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه»**.

وليضع الإسلام ميزانا سليما للمسلم فى سلوكه ومعاملاته وتصرفاته جعله يستشعر دائما حاجات الدنيا ومتطلباتها فى الوقت الذى يجعل الآخرة أيضا حية فى مشاعره ووجدانه، حتى لا يطغى جانب على جانب وحتى تمضى الحياة فى يسر وسهولة، وفى ذلك جاء قول الله تبارك وتعالى: **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾** القصص: آية ٧٧، وقول النبى ﷺ: **«اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا»**.

هكذا تمضى الحياة بالمسلم رخية رضية هانئة سعيدة، إن اتبع تعاليم دينه، وسار على هدى نبيه ﷺ والأعياد نموذج من هذه النماذج التى شرعها الإسلام ليعلم الناس أن فى ديننا فسحة.

أعاد الله العيد على المسلمين وقد توحدت كلمتهم وتحررت بلادهم، وارتفعت العداوة من صفوفهم، وشملتهم الأخوة الإسلامية جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها، وعاد المسجد الأقصى إلى أهله، وزال عنه رجس أعداء الله، وأعداء عباده المسلمين، وعادت فلسطين الأرض التى باركها الله حول مسجده الأقصى إلى أصحابها الذين ضحوا بدمائهم وأموالهم ومقدرات حياتهم فى سبيل حماية المسجد الأقصى والأرض التى باركها الله من حوله.

الهوامش:

١ - ٢ - راجع شرح السنة للإمام البغوى جـ٧ ص١٥٨، ١٥٩، دار الأرناؤوط - الشاويش.

مفاهيم تربوية فى الإسلام

المفهوم التربوى القويم فى إعداد الإنسان السليم

أ. د / آمنة نصير

عندما ينظر الإنسان ويتأمل حقيقة وجوده وتكوينه، ودوره فى هذا الكون، وكيفية الاستفادة من حركة الكون من حوله، ونجد الإجابة فى منهج القرآن الكريم الذى يعطينا تصورا كاملا للوجود فى كافة مظاهره، ويأمرنا فى كثير من آياته أن ننظر فى هذا الوجود الذى خلقه الله، ونأخذ منه العبر والدروس لحياتنا العملية، وقد انطبع تفكير المسلمين الأوائل بهذه العبر التربوية، لأن التربية فى كل مظاهرها وجوانبها وأساليبها مرتبطة بهذا الوجود وتصوراته، فوصلوا إلى كشوف علمية تثبت لهم الجد فى التحصيل والصدق فى التفكير، كما تثبت لهم قدرا من الدقة يعتبر مثاليا بالنسبة لذلك الزمان.

فأبحاث «ابن الهيثم» فى البصريات، وأبحاث «البتانى» الذى قاس بالدقة دورة الأرض حول الشمس وحسب بالدقة مواعيد الكسوف والخسوف تعتبر شاهدا على طريقة تأثر العقل الإسلامى بمنهج التربية الإسلامية بحركة الوجود ودقة صنعه وعظمة سيره وصدق الحق تبارك وتعالى: **﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾** الحجر: آية ٨٥.

﴿خلق الله السموات والأرض بالحق إن فى ذلك لآيات للمؤمنين﴾ العنكبوت: آية ٤٤.

﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين﴾ الدخان: آية ٣٨.

ثم يوضح الخالق سبحانه وتعالى: **﴿خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم﴾** التغابن: آية ٣.

فالكون لم يوجد مصادفة، ولم يوجد باطلا، ولم يوجد عبثا، كما خلق الإنسان فى صورته الحسنة.

وفى السنة ما رواه الترمذى عن أبى موسى الأشعرى عن الرسول ﷺ ما يؤكد أن الإنسان ينفعل ويتفاعل مع البيئة التى خلق من طينها إذ قال: **«إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأحمر والأسمر، وبين ذلك.. السهل والحزن والطيب والخبيث»**.

ومن هنا ننطلق إلى التعرف على الإنسان فى توازن طاقاته طاقة الجسم، طاقة العقل، وطاقة الروح. توازن بين ماديات الإنسان ومعنوياته، توازن بين الإيمان بالواقع المحسوس والإيمان بالغيب الذى لا تدركه الحواس، توازن بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية، توازن فى النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، توازن فى كل شىء فى الحياة.

هذا التوازن هو فى الحقيقة سمة الكون كله الذى تتوازن فيه كل الأفلاك وكل الطاقات لا تختل منها واحدة فى الكون على اتساعه، وهو كذلك سمة الإنسان الصالح الذى يفى بشروط الخلافة عن الله فى الأرض، ويسير حسب منهج الله خالق الكون والإنسان.

المنهج التربوى الإسلامى ونظرته لبناء الإنسان:

إذا جال الإنسان بفكره عبر تاريخ البشرية يجد فى مناهجها التباين فى نظرتها للإنسان، فنجد أنظمة آمنت بالجانب المحسوس من الإنسان والحياة بمعنى أن كل ما تدركه الحواس فهو حقيقة، ومالا تدركه فهو غير موجود، ومن ثم ركزت هذه الفلسفات على كل محسوس أو مادى على الأرض: الزراعة والصناعة والبناء والتشييد والإنتاج المادى على أوسع نطاق، واهتمت بكل محسوس فى الكيان البشرى، فحاولت أن تيسر له مأكله وملبسه ومسكنه، ويسرت له قضاء شهواته، وأغفلت من كيانه جانب الروح. وترتب على هذا المنهج إغفال كل مالا تدركه الحواس. وكل ما يتعلق بعالم الغيبيات، وما يشع من عقائد ترتب عليه خواء الروح من الإيمان وخواء الحياة من العقيدة.

أما الفريق المقابل فقد آمن بالجانب الروحى من الإنسان، وأخذت فى تغذيته بالتنسك والتعبد، وترفع الإنسان على ضرورات الجسد كله، وفى هذا الخنق والكبت قتل الفطرة البشرية، وأصاب هذا الفريق السلبية التى لا تنتج شيئا فى واقع الأرض، ولا تهدم ولاتبنى ولا تغير الباطل ولا تقيم الصحيح. كلاهما انحراف عن الطريق الصحيح، وانحراف بالإنسان عن الخلافة التى أرادها الخالق له: **﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾** الخلافة الواعية والمدركة لفطرة الله ومنهج الله.

والمنهج التربوى الإسلامى يجمع هذين الأمرين للإنسان، ويؤكد على الوحدة والانسجام بين هذين العالمين (المادى والروحى) فمن العالم الروحى يستمد الإنسان طاقاته الروحية وآمانه النفسى ومثله العليا، ويسعى دائما إلى الكمال، ويتجه نحو القيم والسمو، ومن العلم المادى يجد المسلم نفسه فى قلب الواقع والطبيعة فيندفع إلى العمل الدائب من أجل اكتشاف السفن والنواميس والقوانين فى الأرض التى منها أنشئ وإليها يعود، الروح والعقل والجسم كلها كيان واحد ممتزج مترابط اسمه الإنسان. الإسلام دين الاعتدال والوفاق والتناغم، ويرفض تمزيق الذات الإنسانية وخاصة على المتسوى النفسى لأنه يؤدى إلى قهرها وإيقاع الأذى لها، إن رفض نعم الله فى الكون حرام، وكذلك الإسراف المبالغ فيه، فالأخذ بزخرف الحياة مأمورون به، والبعد عن الإسراف شرط أساسى للحياة المعتدلة والمتوازنة يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾**، ثم دعوة صريحة: **﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾** الأعراف: آية ٣١.

المحرم والمرفوض فى الإسلام هو الفاحشة، والإسراف، ثم بعد ذلك يدعونا القرآن الكريم إلى التمتع بكل الطيبات دون إفراط أو تفريط: **﴿ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾** المائدة: آية ٨٧.

وخلاصة ما تقدم وما يجب أن يتضح أن المنهج التربوى الإسلامى المتوازن فى صنع الحياة، يبدأ بتحديد مجال النظر العقلى فيصون الطاقة العقلية أن تتبدد وراء الغيبيات التى لا سبيل للعقل البشرى أن يتحكم فيها. كما أن هذا المنهج يعطى للإنسان نصيبه من هذه الغيبيات، بالقدر الذى يلبى ميله لإشباع الجانب الروحانى بداخله، كل هذا فى إطار متوازن بعيدا عن الإغراق الذى تاهت فيه كثير من النظريات الفلسفية، مع تدريب الطاقة العقلية على طريقة الاستدلال المثمر والتعرف على الحقيقة بالنظر العقلى الصحيح ثم تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط تقوده إلى دروس عملية فى عالم العلم والاختراعات والاستكشافات، وكلها توجيهات وتدريب للطاقة العقلية على العمل الصحيح، ومنهج التفكير الدقيق، فالمنهج التربوى الإسلامى لا يحصر الإنسان فى الحدود الضيقة، ولا يسعى لإعداد «المواطن» الصالح، وإنما يسعى لتحقيق هدف أكبر وأشمل هو إعداد «الإنسان» الصالح.

من صحائف التاريخ:

استشهاد ابن الزبير

أ. د. محمد رجب البيومى

كان عبدالله بن مروان يجلس فى ساعة من ساعات ضيقه وقلقه بقصر الخلافة متأملا مفكرا وعن يمينه عمرو بن سعيد بن العاص وعن يساره أخوه بشر بن مروان!! وكان الحديث يجرى عن سيطرة عبدالله بن الزبير على العراق والحجاز.. وكيف طاول عبدالملك وأعياه، حتى نفدت الحيل وقل الرجاء، فقال بشر لأخيه: ياأمير المؤمنين إن أفعال يزيد قد تركت الحجاز جمرة تشتعل، وليس بمعقول أن تهدأ النفوس هناك فتهفو إلينا مشاعر أهل الحرمين، وهم يعلمون أننا يوم الحرة أبحنا المدينة ثلاثة أيام بعد قتال عنيف، فنهبت الأموال وأزهقت الأرواح! وتكشفت انتصارنا عن تهور فاضح هتكت به الحرمات واندلعت الأحقاد!!

وانبرى عمرو بن سعيد يقول: ولم يقف الأمر عند المدينة بل زحفت جنودنا إلى مكة فأوقعت أهلها فى حصار شديد، وقاوم عبدالله بن الزبير جيوش الخلافة مقاومة بارعة فأحبه المكيون والمدنيون، وحفظوا له يده البيضاء فى الذود عن الحرم وحماية البيت العتيق!!

فنظر عبدالملك إليهما ثم قال: نظلم يزيد إذا حملناه ملامة فى ذلك إذا أحرج فى أمره، وسُبَّ فى أخلاقه فارتضى الأسنة مركبا غير ذلول!!

لقد رفض المدنيون بادئ ذى بدء بيعته وجاهروه بالعصيان، فأرسل إليهم الأموال واستقدم منهم الوفود فما نزلوا بساحته حتى غمرهم بالأعطيات الجزيلة والثراء الباهر، وظن أن هؤلاء الذين تقبلوا نعمته سيكونون ألسنة مخلصة تهتف باسمه وتنشر أمداحه! ولكنهم انطلقوا بالمدينة يكفرون آلاءه ويلعنون عبد مناف، أما والله لئن دفعت فى بحور بنى هاشم وأمية لتغمرنك بأمواجها ثم لتوهين بك فى أجاجها.

فتلفت عبدالملك يسأل عمرو بن سعيد: وهل سكت ابن الزبير بعد هذا التحقير!! فلجلج عمرو قليلا ثم تشجع يقول فى اهتمام: ليته سكت ياأمير المؤمنين! لقد غلبته سلاطة لسانه فاندفع يقول بمرأى ومشهد من الناس: أسألكم بالله أتعلمون أن أبى حوارى رسول الله وأن أباه أبو سفيان وأن أمى أسماء بنت أبى بكر وأمه هند آكلة الأكباد وجدى الصديق وجده المشدوخ ببدر ورأس الكفر، وعمتى خديجة وعمته أم جميل زوجة أبى لهب وخالتى عائشة أم المؤمنين وأنا عبدالله!! فبهت معاوية وانتقل بالحديث إلى غرض بعيد!!

اكتأب عبدالملك لما جاء على لسان عمرو فهو يعرف من دخيلته ما يوحى بشماتيه وحقده وهاهو ذا ينتقص معاوية على لسان ابن الزبير ليحرج الخليفة من طرف خفى، وكأن بشرا لاحظ ما يدور بنفس الخليفة فعجل يقول:

«لقد سمعت ما قلته ياعمرو.. وأزيدك أن معاوية اجتمع به ليلين قناته الصليبة فى أمر يزيد فأطرق مفكرا ولم يجب، فقال

له معاوية: مالى أراك مطرقا إطراق الأفعوان فى أصول الشجر، فرد فى سرعة جاهدة أنا أناديك ولا أناجيك، أخوك من صدقك القول لا من كذبك الحديث ففكر فى الأمر قبل أن تندم ياأمير المؤمنين».

فقال عبدالملك يعقب على صاحبيه: إن إنسانا أتعب معاوية وأحرجه لابد أن يتعب عبدالملك ويضنيه!! ثم نظر إلى عمرو ولم يتكلم فتقابلت العينان لتفصحا عن سر كظيم، ولكن بشرا يوجه الحديث إلى عبدالملك ويقول ملاطفا لا عليك ياأمير المؤمنين، فسحابة ابن الزبير ستنقشع عن قريب، ولئن انتصر معاوية على علىّ فى مكانته ورياسته وسابقته فمثلك من يستطيع سحق ابن الزبير بجهد يسير.. فنظر عبدالملك إلى أخيه ثم قال: لقد انتصر معاوية على علىّ لأن ابن أبى طالب - شهد الله - صريح لا يمالئ ولا يخادع، أما ابن الزبير فمراوغ خداع يناديك من اليمين ويثب عليك من الشمال وفى موقفه الأخير من العراق ما يعطى الدليل.

فتعجل بشر يسأل متجاهلا: وماذا أتاك عن موقفه بالعراق ياأمير المؤمنين، قرفر عبدالملك كمن ينفس قليلا عن برح كظيم وقال: لقد لمس ابن الزبير موجة الندم على مصرع الحسين تغمر النفوس فشجع المختار الثقفى على قتال ابن زياد فقذف المختار بعدته وقوته وجالد بشيعته وذويه حتى أدرك النصر، وقتل صاحبنا فى عرينه ثم حمل رأسه إلى ابن الزبير بمكة واستتب له الأمر بالعراق فأصبح صاحب الكلمة الأولى وإذ ذاك تألّب عليه ابن الزبير فأشاع عنه الأراجيف وملأ الجو حوله بالسموم!! حتى شك الناس فى أمره وغايته!! ولم يلبث أثناء هذه البلبلة المضطربة أن بعث إليه بمصعب أخيه فأخذه على غرة وقتله مع أكثر من معه! ثم أعلن نفسه حاكما على الكوفة وأصبح العراق والحجاز من الآن فى حوزة الزبيريين!!

فقال بشر مغتاظا: ولماذا سكت الخليفة عن الفريقين دون أن ينتهز هذه الوقائع فيسير بها إلى ما يرضيه!!

فعجل عبدالملك بقوله: هما عدوان لدودان فلنترك أحدهما يأكل الآخر فإذا افترسه وخرج من الحومة متعبا، توجهنا إليه بإذن الله! وهذا ما أفكر فيه!!

فقال عمرو بن سعيد فى تخابث، حيّا الله أمير المؤمنين، ووفقه فيما يريد!! غير أنى أحاذر أن يمتد الحبل لمصعب فى الكوفة فتثبت دعائم أركانه هناك ويشد عضد أخيه بالحجاز فتصبح منهما على خطر عظيم، وإذا كان لى بعض الرأى لدى الخليفة فإنى أرى المبادرة فى السير إلى العراق لنجالد الزبيريين.

فنظر عبدالملك إلى عمرو كمن يستشف فى نفسه مكيدة تنسج خيوطها تحت أستار الظلام.. ثم طوى ما هجس فى نفسه من شك فى صاحبه وقال متجاهلا: إن الخوارج لن يسكتوا عن مصعب وقد جاءتنى الأنباء أن القتال بينهم سجال!! فلنترك هذا الظافر المنتصر يصطدم بعدوّه الجديد، ولتعلمن نبأه بعد حين.

فقال بشر مندهشا: هل اختلف الخوارج مع ابن الزبير ياأمير المؤمنين؟

لقد كان يرمض أحشائى أن أجدهم على وفاق أكيد.

فقال عبدالملك فى صدق: يا بشر، أنت تعرف خبث ابن الزبير وقد مالأ القوم فى مبدأ أمره فأوهمهم أنه ينشد الحق الذى ينشدون، واستمال فريقا منهم بدعوى الصلاة والزكاة والخشية من الله.. ولكن فريقا آخر قد اكتشف طويته ففضحوه بأسئلتهم المحرجة وتكشفت الإجابة عن شقاق عنيد.

فأسرع بشر يقول متهللا: لقد خفى علىّ ما جدّ من أمرالخوارج مع ابن الزبير فماذا عند أمير المؤمنين؟

فاعتدل الخليفة فى مجلسه ونظر إلى أخيه نظرة مخلصة وقال: جاءتنى أنباء الأمس تقول أنهم أحرجوه بالأسئلة الصريحة فسألوه عن رأيه فى أبيه الزبير وفى عثمان وطلحة وعلى وعائشة، فأمهلهم بعض أيام وهم لا يرضون منه بغير تكفير الجميع. حتى إذا ضيقوا عليه سبيل الانتظار، قال فى خداع ماكر: «إن الله أمر فى قتال الكافرين بأرأف مما تودون» فقال لموسى وأخيه فى فى فرعون: **﴿فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾**

طه: آية ٤٤، وقال ﷺ: **«لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات»**، فنهى عن سب أبى جهل من أجل عكرمة ابنه، وأبو جهل عدو الله وعدو رسوله الأمين، وقد كان يغنيكم عن هذا القول الذى سميتم فيه طلحة والزبير أن تقولوا أتبرأ من الظالمين، فإن كان منهم دخلا فى غمار الناس،وإن لم يكونا منهم لم تحفظونى بسب أبى، وهذا الذى دعوتم إليه أمر له ما بعده، وليس يقنعكم إلا التصريح ولن أرضى به فتفرق عنه القوم ناقمين، وحاربهم مصعب فباء منهم بشر مستطير!

فقال بشر فى فرح: الحمد لله، لم ينفع ابن الزبير احتياله الدقيق فارتطم بطود مكين!! فقال عبدالملك معقبا على أخيه وسأتهيأ بجندالشام، للخروج إليه فى مأزقه فيقع بين أسدين كاسرين وأغنم الفوز عن قريب. ثم رفع عينيه إلى عمرو، وقال فى تطلع كن معنا يا ابن سعيد!! فأنت منا ونحن منك!!

فاضطرب عمرو كمن أحس سهما يتوجه إليه، وقال فى حيرة أنا فداء أمير المؤمنين.. وأدرك بشر ما يجول فى خاطريهما عن فراسة صادقة!! فاستأذن من أخيه كى ينهض مع عمرو فى جولة بالغوطة بعد أن تشعب الحديث. وقاما الرجلان فودعهما أمير المؤمنين.

توجه عبدالملك بعد أيام بكتائبه العديدة إلى العراق، ولم يتجاوز أرباض عاصمته حتى جاءه النبأ بثورة عمرو بن سعيد عليه فى دمشق، واغتصابه إمارة المؤمنين واحتلاله قصر الإمارة فدعا بشر أخاه، وقال له فى أسف حائر لقد قرأت والله ما بنفس هذا الآثم المجترئ ليلة اجتمعنا معا بدار الخلافة، نتناقش فى أمر ابن الزبير ولمحت فى تخاوص عينيه دليل الغدر والخيانة وأفهمته حينئذ عن طريق التلميح ما وقع فى نفسى منه!

فقال بشر وقد أدركت ذلك ياأمير المؤمنين، فعجلت بالانصراف معه إلى الغوطة وأخذت أتصرف معه فى شجون من القول لأستديم ولاءه فما انصاع إلى قبول وإنى أطمع أن يوفدنى أمير المؤمنين الآن، فأعرض عليه خديعة واحتيالا ولاية العهد فأستميل خاطره ثم أرى ما يتكشف عنه عناده الغدور، فقال عبدالملك فى انقباض متجهم.. عليك به إن شئت فأبلغه ماتريد.

تابع الجيش الشامى سيره إلى الكوفة يقوده عبدالملك مبديا من البسالة والصبر ما بعث فى نفوس قومه كثيرا من التفاؤل والإقدام، وقد التزم سياسة التواضع والرفق، فكان يسأل كل جندى من رجاله عن مأمله ومبتغاه وتبسط فى الحديث مع السوقة حتى ضمن إخلاصهم ووفاءهم!! ولم يشأ أن يشن الحرب فجأة على مصعب، فتتلاحم قوتان متكافئتان، إحداهما غريبة نائية لا تعرف منعرجات الطريق وملتمسات النجاة، والأخرى قريبة تملك من المعرفة والدربة ما تحوز به التفوق والانتصار، بل لجأ إلى الحيلة والدهاء.. فبعث بعيونه إلى أجناد مصعب يستوضحون أمره، ويكتشفون غوامضه، وأتوا إليه يعلنون ما شاهدوه فى نفوس الجند من التذمر والغضب، فالأمير الزبيرى كأخيه عبدالله شحيح بخيل لا يجود عليهم بغير ما يمسك الرمق من الكفاف الضئيل، وقد سئموا معاناة التقشف ومكابدة الحرمان!

فأخذ عبدالملك يفكر فى الأمر تفكير المنتهز المباغت، واستعرض ما حمله من أوساق الذهب وأحمال الفضة، فرأى شيئا كثيرا يبهر العيون ويجذب الأعناق، فبعث بكتبه إلى قادة كتائب مصعب وإخوانه!! وجعل يمنى كل قائد بالولاية ويغريه بالذهب حتى انجذبت إليه النفوس عن رغبة واحتفال.. وجاءت إليه ردود القوم تعلن ولاءها الخالص وانضمامها إلى جيش الشام حين تأزف الساعة المنتظرة، ولم يشذ عن القواد غير إبراهيم بن الأشتر، وقد آثر الوفاء على الغدر ولم يأخذ مقلته بريق النضار أو أحلام الإمارة.. ثم سارع إلى قائده، فعرض كتاب عبدالملك على مصعب وأخبره خبر زملائه من القواد، واقترح عليه أن يبديهم بسيفه كيلا يفسدوا الجيش إذا دارت الرحى وحمى الوطيس، ولكن مصعبا خاف العاقبة وتريث فى الأمر حتى يهتدى إلى السبيل،

ولم تلبث أن فاجأته جيوش عبدالملك فتزعم الجند وأبدى من ضروب البسالة والحمية ما أكبره به أعداؤه ومبغضوه!! ولكن الخيانة تتطلع برؤوسها، وشعاع المال يجذب إليه قلوب ذوى المطامع فخذله أعوانه فى موقفه الحاسم ومأزقه الكريه!! ونظر فإذا القلة القليلة من ورائه والكثرة الكاثرة إلب عليه مع خصومه.. فغامر بروحه، ونال الشهادة كريما مهيبا لم تخفض له رأس، أو يلحقه هوان.. ثم دخل عبدالملك الكوفة، وقد ضم العراق إلى خلافته فبايعه أهلها طائعين راغبين فخطبهم مبتهجا بما نال، وأرهب ورغب وبشر وأنذر ثم رجع مسرورا إلى دمشق، وقد أسند إلى الحجاج بن يوسف الثقفى أمر ابن الزبير بالحجاز آملا أن تحين نهايته عن قريب!!

وطارت الأنباء إلى عبدالله بمكة فلاعَه مصرع أخيه لوعة أليمة، وأراد أن يعلن النبأ الفاجع إلى معشره، فصعد على المنبر يقول بعد أن حمد الله ألا إن خبرا من العراق أتانا فأحزننا وأفرحنا، فأما الذى أحزننا فإن لفراق الحميم دعة يجدها حميمه ثم يرعوى ذوو الألباب إلى الصبر، وكريم الأجر، وأما الذى أفرحنا فإن قتل مصعب له شهادة ولنا ذخيرة، أسلمه الطغام الصم الآذان أهل العراق وباعوه بأقل الأثمان، فإن يقتل فقد قتل أخوه وأبوه وابن عمه وكانوا الخيار الصالحين!! إنا والله لا نموت حتفا كما يموت بنو مروان ولكن قعصا بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف!! ثم نزل ليأخذ أهبته لقتال باسل، وكفاح مرير!

وفى يوم عابس رهيب تتدفق جيوش الحجاج من الشام والعراق على جبل أبى قبيس بمكة، ثم تنصب على هضابه المجانيق لترمى الكعبة بالنيران المشتعلة فتهوى عليها بالصواعق والقذائف، فإذا ارتجف الجنود قليلا لمهاجمة بيت الله صرخ فيهم الحجاج متوعدا وتقدم بنفسه فواصل القذائف غير هياب! فتعطلت مشاعر الحج، وأخذت كتائب الغزاة تغير على المسالك والدروب فتقتل الشيوخ والأطفال والنساء!! وأقبل أهل مكة خائفين فزعين يطلبون الأمان من الطاغية وقد أرهقهم الجوع والعطش واللهب بعد حصار ظالم عنيد.

ويتحقق عبدالله من نهايته فيفد إلى أمه ذات النطاقين، ويقول فى أسف دامع: ياأماه خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى ولم يبق معى إلا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطوننى ماأردت من الدنيا!!

فتقول أسماء فى صرامة متماسكة أنت أعلم يابنى بنفسك فإن كنت على حق فامض له فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتك ليلعب بها غلمان بنى أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت!! فيصيح ابن الزبير، والله ما أردت غير رضوان الله ثم يخرج إلى القتال، وقد عزم على الموت ليصبح استشهاده الفاجع خاتمة المأساة! إذ أصيب بسهم قاتل طرحه على الغبراء.

ويبحث الحجاج عن فارس نجدى، يعرف عنه الوثب السريع ليحمل النبأ السار إلى عبدالملك بدمشق فيقابله الخليفة فيخبره الحديث، فيسر عبدالملك ويثنى على الحجاج ثناء المحب الفخور، ثم يسأل فى تشفٍّ ناقم عن نهاية ابن الزبير فيجيب الرسول: لقد أبدى مع ضعف عدته وقلة عدده جلدا صابرا وبأسا عظيما، لقد ملك عليه الحجاج أبواب المسجد الحرام وحاصره به فأخذ ليلته يصلى ويتهجد، ثم أغفى قليلا حتى أذن الفجر، فنهض للصلاة وفرغ منها ليستعد للنزال، ويقول للبقية الضئيلة ممن معه «ياآل الزبير لو طبتم لى نفسا عن نفوسكم كنا أهل بيت عظيم فى العرب، أما بعد فلا يرعكم وقع السيوف، غضوا الأبصار عن البارقة، ولا يلهينكم السؤال عنى فلا يقولن أحدكم أين عبدالله ألا من كان سائلا عنى فى الرعيل الأول، احملوا على بركة الله ياله من نصر لو كان له رجال!

فنظر عبدالملك إلى رسول الحجاج - وقد لمح تأثير حديثه فى النفوس - وقال فى عجب! مهلا يافتى نجد، فلقد كدت تجذب إلى ابن الزبير أعناق بنى قومنا فى الشام!! إنى لأعرفه صبورا جبارا، ولكنه رام التى لا يرومها من الناس إلا كل حر معمم، ثم تعلو وجهه ابتسامة المرتاح فيقبل عليه الملأ مهنئين.

الفيلسوف المسلم عبدالواحد يحيى

باعث النهضة الروحية في الغرب

رانيا مجدى سالم

المتأمل فى الدراسات الحديثة التى تتناول الحضارة الأوروبية المعاصرة بالنقد والتحليل يجد أن عددا كبيرا من المؤرخين والمفكرين ينعون حضارة العصر ويرونها تسير فى طريق مسدود وأنها بحاجة ماسة للتغيير وخاصة فى جانبها الروحى ومن أشهر هؤلاء الكتاب الفيلسوف الألمانى «شلينجر» فى كتابه «تدهور الحضارة الغربية» والذى ينم بوضوح عن مصير هذه الحضارة الغربية التى انحرفت عن الدين وعن الفطرة السوية، واعتبرت تقدمها المادى هو السبيل الوحيد لتحقيق السعادة والرفاهية وقد تبعه فى ذلك الكثير من المفكرين.

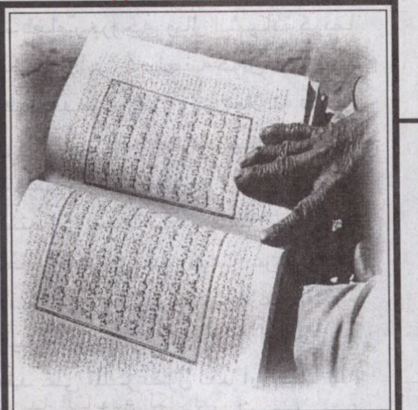

الأمرالذى دفع بعض كبار المفكرين إلى التعرف على الأديان الأخرى وخاصة الإسلام فأخذوا ينهلون من منابعه ويهتدون بهديه ونوره وبذلك وجدت صفوة من المفكرين الصادقين، صفوة لها جذور ضاربة فى الميراث الدينى مطلعة على الديانات والتقاليد الفلسفية، عميقة المعرفة والفهم للعالم الحديث ،وهى مؤهلة للحكم على مستقبل العلاقات بين الإسلام والغرب فى هذه اللحظة الحرجة من تاريخ البشرية.

ومن أشهر رواد هذا الاتجاه رينيه جينو (١٨٨٦ - ١٩٥١م) فهو أحد أقطاب هؤلاء المفكرين المنصفين للحضارات الشرقية بصفة عامة والدين الاسلامى على وجه الخصوص. وقد كان لهذا المفكر من التأثير فى الأوساط والنخب الفكرية والثقافية والسياسية القدح المعلى. فأسلم تحت تأثيره الكثيرون ويمكن اعتباره باعث النهضة الروحية فى أوروبا والغرب عموما.

ونتناول فى هذه العجالة نبذة عن حياة هذا المفكر الكبير وأثره فى الأوساط الغربية والإسلامية.

ولد «جان- مارى- جوزيف- جينو» فى ١٥نوفمبر عام ١٨٨٦م فى مدينة بلوا الفرنسية على مسافة نحو١٧٧ كم جنوب

غرب باريس. كان وحيد والديه. كان أبوه يعمل مهندسا معماريا، وقد كان «جينو» ضعيف البنية مما عطل التحاقه بالمدرسة فتولت عمته «مدام دورو» تعليمه القراءة والكتابة فى منزلها الجميل على ضفاف نهر اللوار حتى بلغ الثانية عشر من العمر. وفى عام ١٨٩٨م التحق «جينو» بالمدرسة الثانوية الكاثوليكية «نوتردام» ثم أرسله والده فى ٢٠ نوفمبر ١٩٠١م إلى مدرسة القديس «أوغسطين ثيرى» فى مدينة بلوا. وفى عام ١٩٠٣م بدأ «جينو» دراسته الفلسفية الأولى على يد «لبرت لوكلير» أحد المتخصصين فى فلسفة اليونان فيما قبل سقراط. ثم مع القسيس «جومبلت» الذى كان يدرس الثوميزم وعلاقتها بالظواهر الخارقة للطبيعة.

وفى حوالى السادسة عشر من العمر سافر «جينو» إلى مدينة باريس والتحق بكلية «رولان» ليعد شهادة الليسانس فى الرياضيات المتخصصة. وفى عام ١٩٠٤م نجح «جينو» فى امتحان البكالوريا - شعبة الفلسفة - كما حصل على البكالوريا فى الرياضيات، وحاز جائزة الشرف من ثانويته، ولم يكتف بالدراسة الجامعية فراح ينهل من العلم فى باريس الزاخرة بالمعلمين والمرشدين من الشرق والغرب، وأسعده الحظ بأن يتلقى من مرشد هندى بدايات الطريق ,فانفتحت أمام بصيرته كنوز الحكمة الشرقية.

سنوات بحث وحيرة:

وفى سبيل البحث عن المعرفة والوصول إلى الحقيقة اتجه «جينو» إلى دراسة العلوم الفلسفية والدينية فانضم إلى (المدرسة الحرة العليا للدراسات الغيبية) بابوس، Papus ثم انتقل إلى منظمات أخرى مختلفة. هذه التجربة الجديدة التى عاشها «جينو» فى ظل دراسة العلوم الغيبية كانت سببا فى كتابة روايته «حدود العالم الآخر».

ثم توالت فى إطار هذه الدراسات الغيبية أعمال «جينو» ففى عام ١٩٠٩م أصدر تقريرين علميين فى مجلة «سلوك» ومناظرة فى مجلة «أكاسيا» ورسالة توضيحية فى مجلة «فرنسا المسيحية اللاماسونية» وكان يوقع أعماله باسم «أبى الهول». ومع نهاية عام ١٩٠٩م وفى هذه الأثناء تعرف «جينو» على عالم فرنسى اعتنق الإسلام وتسمى باسم «عبد الحق» كان يساهم فى إصدار مجلة «الطريق» ويشرف على منهجها وهى ذات طابع صوفى ثم لأسباب عدة، انتهى إصدار المجلة وتعرف «جينو» على «عبد الحق» وساعد الأخير الأول فى تحرير مجلة المعرفة. وكانت المجلة تحمل على عاتقها مهمة نشر الأبحاث الخاصة بالإسلام وبالديانة الهندية وبالديانة البوذية. وكانت فى الوقت نفسه تنتقد كل مالا تراه مستقيما فى تلك المدارس التى لا تنتسب إلى الروحانية.

لقد كان «جينو» دائم البحث عمن يأخذ بيده

ويرشده إلى الحق، متطلعا إلى المعرفة بمعناها الصوفى وتطلع إلى السماء رغبة فى اختراق الحجب، وأملا فى أن يكشف القناع المادى عن العالم وأن يرفع المساير وأن يصل إلى الحق.

ويتحدث الشيخ عبد الحليم محمود عن سعى «جينو» إلى الحقيقة فيقول:

«نشأ رينيه جينو فى فرنسا من أسرة كاثوليكية، ثرية، محافظة، نشأ مرهف الحس، مرهف الشعور، مرهف الوجدان، متجها بطبيعته إلى التفكير العميق والأبحاث الدقيقة ,وهاله حينما نضج تفكيره ما عليه قومه من ضلال، فأخذ يبحث فى جد عن الحقيقة، ولكن أين هى أفى الشرق أم فى الغرب أهى فى السماء أم فى الأرض أين الحقيقة سؤال وجهه إلى نفسه رينيه جينو كما وجهه من قبله إلى نفسه الإمام المحاسبى والإمام الغزالى والإمام محيى الدين بن عربى وكما وجهه من قبلهم عشرات المفكرين الذين أبوا أن يستتيموا للتقليد الأعمى(1).

وفى عام ١٩١٠م يشاء الحق عز وجل أن يوجه «جينو» وجهة الإسلام فيتعرف إلى الرسام السويدى «ايفان جوستاف آجلى الذى اعتنق الاسلام عام ١٨٩٧م فصار اسمه «عبد الهادى». وقد كان لهذه الشخصية أثر ملحوظ فى حياة «جينو» حيث كان هذا الفنان شغوفا بالشيخ الأكبر- ابن عربى المتوفى عام ٦٣٨هـ) وكان اسلام «عبد الهادى» على يد شيخ الأزهر مفتى المالكية العلامة السيد«عبد الرحمن عليش الكبير»

وكان لهذا الشيخ نفوذ علمى وسياسى قوى، وتخرج على يديه أقطاب النهضة العربية والإسلامية. ومن جانب اخر توثقت الصلة بين «عبدالهادى» وبين «جينو» وفاتحه فى الاسلام والتصوف، وعمره انذاك ٢٦عاما فكان اسلامه سببا فى ابتعاده عن التيارات المتضاربة التى سادت فرنسا وأوروبا فى ذلك الوقت.

إسلامه:

وعن سبب إسلام جينو يتحدث إلينا الشيخ عبد الحليم محمود قائلا:

«وتأتى فترة الشك والحيرة والألم الممض، ثم يأتى عون الله، وكان عون الله بالنسبة إلى «جينو» أن بهرته أشعة الاسلام الخالدة وغمره ضياؤه الباهر فاعتنقه وتسمى باسم «عبد الواحد يحيى» وأصبح جنديا من جنوده يدافع عنه ويدعو اليه».

وفى نفس العام الذى أشهر «جينو» فيه الإسلام وتسمى باسم «عبد الواحد يحيى»، أعنى عام١٩١٢م، تزوج من فتاة فرنسية مسيحية من إقليمه تدعى «بيرث لورى» ولكن لم يدم زواجهما طويلا إذ توفت عام١٩٢٨م. وفى نفس العام انضم «جينو» إلى احدى الطرق الصوفية، ثم أخذ يلقى دروسا فى مدارس خاصة فى فرنسا والجزائر. وفى عام١٩١٥م وبالتحديد فى شهر يوليو حصل «جينو» على شهادة ليسانس الآداب فى الفلسفة بتقدير جيد، ثم عمل مدرسا فى مدرسة «سان جيرمان أون ليل» وتابع بعد ذلك دراسته حيث حصل على دبلومة الدراسات العليا D.E.S فى فلسفة العلوم.

مؤلفاته:

أصدر «جينو» عددا كبيرا من المؤلفات بلغت ٢٧ مؤلفا وأهم هذه المؤلفات «الشرق والغرب» الذى أحدث هزة فى الأوساط الفكرية والثقافية بسبب الأفكار الجديدة التى طرحها فى الماضى والتى لا تتماشى مع تلك التى كانت سائدة فى ذلك الوقت ففى هذا الكتاب رد «جينو» إلى الشرق اعتباره مبينا أصالته فى الحضارة وسموه فى التفكير وانسانيته التى بها لا تقاس مادية الغرب

مظهرا فى كل صفحة من صفحاته نبل الشرقيين وعمقهم، وفهمهم للأمور فهما يتفق مع الفضيلة ومع أسمى المبادىء الإنسانية. وهو دعوة إلى امكان التفاهم بين رجال الصفوة فى الشرق والغرب وكان ذلك عام ١٩٢٤م.

وفى عام ١٩٢٧م تم نشر كتابه «ملك العالم» وصدور كتابه «أزمة العالم الحديث» وهذا الكتاب ليس دعوة إلى الانطواء، بل هو دعوة إلى الفهم الصحيح والنظر إلى الحضارة الغربية نظرة نقدية بوصفها عملا إنسانيا يحتمل النقد ولا يعلو عليه. وهو يرى أن عودة الحضارة الغربية إلى الدين الصحيح هو السبيل الأقوم لتحقيق التوازن فى مسيرة هذه الحضارة.

وفى ٢٠ فبراير عام ١٩٣٠م سافر «جينو» إلى القاهرة موفدا من قبل إحدى دور النشر الفرنسية. ومنذ هذا الوقت استقر الشيخ عبد الواحد فى أحد أحياء القاهرة القديمة وعاش بجوار مسجد سيدنا الحسين فى حى الأزهر وظل، متواضعا، مستخفيا لا يتصل بالأوروبيين ولا ينغمس فى الحياة العامة، وإنما يشغل كل وقته بترجمة النصوص الصوفية إلى اللغة الفرنسية، ويؤلف الكتب ويرسل المقالات إلى فرنسا ويكتب الخطابات إلى جميع أنحاء العالم. مقبلا على العلم والتربية والسلوك الاحسانى.

وفى عام ١٩٣٢م التقى الشيخ عبد الواحد يحيى بالشيخ محمد إبراهيم فى مسجد سيدنا الحسين والذى أصبح حماه فيما بعد، ففى عام ١٩٣٤م زوجه ابنته فاطمة وانتقل من حى الأزهر إلى حى الدقى. ثم رزقه الله بفتاتين الأولى اسمها «خديجة» والثانية اسمها «ليلى» ثم رزقه بولد سماه «أحمد»، وبعد وفاته رزقت زوجته بولد سمته «عبد الواحد». وكان قد حصل على الجنسية المصرية عام ١٩٤٨م.

وفاته:

وفى ٧ يناير ١٩٥١م توفى الشيخ العارف بالله، عبد الواحد يحيى عن عمر يناهز الرابعة والستين فى مسكنه فى حى الدقى.

وفى ٩ يناير ١٩٥١م وصلت إلى باريس برقية تعلن عن:

«وفاة رينيه جينو الفيلسوف والمستشرق الفرنسى» وما ان وصلت هذه البرقية حتى أخذت الصحف والمجلات تنشر مختلف المقالات عن الشيخ تحت عناوين مختلفة منها:

«حكيم كان يعيش فى ظل الأهرامات»، «فيلسوف القاهرة»، أكبر الروحانيين فى العصر الحديث «ووصفوه» بالبوصلة المعصومة» و«بالدرع الحصين»، كما خصصت له مجلة «ايتودترادسيونيل» عددا ضخما كتب فيه الكثيرون من كتاب فرنسا، أروع المقالات وهى المجلة التى تعتبر فى الغرب كله «لسان التصوف الصحيح».

وأهم ما يعنينا فى هذا السياق أن رينيه جينو الذى أصبح اسمه (الشيخ عبد الواحد يحيى) بعد اسلامه نهض بدوره وهو فى أرض مصر وكان له تلاميذ فى العالم الأوروبى اقتنعوا بآرائه، وهذا يدل على مكانته ومقدار الثقة فيه، وأن لكتاباته أثرا عظيما فى التعريف بالدين ومحاولة اعادة الأوروبيين اليه وهى مهمة شاقة، وهو فى كل ما كتب يكتب للغربيين، لا للشرقيين، لأن فى الشرق تراثه وصفوته الفكرية والروحية التى تتكفل بهذا الدور.

وكل ذلك دليل على سمو نفسه ونقاء روحه لأنه رغم اسلامه ورغم أنه نفض يديه من الحياة الغربية الحديثة الا أنه بقوة الخير فيه حرص أشد الحرص على تنوير الأذهان واسداء النصح إلى أبناء الغرب لعلهم يهتدون، هذا بجانب احترامه الشديد للأديان وهوفى ذلك ملتزم بقيم الاسلام الذى ينظر للأديان الكتابية نظرة خاصة.

من أراء الشيخ:

ولابد أن نشير إلى أن جينو يرى أن اختلاف الطبقات هو الأمر الطبيعى وأن هناك الصفوة وهناك العامة. وكل منهما له دور يؤديه. وقد نشر جينو مقالا عن التصوف الاسلامى قال فيه:

(إن الاسلام من بين جميع العقائد هو الدين الوحيد الذى يتضح فيه التمييز بين جانبين يتكامل كل منهما مع الأخر، ويمكن أن نطلق عليهما علم الظاهر «الشريعة» وعلم الباطن «الحقيقة» الباطنة التى لا يدركها الا الصفوة. ولا يرجع ذلك إلى أى أسباب قهرية وانما بحكم طبيعة الأشياء لأن الناس جميعا لا تتوافر لديهم الاستعدادات والقدرات المطلوبة للنفاذ إلى معرفة هذه الحقيقة).

أيضا يوضح شيخنا الفرق بين المتصوف والصوفى، فيقول: إن المتصوف هو الشخص الذى اتخذ هذا الطريق للبحث عن الحقيقة، أما الصوفى فهو الشخص الذى قد وصل إلى الدرجة العليا، فالصوفى الحقيقى هو الذى يمتلك الحكمة الالهية أوبقول أخر :هوالعارف بالله ,وهى أعلى الدرجات وأكملها فى معرفة الحقيقة).

أثر الشيخ فى إشاعة التصوف:

ومن مظاهر تأثير الشيخ عبد الواحد يحيى أن حذا الكثيرون حذوه ,فألفوا جمعيات فى فرنسا وسويسرا وغيرهما، تسمى الجمعيات «الأكبرية» نسبة إلى الإمام الأكبر «محيى الدين بن عربى» كما نظمت الجمعية السياسية الهرمسية فى شهر ديسمبر ٢٠٠١م ندوة فى باريس تحت عنوان «رينيه جينو: قراءات ورهانات». وقد صدرت أعمال الندوة فى المجلد السنوى للجمعية، وهو يضم عدة محاور منها فصلان خاصان بتأثير الشيخ عبد الواحد يحيى فى الأوساط فى تركيا وإيران.

ويمكن القول ان تأثير الشيخ عبد الواحد يحيى ظهر أيضا فى العديد من الدول الإسلامية وبخاصة منها تلك التى لها تكوين أكاديمى وجامعى معترف به بحسب مقاييس الجامعات العالمية.

وبرغم التعتيم الاعلامى المقصود من دوائر النفوذ فى عالمنا المعاصر فقد ترجمت كتبه إلى العديد من اللغات ,ولاقت رواجا ,ومع مرور ما يقرب من قرن على نشر كتبه فما يزال قراؤها يكتشفون عمق وصدق أفكاره. فلقد بدأت كتاباته إلى الغرب مكونة نسيجا فكريا رائعا جذب آلاف الأوروبيين إلى الاسلام ومن أهم هذه الكتابات:

١ ـ مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية.

٢ ـ الشرق والغرب.

٣ ـ أزمة العالم الحديث.

٤ ـ السلطة الروحية والسلطة الزمنية.

٥ ـ رمزية الصليب.

٦ ـ سيادة الكم وعلامات الزمان.

٧ ـ الرموز الأساسية للعلم المقدس.

٨ ـ الثالوث الأعظم.

٩ ـ الميتافيزيقا الشرقية.

١٠ ـ لمحات عن الصوفية الإسلامية والطاوية.

وذلك بالإضافة إلى العديد من الكتب الأخرى التى تعبر عن مسار فكره الروحى، والعديد من المقالات التى كان ينشرها بانتظام فى عدة مجلات فرنسية متخصصة.

وأخيرا نقول أن الشيخ عبد الواحد يحيى كان ولا يزال حركة فكرية وروحانية، ترسل بسنائها إلى كل من يطلب الهداية والرشاد(٢).

الهوامش:

١ ـ الفيلسوف المسلم ط، دار الكتب الإسلامية.

٢ ـ وقد اعتمدت فى هذه المقالة المصادر التالية:

أ ـ الشرق والغرب.

ب ـ أزمة العالم المعاصر.

جـ ـ Paul Chacornac: La Vie Simple de Rene Guenon.

وكلها للشيخ عبدالواحد يحيى فضلا عنها الفيلسوف المسلم للشيخ عبدالحليم محمود.

الدعوة والدعاة

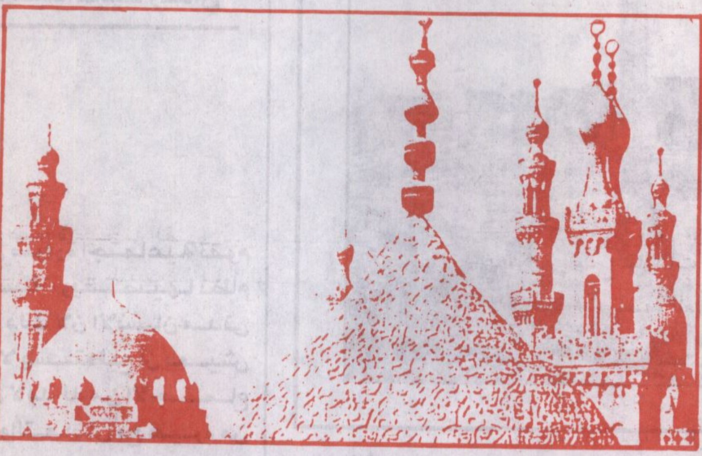

- التعاون ضرورة دينية واجتماعية
- مسئولية الحاكم
- الأزهر قلعة الإسلام وحصن اللغة العربية

التعاون ضرورة دينية واجتماعية

فضيلة الشيخ
محمد عبد المجيد زيدان

التعاون ضرورة اجتماعية تقوم عليها الحياة، ويقتضيها نظام العمران، ذلك لأن الإنسان مدنى بفطرته، لا يستطيع أن يعيش وحده، بل لابد له من الاجتماع والتعاون والتعايش مع غيره من الناس.

فالتعاون من الأمور التى يتبادلها الناس وقَلَّ من لا يريد لك السعادة ولا يقدم على إعانتك إذا عرف منك أنك تود له ذلك وتسرع لمعونته إذا مست الحاجة إليها، اللهم إلا إذا كان ممن فسدت أخلاقهم وسفلت تربيتهم فيصدق عليه الأثر «اتق شر من أحسنت إليه».

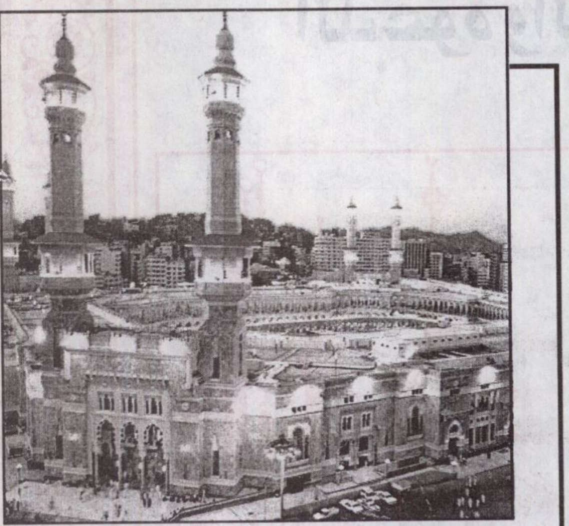

• **لذا..** اقتضت حكمة الله أن يخلق الناس ليتعاونوا على شئون الحياة ويقوموا بأعبائها ويسعوا إلى ما يعود عليهم بالخير والرفاهية والعزة والسيادة والإخاء والمودة والأمن والاطمئنان، قال تعالى: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾ المائدة: آية ٢.

• فالتعاون ضرورة اجتماعية تتطلبها حاجات العيش، وتدعو إليها لوازم الحياة ويقتضيها نظام العمران، وكما أن الفرد لا تنتظم أحواله ولا يستطيع أن يقوم بواجباته إلا إذا تعاونت أعضاء جسمه فقام كل عضو منها بالرسالة التى خلق لها، كذلك حال المجتمع لا يستقيم أمره ولا يطيب عيشه إلا إذا قام كل فرد من أفراده بالرسالة التى من أجلها خلق، وعمل على تأكيد روابط التضامن والوحدة وتقوية دعائم التعاون والتآزر والتعاطف والتراحم، وغايته المصالح العامة التى تسعد الفرد والجماعة.

التعاون ضرورة اجتماعية تتطلبها حاجة العيش وتدعو إليها لوازم الحياة

• أما إذا استغنى المرء عن غيره، فلن يصل ولن تصل معه الجماعة إلى النجاح المنشود، لهذا بث الإسلام روح التعاون فى النفوس، ودعم روابط الأخوة بين الناس، وخرج بها عن أن تكون خاصة بين المرء وعشيرته، إلى أن تكون عامة بين بنى الإنسان، فاتسعت دائرة التعاون وكثر خيره وعم نفعه، وهاهو القرآن الكريم يدعو إلى التعاون بين بنى الإنسان فيقول: **﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾** الحجرات: آية ١٣، ويقول لعباده المؤمنين: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾** آل عمران: آية ١٠٣.

•

• إن من أقل مراتب التعاون أن تعين غيرك حرصا على أن تعان متى احتجت إلى المعونة، وأكمل تلك المراتب أن تندفع فى هذا الأمر وأنت غير آمل منه فائدة شخصية بل لأنه فضيلة وأثر صالح يحتذى الناس مثاله لتنمو روح التعاون بين الأمة، فيكون من وراء نموها اجتماع القلوب وائتلاف المجموع واتحاد الأفراد وتقارب القلوب، لأن أفراد الأمة يحتاج كل واحد منهم إلى الآخر، فإن سلكوا سبيل التعاون، ونصر القوى منهم الضعيف، وخفف الغنى آلام الفقير، وعلّم العالم الجاهل، وأرشد المهتدى الضال، وأحب كل فرد لغيره ما يحبه لنفسه، كان من وراء ذلك سعادة المجموع ونهوض الأمة من عثرة التخاذل وبعثها من مرقد الخمول.

• **لهذا..** كان التعاون فضلا من الله ونعمة وخيرا وبركة على المسلمين الأوائل، بعد استجابتهم لدعوة الإسلام وأخذهم بتعاليم القرآن، فبعد أن كانوا شعوبا متفرقة متباغضة، أصبحوا أمة متحدة متماسكة مرهوبة الجانب، فتحت العالم شرقا وغربا وملأته هداية وعلما وحبا وإخاء ومساواة وحرية وعدلا وسلاما ورحمة وتعاطفا.

• بل إن الإسلام الحنيف بنى كثيرا من تشريعاته الحكيمة، على أساس التعاون ليمكن لهم فى نفوسهم ويرشدهم إلى أقدس الواجبات، فالجماعة فى الصلوات والجمع والأعياد سبيل التعارف والتكاتف والتعاون والتآزر، والزكاة تعاون على البر بالفقراء والمساكين والمحتاجين والمعوزين، وجعلها حقا واجبا فى مال الموسرين القادرين، وفى الحج تعارف وتعاون بمعناه الكامل، ففيه إيصال الخير إلى قوم بواد غير ذى زرع تحقيقا لدعوة أبينا (إبراهيم): **﴿ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾** إبراهيم: آية ٣٧.

• وفى الحديث الشريف: **«من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد**

فى عون أخيه» رواه مسلم، وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى عينه اشتكى كله، وإذا اشتكى رأسه اشتكى كله.

• وليس التعاون قاصرا على الماديات فحسب، بل هو عام شامل للأمور المعنوية أيضا وهو فيها آكد، ذلك لأن من الناس من له بصر بالأمور غير أنه يفقد قوة السعى إليها، ومن الناس من له دأب على العمل غير أنه بحاجة إلى حسن التوجيه، والتعاون وحده هو سبيل الخير الذى تلقى فيه الجهود المبذولة، وننتظر منه الثمرات المأمولة ولا سبيل سواه، ذلك لأن المواهب الإنسانية النفيسة مختلفة ومتكاثرة، قلما تجتمع فى إنسان واحد، بل تجدها موزعة بين الفئات الكثيرة من الناس، فإذا ما تكونت إحدى الجمعيات وأحسن أعضاؤها التعاون فيما بينهم كان كل منهم مكملا لنقص الآخر، وكانت كل موهبة سدادا لأختها المغايرة لها، فكانت الجماعة منتجة موفقة.

اختلاف المواهب الإنسانية يجعل من التعاون ضرورة حتمية لتحقيق التكامل بين أفراد المجتمع

• فإن رأيت حائرا فى أمره فأعنه بثاقب فكرك وأوضح له طريق رشده، وإن وجدته مهموما محزونا فخفف عنه حزنه بما تلقيه عليه من دروس التسلية وما تروح به الهم عنه من كلمات التفريج، حتى تسرى ما ألم به من هم وحزن، وإذا ألفيته حائدا عن سبيل الهدى سالكا طريق الردى تائها فى مفاوز العمى، فابذل الجهد لإرشاده بلين الكلام والموعظة الحسنة والمعروف من القول، حتى تحمله على سلوك الصراط المستقيم والتجمل بالخلق الكريم.

• وعلى هذا درج السلف الصالح، وما ضرنا إلا إهمال هذا الركن الاجتماعى الركين فالأمة بشرٍ من عدم تعاون أبنائها وتساند ملكاتهم فى خدمتها، فمتى تذوب هذه الأنانية لتحل محلها العقلية التعاونية؟

• والدعاة وهم رواد الخير رسالتهم نشر روح التعاون فى هذا العالم، وأن يغرسوا فى رحابه الورود والأزاهير لتتفاوح العطور الشذية هنا وهناك، فتنعش صدر الإنسانية المكدودة الشقية التى أراد لها أبالسة الشر وتجار الدماء أن تعيش فى جو البارود وجحيم الحروب وسعير الأسلحة الفتاكة.

• عليهم أن يبينوا للعالم أن رسالة المسلمين تتبنى روح التعاون والسلام العادل، وزرع الأمل والحب والجمال، سلام يسعد البشرية ويهدئ روعها ويمكنها من بناء الحضارة، ويمكن لها فى الوجود، سلام لا يذل ولا يستسلم ولا يضعف ولا يهون، فنحن أمة تنشد الخير لنفسها ولمن حولها من البشر، تتبنى رسالة الخير العام فى الوجود كله، انطلاقا من إيمانها بوحدة الأصل الإنسانى وبوحدة المصير.

والله من وراء القصد..

مسئولية الحاكم

فضيلة الشيخ/ فوزى فاضل الزفزاف

الولاية مسئولية كبيرة أعباؤها جسيمة وأوزارها ثقيلة وحسابها عند الله عسير فزمام الأمور كلها بيد الحاكم وهو حمى الله فى بلاده وظله الممدود على عباده به ينتصر مظلومهم ويرتدع ظالمهم ويأمن خائفهم ويشبع جائعهم...

وهى أمانة يتحمل تبعاتها أمام الله من فرط فيها ولم يعطها حقها فويل له من يوم عظيم بأسه شديد وحسابه عسير: **﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾** الحج: آية ٢.

والحاكم راع وهو مسئول عن رعيته كما جاء فى حديث رسول الله ﷺ عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته: الإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته».**

ولقد أدرك سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مسئولية الرعية وعرف عموم مسئوليتها فقال كلمته المشهورة التى سجلها التاريخ: لو أن بغلة عثرت بأرض العراق لسألنى الله عنها يوم القيامة لم لم أسوى لها الطريق

ويصف لنا رسول الله ﷺ الإمارة فى الحديث الذى يرويه عوف بن مالك رضي الله عنه فيقول: إن رسول الله ﷺ قال: **«إن شئتم أنبئكم عن الإمارة وماهى فناديت بأعلى صوتى: وما هى يا رسول الله قال: أولها ملامة وثانيها ندامة وثالثها عذاب يوم القيامة إلا من عدل وكيف يعدل مع قريبه».**

ولثقل مسئولية الولاية والخوف من عاقبتها عافها كثير من الصحابة - رضوان الله عليهم - وابتعدوا عنها فقد روى عن أبى وائل شقيق ابن أسامة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل بشر ابن عاصم رضي الله عنه على صدقات هوازن فتخلف بشر فلقيه عمر فقال: ما خلفك أما لنا سمعا وطاعة قال: بلى ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من ولى شيئا من أمر المسلمين أتى به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جهنم فإن كان محسنا نجا وإن كان مسيئا انخرق به الجسر**

(انشق) فهوى فيه سبعين (خريفا) سنة قال: فخرج عمر رضي الله عنه كئيبا محزونا فلقيه أبو ذر رضي الله عنه فقال: مالى أراك كئيبا حزينا فقال: مالى لا أكون كئيبا حزينا وقد سمعت بشر بن عاصم يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ولى شيئا من أمر المسلمين أتى به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جهنم فإن كان محسنا نجا وإن كان مسيئا انخرق به الجسر فهوى فيه سبعين خريفا فقال أبو ذر: أوما سمعته من رسول الله ﷺ قال عمر لا قال أبو ذر أشهد أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ولى أحد من أمر المسلمين أتى به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جهنم فإن كان محسنا نجا وإن كان مسيئا انخرق به الجسر فهوى فيه سبعين خريفا وهى جهنم سوداء مظلمة» فأى الحديثين أوجع لقلبك قال: كلاهما قد أوجع قلبى فمن يأخذها «أى الولاية» بما فيها فقال أبو ذر: من سلت الله أنفه وألصق خده بالأرض أما إنا لا نعلم إلا خيرا وعسى أن وليتها من لا يعدل فيها ألا تنجوا من إثمها..

انتصر المسلمون الأوائل وقويت شوكة الإسلام عندما أخذوا بالأسباب واعتصموا بحبل الله

وعندما أدرك هؤلاء الحكام مسئولية الولاية وعرفوا تبعاتها وخشوا الله فى كل صغيرة وكبيرة فى تصرفاتهم عزت الأمة وسادت وقويت وانتصرت وبلغت شأنا عظيما ولذلك عندما يتساءل كثير من المسلمين لماذا انتصر المسلمون الأوائل وقويت شوكة الإسلام وعزت الدولة الإسلامية وسادت فى عهد النبوة وفى عهد الخلفاء الراشدين وفى عهد الولاة الصالحين من بعدهم، فإن الإجابة نأخذها من الحكمة التى تقول: **«إذا صلح الراعى صلحت الرعية»**، فالحكام والولاة إذا كانوا يخشون الله ويراقبونه فى كل أعمالهم وتصرفاتهم ويؤمنون بأن الله ولاهم رعاية من يحكمونهم وأن الله حملهم أمانة تلك الرعاية وأنهم مسئولون مسئولية كاملة عن أداء هذه الأمانة وعن رعاية هذه الرعية وأن الله سيحاسبهم حسابا عسيرا على ذلك إعمالا لقول رسول الله ﷺ: **«كلكم راع ومسئول عن رعيته...»** الحديث..

إذا كان الحكام والولاة يراعون ذلك انتشر العدل وعم الأمان ورفع البلاء والفساد وعزت الأمة وسادت الدولة وألقى الله الخوف والرعب فى قلوب أعدائها..

ولى أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب الصحابى الجليل سعيد بن عامر إمارة حمص بالشام وكان مشهورا بالورع والتقوى والزهد فى الدنيا فأقام العدل بين أهل حمص وساد الأمن والأمان ربوع البلاد وأصبح الجميع فى أحسن حال وعلى خير ما يرام وعم الخير وزاد النماء.

وفى يوم من الأيام وصلت شكوى إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أهل حمص يشكون فيها واليهم الصحابى الجليل سعيد بن عامر فسافر أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب بنفسه إلى حمص ليحقق فى الشكوى واستدعى

الشاكين وجمعهم مع الوالى وبدأ التحقيق فقام أحد الشاكين يتحدث باسمهم فقال: يا أمير المؤمنين: إنا نشكو منه أربعة:

الأولى: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار.

الثانية: لا يجيب أحدا بليل.

الثالثة: له فى الشهر يومان لا يخرج فيهما إلينا ولا نراه.

الرابعة: تصيبه حالة لا حيلة له فيها. لكنها تبعث فينا الضيق والقلق.

ذلك أنه تأخذه الغشية بين الحين والحين. ثم جلس الرجل فالتفت سيدنا عمر بن الخطاب إلى الصحابى الجليل سعيد بن عامر وقال له: ما لديك لتدافع به عن نفسك.

فقال الصحابى الجليل سعيد بن عامر: والله لقد كنت أكره ذكر الأسباب. أما ولابد من ذلك فسأشرح الأمر.

أما قولهم: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار. فإنه ليس لأهلى خادم. فأنا أعجن عجينى ثم أدعه حتى يختمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ للضحى وأخرج إليهم.

وأما قولهم: لا أجيب أحدا بليل. فإنى جعلت النهار لهم والليل لربى ـ عز وجل ـ.

وأما قولهم: إن لى فى الشهر يومين لا أخرج فيهما. فليس لى خادم يغسل ثوبى وليس عندى ثياب أبدله فأنا أغسل ثوبى ثم أنتظر حتى يجف وفى آخر النهار أخرج إليهم.

وأما قولهم: إن الغشية تأخذنى بين الحين والحين. فذلك لأنى شهدت مصرع خبيب بن عدى الأنصارى ـ وأنا مشرك قبل أن يهدينى الله إلى الإسلام ـ وقد بضعت قريش لحمه وحملوه على جذع شجرة وهم يقولون له ـ وخبيب غارق فى دمه ـ أتحب أن محمدا مكانك وأنت سليم معافى فيقول خبيب: والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى آمنا بينهم وأن محمدا تصيبه شوكة فإنى والله كلما تذكرت ذلك اليوم وكيف أنى تركت نصرته إلا ظننت أن الله لن يغفر لى. فأرتجف خوفا من عذاب الله ويغشانى الذى يغشانى..

فلم يتمالك سيدنا عمر بن الخطاب نفسه وصاح بأعلى صوته وهو فى قمة فرحته وسعادته ونشوته بتوفيق الله له فى اختيار وليه قائلا: الحمد لله الذى لم يخب فراستى..

رحم الله الصحابى الجليل سعيد بن عامر فقد ضرب بتقواه ونزاهته وزهده وخشيته من الله المثل الأعلى لما يجب أن يكون عليه من يلى أمرا من أمور المسلمين من التقوى والنزاهة والزهد والورع.

فحق على من قلده الله أزمة حكمه وملكه أمور خلقه وجعله راع لأمته واختصه بإحسانه ومكن له فى سلطانه أن يكون بالغ الاهتمام بمصالح رعيته والاعتناء بمرافق أهل طاعته والعمل الدءوب على راحتهم ونشر الأمن والأمان بينهم وتحقيق العدل والمساواة بين الجميع وأن يحرص على أن يكون من وضعهم الله فى منزلة من الكرامة وممن أجرى عليهم من أسباب السعادة وممن ينطبق عليهم قول الله ـ عز وجل ـ ﴿**الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**﴾ الحج: آية ٤١.

وصلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله يا من قلت وقولك الحق والصدق: «عدل ساعة أفضل من عبادة ستين سنة: قيام ليلها وصيام نهارها ويا أبا هريرة: جور ساعة فى حكم أشد وأعظم عند الله ـ عز وجل ـ من معاصى ستين سنة»

قلعة الإسلام وحصن اللغة العربية

الأزهر

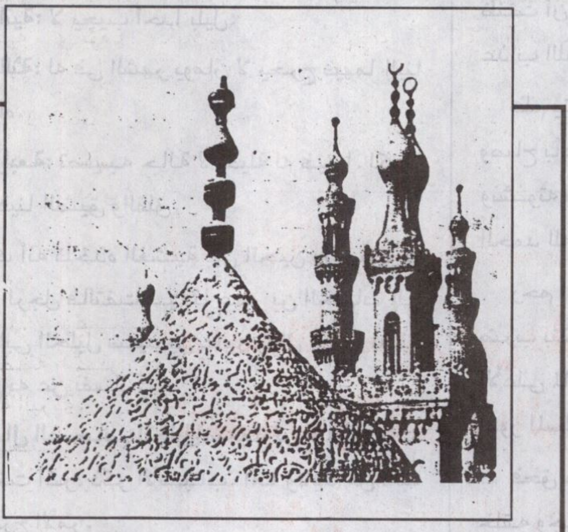

السيد أحمد أبو الفضل عوض الله

ماذا تعنى كلمة الأزهر:

إن المعنى الذى يبدو إلى الذهن من لفظ الأزهر أنه جامعة إسلامية تدرس فيها علوم الدين واللغة، ولكن المؤمن المتأمل الواعى إذا ذكره أو دخله، وكان مهيأ بطبعه للاتصال الروحى بماضيه المشرق وتاريخه الحافل، انثالت على خاطره منه دلالات وذكريات وطيوف تملأ النفس خشوعا وجلالا.

فالأزهر كلمة من الكلم النوابغ الجوامع، فى لفظها استيعاب ووعى، ولمعناها إشعاع ووحى: (فهى زمان ومكان ودنيا ودين وتاريخ)، يعنى الأزهر فيما يعنى المنار الذى ارتفع فى تاريخ الدعوة العظمى ثم ثبت بنيانه على رجف الزلازل، وانتشر ضوؤه على عصف الرياح. وقاد الشعوب الإسلامية فى ظلمات الخطوب والحروب إلى ملتقى السلامة والكرامة والوحدة.

ويعنى الأزهر فيما يعنى المعقل الذى حفظ الثقافة العربية ألف سنة ونيفا، يسهر عليها، ويزيد فيها، وينفق منها على طلاب المعرفة فى الشرق والغرب، على حين دمر الجهل والكفر حصونها فى بغداد والأندلس.

ويعنى الأزهر فيما يعنى، الحصن الذى اعتصمت به اللغة العربية من عدوان الشعوبية والعامية، حين استعجم اللسان، وفشت الجهالة، وضعفت الخلافة، وعزّ الناصر، وذلّ الأهل. ويعنى الأزهر فيما يعنى القبلة الثانية التى يوجه المسلمون فى جميع أقطار الأرض قلوبهم إليها يتلمسون على هداها الطريق

إلى الحق والسبيل إلى الله.

ويعنى الأزهر فيما يعنى الملاذ للشعب المظلوم كلما عسفه الطغيان وبغى عليه الحكم فيأوى منه إلى ركن شديد وحام قادر.

ويعنى الأزهر فيما يعنى الجامعة الإسلامية العالمية التى يؤمها الطلاب من كل أرض ومن كل جنس ومن كل لون ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم، لا يبغون من وراء ذلك مالا ولا جاها ولا شهرة.

ويعنى الأزهر فيما يعنى الخانقاه التى آوت العباد والزهاد والوعاظ وحفظة القرآن وحملة البركة.

ويعنى الأزهر فيما يعنى القاعدة الروحية التى كان يخشاها المستعمرون فحاولوا سرا وعلنا أن يدمروها ليتقوها، فلما استيأسوا من تدميرها أو إضعاف تأثيرها سالموها ونافقوها، ثم جاهدوا أن يستميلوها ليستغلوها.

قاد الأزهر الشعوب الإسلامية فى ظلمات الخطوب والحروب إلى ملتقى السلامة والكرامة والوحدة

فضل القرآن على الأزهر:

إن فضل الأزهر على اللغة العربية مستمد من فضل القرآن الكريم عليها، وبعض فضله أنه أكسبها عذوبة فى اللفظ ورقة فى التركيب ودقة فى الأداء وقوة فى المنطق وثروة فى المعانى، وكان سببا فى استحداث العلوم الشرعية والأدبية التى حفظت مادتها بالقواعد وفى المعجمات، ووسعت دائرتها بالألفاظ والمصطلحات، كالنحو والصرف والاشتقاق لدفع اللحن عنه، والمعانى والبيان والبديع لتعزيز الإعجاز فيه، وعلى اللغة والأدب ولتفسير غريبه وتوضيح مشكله، والحديث والأصول، والفقه والتفسير لاستنباط أحكام الشرع منه، وهو الذى وحدها على كل لسان، ونشرها معه فى كل مكان، وحفظها لأكثر من أربعة عشر قرنا لا تفسد ولا تجمد ولا تتغير مصداقا لقول الله تعالى: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**، وحفظ القرآن يستلزم حفظ لغته، والناظر فى تاريخ الأديان السماوية والأرضية لا يجد دينا حملته لغته التى أنزل بها أو كتب فيها إلى أقصى الشرق وأقصى الغرب على مدى ١٤٢٥ سنة، ثم بقيت محافظة على قوتها وجدتها ووحدتها وطبيعتها إلى دين الإسلام ولغة العرب.

***

العربية جزء من حقيقة الإسلام:

أما سائر الأديان فلا تقرأ كتبها الأصلية إلا فى لغة البلد التى ظهرت فيه، فإذا نقلت إلى بلد آخر عن طريق الدعوة قُرئت مترجمة إلى لغته، واختص بمعرفة الأصل طائفة قليلة من رجال ذلك الدين، فمدونة الأسفار البوذية المسماة بالسلات الثلاث لا يقرأها أتباع هذه الملة فى الصين واليابان إلا منقولة إلى الصينية واليابانية، والتوراة والإنجيل ـ وهما كتابان منزلان ـ لا يقرآن فى العالم المسيحى إلا فى لغة كل قطر من أقطارها، لذلك ظل تأثيرهما فى كل الآداب الأخرى ضئيلا حتى ترجما إلى اللاتينية والتوتونية القديمة فظهر أثرهما قويا فى الآداب الأوروبية، وليس كذلك الحال فى القرآن، فإن المسلمين اعتقدوا بحق أن لغته جزء من حقيقة الإسلام، لأنها كانت ترجمانا لوحى الله ولغة لكتابه

ومعجزة لرسوله، ولسانا لدعوته، ثم هذبها النبى الكريم ﷺ بحديثه ونشرها الدين بانتشاره وخلدها القرآن بخلوده. فالقرآن لا يسمى قرآنا إلا فيها، والصلاة لا تكون صلاة إلا بها، لذلك سارعوا إلى تعلمها والتكلم بها والتأليف فيها والتعصب لها والدفاع عنها والدعوة إليها، حتى حلت محل الفارسية فى العراق والرومية فى الشام والقبطية فى مصر والبربرية فى المغرب. وأصبحت فى عصر بنى العباس - وهو عصرها الذهبى - لغة الدين والأدب والعلم والسياسة والإدارة والحضارة فى أكثر الدنيا القديمة، وأصبح المسلم على اختلاف جنسه ينتقل من قطر إلى قطر فى عالمه الإسلامى كما ينتقل من بلد إلى بلد فى وطنه الأصلى، لا يجد مشقة فى التفاهم، ولا صعوبة فى التعامل، ولا شدة فى المعيشة، ثم شغل المسلمون - عربهم وعجمهم - بالقرآن وفرغوا له - فكان دعاءهم فى المسجد، ونظامهم فى البيت، ومنهاجهم فى العمل، ودستورهم فى الحكومة، فسرى هديه منهم مسرى الروح، ووحيه فيهم مجرى الطبع، وأثر فى أفئدتهم وألسنتهم وأنظمتهم تأثيرا لم يأثره كتاب سماوى آخر فى أهله.

فى تخلف اللغة عن مسايرة الزمن وملاءمة الحياة جمود واندثار تتغلب بعده لهجاتها العامية وتسود

ومن هنا كانت ثقافة الإسلام قائمة على ركنين أساسيين بالدين بعلومه المختلفة، واللغة بفنونها المعروفة، وهذان الركنان يشد أحدهما الآخر ويمسك، فالإسلام بغير العربية ينبهم ويضمحل، والعربية من غير الإسلام تنكمش وتزول. واللغات السامية مدينة ببقائها للدين، فلولا اليهودية ما بقيت العبرنية، ولكن الفرق بين بقاء العربية وبقاء العبرية والسريانية هو الفرق بين الروح والدماء، أو بين العين والأثر.

على أن فضل الأزهر على علوم القرآن وعلوم اللسان قد يشاركه فيه - بالكثير أو بالقليل - طائفة من المدارس والجوامع، أنشأها السلاطين فى القاهرة ودمشق وحلب وبغداد والنجف وقرطبة والقيروان والزيتونة، كالناصرية والقمحية والصلاحية والمؤيدية والمنصورية والشيخونية والظاهرية والكاملية والنظامية، ولكن هذه المدارس التى عفى على أكثرها الزمن، لم تستطع فى حياتها منفردة أو مجتمعة، أن تطاول على الأزهر فى فضله الخالد على اللغة العربية فى بقائها لسانا للعلم ورباطا للمسلمين إلى اليوم.

***

رسالة الأزهر

إن رسالة الأزهر قائمة على ركنين: دين، ولغة، ولكن الأمر فى تأديته إياها جَدُّ مختلف.

الدين: كامل لأنه من عمل الله، واللغة: ناقصة لأنها من عمل الإنسان، والكامل الإلهى لا يتأثر بالمكان، ولا يتغير بالزمان، ولا يضيق بالحضارة، ولا يبرم بالعلم، فهو جديد أبدا، صالح أبدا. أما الناقص فهو عرضة للفساد والجمود والتخلف، وموضع للزيادة والتجديد والتطور، لذلك كان الاجتهاد فى اللغة وعلومها أمرا تحتمه الضرورة، وتقتضيه الطبيعة، لأن اللغة لا يمكن أن تثبت ثبوت الدين، ولا أن تستقل استقلال الحى، فهى ألفاظ

يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، والأغراض لا تنتهى، والمعانى لا تنفد، والناس لا يستطيعون أن يظلوا خُرسا، وهم يرون أن الأغراض لا تنتهى، والمعانى تتولد، والحضارة ترميهم كل يوم بمخترع، والعلوم تطالبهم كل يوم بمصطلح، ولا علة لهذا الخرس إلا أن البدو المحصورين فى حدود الزمان والمكان لم يتنبأوا بحدوث هذه الأشياء، ولم يضعوا لها ما يناسبها من الأسماء.

نشأ من إنكار حق الوضع اللغوى على المولدين وحصره فيمن يعتد بعربيتهم من عرب الأمصار حتى آخر المائة الثانية، أو أعراب البوادى حتى آخر المائة الرابعة، أن طغت العامية طغيانا جارفا حصر اللغة الفصحى فى طبقات العلماء والشعراء والكُتاب يكتبون بها للملوك، ويؤلفون فيها للخاصة، وسيطرت على حياة الأمة فى شئونها العامة وأغراضها، لأن العامية حرة تنبو على القيد، وطبيعية تنفر من الصنعة، فهى تقبل من كل إنسان، وتستمد من كل لغة، وتصوغ على كل قياس، والناس فى سبيل التفاهم - يؤثرون السهل ويستعملون الشائع.

وتخلف اللغة عن مسايرة الزمن وملاءمة الحياة معناه الجمود ثم الاندثار بتغلب لهجاتها العامية عليها وحلولها محلها. وقد تنبه مجمع اللغة العربية فى مصر لهذا الخطر فقرر فيما قرر فتح باب الوضع اللغوى للمحدثين بوسائله المعروفة من الاشتقاق والتجوز والارتجال، وإطلاق القياس ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع كالبنائين والنجارين وغيرهم من أرباب الحِرف والصناعات، واعتماد الألفاظ المولدة وتسويتها بالألفاظ القديمة، وعلى هذه الألفاظ وغيرها وضع (معجمه الوسيط).

أما الاجتهاد فى الدين: فقد فتحت أبوابه أول الأمر لمن تجهز بجهازه واعتد له بعدته، حتى إذا زخر الفقه الإسلامى على اختلاف مذاهبه ومدى عصوره بالآراء المحكمة، والوجوه المحيطة، وجد فيه المسلمون جوابا شافيا عن كل سؤال يخطر على الذهن، وحلا جامعا لكل إشكال يعرض فى المجتمع، وحكما عادلا فى كل قضية ترفع للقضاء، فاستغناوا بغزارته وإحاطته عن الاجتهاد فيه، وانصرفوا إلى اجتهاد من نوع آخر هو الاجتهاد فى اختيار الرأى المناسب، وترجيح الحكم الموفق، جاء فى كتاب: «الولاة والقضاة» للكندى: أن قاضيا شافعى المذهب كان بمصر فى عصر الإمام الطحاوى، وكان يتخير لأحكامه ما يرى أنه يحقق العدل من آراء الأئمة ولا يتقيد بمذهب من المذاهب، وكان مَرْضىَّ الأحكام، لم يستطع أحد أن يطعن عليه فى دينه ولا فى خلقه ولا فى حكمه.

سأل هذا القاضى الإمام الطحاوى عن رأيه فى واقعة من الوقائع، فقال الطحاوى: أتسألنى عن رأيى أو عن رأى أبى حنيفة؟ قال القاضى: ولِمَ هذا السؤال؟، قال الطحاوى: ظننتك تحسبنى مقلدا، فقال القاضى: لا يقلد إلا عصبىٌّ أو غبىٌّ.

هذه الثروة الفقهية الضخمة لم يحجبها عن الناس إلا أسلوب التأليف القديم. واليوم وقد تطورت المدنية، وتغيرت العقلية ينبغى أن يطابق التعليم والكتاب مقتضيات العصر. هذه هى المحنة الثالثة التى تعانيها اللغة العربية اليوم، وهى لا تختلف عن سابقتيها إلا فى أن موقف الأزهر منها يجب أن يكون إيجابيا: يقابل العمل بالعمل، ويردّ الكيد بالكيد، ويقاوم الدعاية بالدعاية، ويقف بالمرصاد لكل من يسوّل له جهله أو هواه أن يعبث بلغة الإسلام، ويوهن رابطة العرب.

والأزهريون الذين حملوا أمانة الله، وبلغوا رسالة نبيِّه أكثر من عشرة قرون يستطيعون أن يدرءوا خطر هذه الإباحية عن اللغة والدين، متى صدقوا الجهاد، وذكروا أنهم جند الله يرمى بهم العدو فى كل وقت، وفى كل أرض، وعلى أى صورة، فيعيشون للموت كالجنود، ويعملون للحياة كالقادة، ويعزفون عن الدنيا كالرسل، والله سبحانه وتعالى قد ضمن للعربية بقاء البيان ببقاء القرآن، وعلى أيدى أبناء الأزهر المؤمنين برسالته صدق وعده. إن الله لهو خير الصادقين.

نافذة على المعلومات

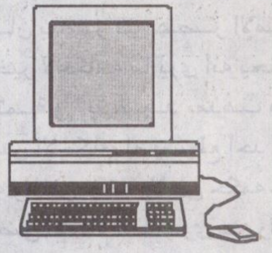

إعداد: منى القاضى

فأرة الكمبيوتر خطر على الأطفال

اكتشف علماء فى المعهد الوطنى للصحة المهنية ببلجيكا أن الاستخدامات المستمرة لفأرة الكمبيوتر، والمسماة «ماوس» والضغط عليها باستمرار يصيب بآلام فى مناطق اليد والرسخ والرقبة والأكتاف.

وذكر هؤلاء العلماء، أن الموظفين الذين يستعملون الكمبيوتر لفترات طويلة يصابون بهذه الآلام، وأن الذين يستخدمون «[illegible]» أكثر عرضة للإصابة، وخاصة إدا كانوا من الأطفال.

فى نفس السياق أشارت دراسة أخرى أن ألعاب الكمبيوتر تسبب أضرارا بالغة لعقل الطفل، تصل إلى درجة الإعاقة الذهنية.

وأضافت الدراسة أن الأطفال الذين يعتادون على النمط السريع فى ألعاب الكمبيوتر قد يواجهون صعوبة كبيرة فى الاعتياد على ممارسة الحياة اليومية الطبيعية، التى تسير بإيقاع أقل مما اعتادوا عليه، مما ينتهى بهم إلى الانطواء واختيار حياة العزلة والوحدة.

المخاطر الدينية والثقافية للإنترنت

سباق فى بث ما يتعارض مع القيم الأخلاقية والدينية

تعتبر شبكة الإنترنت ثورة كبيرة فى عالم الاتصالات، حيث أصبحت أقوى وسيلة إعلامية عالمية من حيث التأثير، ووصل عدد مستخدمى الإنترنت فى العالم إلى نحو ٣٠٠ مليون مستخدم. وقد فتحت هذه الشبكة الدولية الجبارة آفاقا جديدة للدعوة الإسلامية والعمل الإسلامى، وأصبح استغلالها ضرورة ملحة، إلى جانب كل ما وصل إليه العلم من وسائل إعلامية أخرى كالطباعة والتصوير والكمبيوتر والإذاعة والتليفزيون والقنوات الفضائية.

مرتزقة الإنترنت

ولم تعد المواقع العربية مجرد مواقع ثقافية وعلمية فقط، لكن نسبة كبيرة منها أصبحت اليوم تستغل فى بث ونشر كل ماهو ممنوع أو مثير، سواء كان ذلك الممنوع سياسيا أو دينيا.

والقوائم البريدية العربية المستخدمة فى ذلك أصبحت كثيرة جدا، لدرجة أنها بلغت ٨٤١٢ قائمة بريدية على موقع «ياهو» وحده.. منها فى مصر ١٢١١ قائمة، وفى السعودية ١٧٠٥ وفى البحرين ٢١٨ وفى العراق ٩٨.

والمجموعات البريدية المصرية إما ثقافية أو رياضية أو دينية أو سياسية أو حكومية.

والقائمة البريدية عبارة عن قيام شخص بفتح صفحة خاصة على الإنترنت مجانا، من خلال موقع «ياهو» أو غيره من المواقع. ويبدأ من خلالها فى بث أى شىء يريده دون أن تكون هناك أية رقابة على ما ينشر على هذه الصفحة. ويبدأ فى إرساله إلى جميع المشاركين فى القائمة من خلال بريدهم الإلكترونى.

وهناك قوائم سياسية وغالبيتها معارضة للدول التى ينشر عنها، وبعضها يعتبر نفسه مجاهدا

إلكترونيا عبر شبكة الإنترنت، وذلك من خلال بث الكثير من البيانات والشائعات عن الدولة وعن اقتصادها وعن سياستها.

وهناك القوائم التى تخل بمبادئ الأخلاق، والتى أنشأها بعض العرب، ويقومون من خلالها بإرسال صور وأفلام إباحية إلى المشاركين فيها. وهناك أيضا القوائم الدينية وهى غالبا ما تكون مناهضة لدين آخر، سواء كان الإسلام أو المسيحية أو اليهودية، وجميعها تفسر الكتب المقدسة تفسيرات خاطئة من شأنها تضليل من يقرؤها.. بالإضافة إلى القوائم التبشيرية.. وجميعها تبث سمومها فى البريد الإلكترونى للمشاركة فيه.

والجديد على شبكة الإنترنت هو شن هجوم على المثقفين والمشاهير وفبركة الصور وتزييفها وبثها على الشبكة.

إن استخدام الإنترنت فى العالم كله أصبح أهم من قراءة أى صحيفة مطبوعة، وعدم وجود رقابة على ذلك جعل الكثيرين يصدقون معظم ما ينشر به حتى لو كان غير صحيح. إن ما أصابنا من مساوئ الإنترنت، يفوق بكثير جدا ما جنيناه من فوائده. فإلى متى سيظل قانون العقوبات غائبا وبعيدا عن الجرائم الإلكترونية، التى تهدف إلى إفساد شبابنا وهدم الاستقرار الأسرى، فى بيوتنا؟

أخف كمبيوتر فى العالم

طرحت إحدى الشركات اليابانية «كمبيوتر جديد»، يعد أصغر وأخف كمبيوتر محمول فى العالم حاليا، حيث أن وزنه بالكامل لا يتجاوز ٦٩٠ جراما فقط. وأطلقت الشركة على الجهاز اسم lets Note R1 وكشفت أنه مجهز برقاقة «بانتيوم ٣» من نوع خاص وفرتها شركة انتل، وتبلغ سرعتها ٠,٠٠٧ ميجابايت فى الثانية.

أما ثمن الجهاز الجديد فهو يقدر بنحو ٨٣٢١ دولار فقط.

موقع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على الشبكة الدولية

Website Address: http:// WWW.islamic. Council. org
E-mail Addresses : Coun 11@ hotmail. com
Council @ Al azhr. org
Webmaster @ islamic- council. com
Postal Address: 9. El-Nabatat St. Garden City- Cairo A.R.E.
Tel. Nos.: (202) 7951438- 7951494
Fax No.: (202) 7954005

معنى بعض أسماء بلدان العالم

١ - **النمسا (أوستريا):** الأراضى الشرقية لأنها كانت واقعة شرق مملكة شارلمان.

٢ - **الدانمارك:** بلاد الأحراش.

٣ - **انجلترا:** بلاد الإنجليز أو الأنجلو أى الملائكة.

٤ - **فرنسا:** بلاد الأحرار.

٥ - **ألمانيا:** (دوتشلاند) أى بلاد الرجال.

٦ - **البرتغال:** البرتغال مشتقة من (إبرتو) وهو اسم ثغر فيها كان قدماء الرومان يسمونه (بورنوس كالى).

٧ - **روسيا:** بلاد البحارة وكانت قديما تسمى (موسكوفيتا) نسبة إلى عاصمتها موسكو.

٨ - **بولندا:** تعنى الحقول لأن أراضيها أغلبها مستوية.

٩ - **اليابان:** كلمة صينية معناها بلاد الشمس المشرقة واسمها باللغة اليابانية (ليبون) أى الشمس المشرقة.

١٠ - **سيلان:** معناها بالهندية بلاد الأسود.

١١ - **المكسيك:** (بلاد مكسينلى) وهو اسم إله الحرب عند زنوج المكسيك.

١٢ - **شيلى:** معناها بلغة زنوج أمريكا البلاد الباردة.

١٣ - **البرازيل:** اسمها مشتق من اسم خشب أحمر.

قال تبارك وتعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾

مكانة العلم

شعر / عمر موسى موسى البرعي

العلم حق بالفريضة ملزم — أوصى به الله العليم المنعم
والله علم آدم العلم الذى — يرقى به المرء المجد المسلم
والمصطفى بالعلم أحيا أمة — الجهل كان بها يضل ويهدم
بالوحى حاز المصطفى تعليمه — فى الغار من جبريل وهو الملهم
آتاه جبريل الكتاب معطرا — والمصطفى من فوحه يتنسم
سر الحبيب بنوره وبوحيه — فى غمرة الأفراح إذ يتبسم
العلم فرض فى الشريعة واجب — يسمو به المرء المحب ويكرم
والعلم للمرء الجهول فريضة — وبدونها الإنسان لا يتقدم
إن الجهالة فى الشريعة سبة — وبعارها رب الجهالة يوسم
فارفع لواء العلم واحضر دروسه — واقرأ وربك يصطفى ويعلم
والله يحفظ للمعلم قدره — إن المعلم عنده لا يظلم
إن المعلم قدوة بل أمة — بعظائم الأمجاد فخرا يحلم
فهو الذى عند الإله مكرم — بالعلم يعلو قدره ويعظم
حمل المشاعل للأنام بعلمه — وبفضله أجياله تترنم
إن الوفاء إلى المعلم واجب — فالله يأمر بالوفاء ويحكم
فانهل من الكتب العظام جواهرا — فى كل عقد للعظائم تنظم
إن الذى حمل الكتاب مشرف — بالعلم وهو ممجد ومكرم
ياسيد الرسل المعلم نظرة — يشفى بها العقل العليل ويسلم
فى ساحة التوحيد جئت موجها — بالحق إذ يروى الكتاب المحكم
يارب إن العلم عز مكانة — بجلاله جاء الرسول الأعظم
فأدم صلاتك والسلام على الذى — بكماله جاء البلاغ الأسلم

أنت تسأل والفقيه يجيب

فضيلة الشيخ
عطية صقر

فضل قراءة الفاتحة

السؤال من القارئ، ش. ك. ت من الشهداء بمحافظة المنوفية، يقول:
ما حكم قراءة الفاتحة عند القبر وإهداء ثوابها للمتوفى وأيضا حكم قراءة القرآن عند القبر وفى المنازل وإهداء ثوابه للمتوفى أيضا؟

الجواب: سبقت الإجابة على مثل هذا السؤال فى أعداد كثيرة من المجلة، وآخرها عدد جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ وملخصها: إذا قرئ القرآن بجوار القبر يرجى أن ينتفع الميت، لأن الملائكة تحضر مجالس الذكر والقرآن، ومعها الرحمة التى تعم القارئ ومن يكون معه فى المجلس سواء كان القارئ متبرعا بالقراءة أو كان يقرأ على أجر.

فالرحمة من الملائكة يستفيد منها الميت، أما ثواب القراءة الذى يهدى إلى الميت إن كانت بغير أجر فيرجى انتفاع الميت بها، أما إن كانت بأجر فلا يستفيد منها، لأن القارئ أخذ الثواب وهو الأجر، فليس عنده ما يهديه إلى الميت.

ومثل ذلك ما لو قرئ القرآن بعيدا عن القبر، فإن أخذ القارئ أجرا عليه لا يستفيد منه الميت، أما إن كان بغير أجر فيرجى الثواب إذا دعا القارئ أن يرحم الله الميت بسبب القراءة، فإذا قُبل الدعاء استفاد به الميت، وكذلك لو قال: اللهم بلِّغ مثل ثواب ما قرأت من القرآن إلى روح فلان «الميت» فإذا قُبل الدعاء استفاد الميت إن شاء الله.

كيف يستخلف الإمام؟

السؤال من القارئ، محمد عبد العال محمود، من شطورة، بمحافظة سوهاج، يقول:
إمام انتقض وضوءه وهو ساجد فهل للمستخلف أن يكمل الذى استخلفه؟

الجواب: إذا انتقض وضوء الإمام وهو ساجد يجب أن يستخلف غيره من المأمومين بأن يجره إلى الأمام ويذهب للوضوء متظاهرا بعذر شكلى إن خشى كلام الناس كأن يضع يده على أنفه موهما بالرعاف أى نزول الدم منه، ومن استخلفه يكمل الصلاة إماما بعد أن كان مأموما.

النبى صلى الله عليه وسلم وشق الصدر

السؤال من القارئ، هشام حمدى عبد السلام، من الباجور، بمحافظة المنوفية، يقول:

تعرض الرسول ﷺ لشق الصدر ثلاث مرات، واستخراج حظ الشيطان منه فهل معنى هذا أن الرسول ﷺ لم يتعرض ولم يعان من وسوسة الشيطان وإغوائه؟

الجواب: هذا السؤال يتصل بموضوع عصمة الأنبياء، والاتفاق على أنهم معصومون بعد النبوة من الكبائر، وكذلك من الصغائر التى فيها خسة، وأيضا الصغائر الأخرى، وهم معصومون أيضا قبل النبوة من الكبائر، مع الاختلاف فى عصمتهم من الصغائر، وعلى ضوء هذا اختلف المفسرون فى الآيات والشارحون للأحاديث التى فيها استغفار الرسول من الذنوب كقوله تعالى: **﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾** محمد: آية ١٩، وكحديث البخارى **«والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة»**، فهناك اتفاق على عصمتهم من الكبائر حتى لا تهتز الثقة بهم، بل نجلهم عن الصغائر التى لا تليق بمقامهم، فقربهم من الله يجعل مقاييس سلوكهم أشد دقة وأقوى ضبطا، وما كان من تصرف يغيب ظاهره عن إدراك حكمته فهو من باب هذا القول **«حسنات الأبرار سيئات المقربين»**.

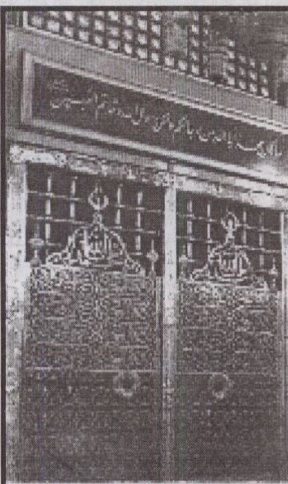

ومن أراد توضيحا فليرجع إلى كتابنا «المصطفون الأخيار» عند شرح استغفار الرسول، وما ذكره الزرقانى على المواهب اللدنية (ج٥ ص٢١٦ ـ ٢٢٠).

الوحى

السؤال من القارئ، د. محمود أبو النصر جاد الله، من دسوق بمحافظة كفر الشيخ، يقول: ماهو الوحى؟ وهل كان الوحى خاص بسيدنا محمد ﷺ فقط وهل كان متمثل فى القرآن الكريم؟

الجواب: أصل الوحى فى اللغة الإشارة السريعة وقد يكون بكلام وبغيره، ويطلق على كل ما يصل من الله إلى خلقه، سواء أكان النبى أو غيره، قال تعالى: **﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم* وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾** الشورى: الآيتان ٥١، ٥٢. وقد أوحى الله إلى الأنبياء كما قال: **﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم..﴾** النساء: آية ١٦٣، والمعروف أن مما أوحاه الله إلى الرسل: التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود، وصحف إبراهيم، وختام الوحى كله القرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ، الذى نزل مفرقا منجما على مدى ثلاثة وعشرين عاما، بخلاف الكتب السابقة التى كانت تنزل مرة واحدة وحكمة ذلك كما قال تعالى: **﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾** الفرقان: آية ٣٢.

معنى الجهالة

السؤال من القارئ، أحمد محمد فاروق، من محافظة الجيزة، يقول:
مامعنى «بجهالة» التى وردت فى قوله تعالى: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة﴾ وإذا كان معنى «جهالة» عدم المعرفة بعقوبة الذنب فماذا عن الذى يعرف عقوبة الذنب ويقع فيه دون تعمد؟ خاصة أن هناك حديثا يقول: «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون».

الجواب: الذين يعملون السوء بجهالة تجب عليهم التوبة كما فى الآية والحديث، ولكن ماهو معنى الجهالة؟ جاء فى تفسير القرطبى: أن كل من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته، **قال قتادة:** أجمع أصحاب النبى ﷺ على أن كل معصية فهى بجهالة، عمدا كانت أو جهلا، وقال أيضا ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد والسدى وقال الزجاج: يعنى قوله «بجهالة» اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية، فالخلاصة أن من يرتكب أية معصية يعتبر جاهلا وعليه المبادرة بالتوبة قبل المرض والموت، ويكفى هذا القدر وكتب التفسير مملوءة بالأقوال فيرجع إليها من شاء.

الطريقة المثلى لحفظ القرآن الكريم

السؤال من القارئ، حمدى صلاح محمد جمعة، من البراهمة، بمحافظة قنا، يقول:
عزمت على حفظ القرآن الكريم وعلمت أن هناك صلاة ودعاء تعين بإذن الله على حفظ القرآن فماهى الصلاة وماهو الدعاء؟

الجواب: سبقت الإجابة فى عدد جمادى الآخرة ١٤١٣هـ وخلاصتها: أن الطريقة المثلى لحفظ القرآن هو مداومة قراءته، فالحديث يقول: **«تعاهدوا القرآن، فوالذى نفسى بيده لهو أشد تقصيًا - تفلُّتا - من الإبل فى عُقُلها»** رواه مسلم.

وجاء فى الأحاديث أن النبى ﷺ علَّم عليًا دعاء يقوله ليساعده على حفظ القرآن وعدم نسيانه، وهو حديث طويل يرجع إليه فى كتاب «الترغيب والترهيب» للمنذرى، لكن هذا الحديث قال عنه الترمذى: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد ابن مسلم، كما رواه الحاكم وصححه على شرط البخارى ومسلم، وفى نهاية الكلام عنه قال المنذرى: طرق أسانيد هذا الحديث جيدة ومتنه غريب جدا. ومع كل هذا لابد لحفظ القرآن من كثرة تلاوته.

صلاة لم تكتمل

السؤال من القارئ، س. أ. ع. من محافظة القاهرة، يقول:
كنا نصلى جماعة خلف إمام صلاة العصر ثم اكتشفنا أن الإمام صلى بنا ثلاث ركعات فقط وسلم وخرج فماذا كنا فاعلين أنكمل بمفردنا أم أن يأمنا آخر بالركعة الرابعة؟

الجواب: تصور هذه المسألة صعب، فإذا كان الإمام قد أخطأ وجلس فى الركعة الثالثة على أنها الرابعة أين كنتم أيها المأمومون؟ لماذا لم تنبهوه إلى خطئه، إنكم لو نبهتموه بقول **«سبحان الله»** وسمع ذلك كان الواجب عليه أن يستجيب ويقوم لأداء الركعة الرابعة، ولكنه استمر فى التشهد وسلم وخرج، فصلاته باطلة.

كان الواجب على المأمومين حينئذ أن ينووا المفارقة بقلوبهم دون ألسنتهم، ويقوموا ليكملوا الركعة الرابعة ويتركوه جالسا يتشهد. أما انتظارهم معه حتى تشهد وسلَّم فهو خطأ وصلاتهم باطلة، عليهم أن يعيدوها صحيحة، إما منفردين أو بجماعة أخرى.

القواعد من النساء

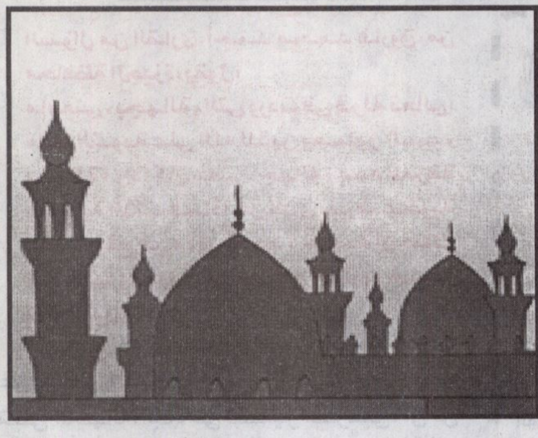

السؤال من القارئ، علاء الدين أحمد، من السيدة زينب، بمحافظة القاهرة، يقول:

ما المراد بالقواعد من النساء المذكورات فى القرآن الكريم؟

الجواب: سورة النور نزلت فيها أحكام كثيرة خاصة بالمحافظة على الأعراض، من وضع عقوبات رادعة للتعدى عليها، ومن آداب تتبع للوقاية من الوقوع فى الفاحشة المنكرة، وقد أمر الله فيها ألا يبدى النساء زينتهن إلا ما ظهر منها، وأن يضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الداخلية التى من شأنها أن تستر إلا لجماعة مخصوصين لا يخشى منهم السوء غالبا كالمحارم، وكل ذلك للحفاظ على المرأة وسمعة أهلها، وبُعْدا بالمجتمع عن الفوضى والفساد.

والمرأة يجب عليها ستر كل جسمها عن الأجانب بما لا يصف ولا يشف، مع آراء فى كشف الوجه والكفين عند عدم الفتنة، وكل ذلك فى الشابة أو غير المتقدمة فى السن، أما العجوز فقد جاء قوله تعالى: **﴿والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة، وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم﴾** النور: آية ٦٠.

والقواعد جمع قاعد، وهى العجوز التى قعدت عن التصرف من أجل كبر السن، وقعدت عن الولد والعادة الشهرية كما قال أكثر العلماء، وقال ربيعة: هى التى إذا رأيتها تستقذرها من كبرها، ومعنى وضع الثياب خلعها، والمراد أن العجوز لا حرج عليها فى أن تتخفف من بعض ثيابها الكثيفة التى كانت معتادة عند الخروج لزيادة التصون والستر، بمعنى أنه يجوز لها أن تخلع خمارها الذى يستر رأسها أولا لثقله عليها وهى المسنة، وثانيا لأن شيب شعرها لا يفتن من يقع نظره عليه، وبخاصة أنها فى الغالب ملازمة للبيت لا تخرج منه لغير ضرورة، وقد يدخل رجل أجنبى فلا حرج عليها أن يُرى بعض شعرها، ومع ذلك فالاستعفاف بدوام الستر أفضل.

وكل هذا بشرط ألا يكون هناك تبرج وظهور بالزينة المغرية، كوضع أصباغ وغيرها من أجل لفت الأنظار إليها على الرغم من كبر سنها، فإن ذلك حرام لسوء القصد، ومع ذلك فقد قال بعض العلماء: إن العجوز كالشابة فى وجوب الستر الكامل.

ومعنى وضع ثيابها هو خلع الجلباب أو العباءة التى فوق غطاء الرأس للتخفيف مع بقاء الرأس مستورا، ومهما يكن من شىء فليكن هناك حساب للفتنة وحساب للقصد والنية وأثر الظروف فى ذلك.

اطمئنان القلب

السؤال من القارئ، حسين عبد العظيم، من حلوان بمحافظة القاهرة، يقول: يقول الله تعالي علي لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿قال أو لم تؤمن قال بلي ولكن ليطمئن قلبي﴾ أليس الإيمان يتبعه ـ بالضرورة ـ اطمئنان القلب؟ فكيف آمن إبراهيم ولم يطمئن قلبه؟

الجواب: قال القرطبى فى تفسير هذه الآية: اختلف الناس فى هذا السؤال ـ وهو **﴿رب أرنى كيف تحيى الموتى﴾** . هل صدر من إبراهيم عن شكٍّ أم لا؟ فقال الجمهور: لم يكن إبراهيم عليه السلام شاكا فى إحياء الله الموتى قط، وإنما طلب المعاينة، وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به، ولهذا قال عليه السلام: «**ليس الخبر كالمعاينة**» رواه ابن عباس ولم يروه غيره.

قال الأخفش: لم يرد رؤية القلب وإنما أراد رؤية العين، وقال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير والربيع: سأل ليزداد يقينا إلى يقينه.

ثم ذكر القرطبى حديث البخارى ومسلم أن الرسول ﷺ قال: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى**»، وفسره بأن معناه لو كان شاكا لكنا نحن أحق به ونحن لا نشك، فإبراهيم عليه السلام أحرى ألا يشك، فالحديث مبنى على نفى الشك عن إبراهيم، لأنه قال قبل ذلك لمن حاجَّه **﴿ربى الذى يحيى ويميت﴾**، فالشك يبعد على من تثبت قدمه فى الإيمان فقط فكيف بمرتبة النبوة والخلة، والأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التى فيها رذيلة إجماعا.

ثم قال القرطبى: إن سؤال إبراهيم عن حالة شىء موجود ومقرر عند السائل والمسئول.

فالإيمان بأن الله هو المحيى مستقر فى قلب إبراهيم، ولكنه يسأل عن الكيفية، ليزداد إيمانا، هذا موجز لما فى القرطبى من كلام طويل.

متى تحسب العدة للطلاق

السؤال من القارئة، عايدة عليوة محمود، من الشرقية، تقول:

رفعت دعوى طلاق للضرر وسوء المعاملة فصدر قرار بالطلاق منذ عام، ولكن الزوج استأنف وأيدت المحكمة قرار الطلاق فمنذ متى تحتسب العدة منذ صدور القرار الأول أو بعد الاستئناف؟

الجواب: جاء فى إجابة الشيخ حسن مأمون المفتى الأسبق بتاريخ ٢٧ من مايو ١٩٥٧م أن عدة المطلقة تبدأ من تاريخ الطلاق سواء أكان المطلق هو الزوج أو المحكمة، ولا تبدأ العدة فى الطلاق الغيابى الصادر من المحكمة. إلا إذا صار نهائيا، بأن مضت مدة المعارضة والاستئناف ولم يعارض فيه ولم يستأنف، أو استؤنف وتأيد، أما إذا لم يصير الحكم بالطلاق نهائيا فلا يجوز قوة الشىء المحكوم به ولا يكون الطلاق نافذا تترتب عليه آثاره، ومنه العدة حتى يكون نهائيا «الفتاوى الإسلامية ـ المجلد السادس صفحة ٢١٩٣، ومن هذا تعرف الإجابة. اللهم إذا كان فيه تجديد للقانون.

ثـــواب رد الســـــلام

السؤال من القارئ، خيرى أبو الروس، من بيلا، بمحافظة كفر الشيخ، يقول:
هل يثاب المسلم على رده السلام حتى ولم يلق عليه، أو رد السلام عندما يقال فى الإذاعة أو التليفزيون؟

الجواب: من المعلوم أن تحية المسلم لأخيه المسلم هى بالسلام أى الأمان وهذه التحية سنة يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها، وورد فى فضلها أحاديث كثيرة، وردُّ التحية على من ألقاها واجب، يثاب من فعله، ويعاقب من تركه، والوجوب كفائى إذا ألقى السلام على أكثر من واحد، بمعنى لو قام واحد أو بعض من الجماعة بالرد كان ذلك كافيا ولهم جميعا الثواب، كذلك من ألقى السلام كفاية عن جماعة معه له ولهم الثواب.

وقد تحدث النووى كثيرا عن هذا الموضوع فى كتابه «الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار» وجاء فيه أن من كتب كتابا - أى أرسل خطابا - إلى أحد وفيه: السلام عليك يافلان، أو السلام على فلان، أو أرسل رسولا وقال: سلِّم على فلان فبلغه الكتاب أو الرسول وجب عليه أن يرد السلام. وصح فى البخارى ومسلم عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ **«هذا جبريل يقرأ عليك السلام»، قالت: قلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته.**

وبخصوص ما جاء فى السؤال وهو الرد على من يتحدث فى الإذاعة أو التليفزيون ويبدأ بقوله: السلام عليكم، ومثله من ينشر كتابا أو مقالا ويبدأ فيه بالسلام، هل يجب الرد عليه؟ يبدو لى أنه يجب الرد، لأن الصوت صادر من إنسان قاصد التحية وكذلك الكاتب والناشر، والراديو أو التليفزيون أو الكتب والصحف كلها ناقلة فقط، كالميكروفون الذى يبلغ سلام المتكلم لمن يبعدون عنه ولا يرونه فى المسجد الكبير أو الحفل الكبير.

وقد يقال: إن المذيع أو المتحدث المباشر أو الناشر لا يسلم على أشخاص حقيقيين، بل متخيلين فى ذهنه، وتصوره، لأنه لا يرى ولا يحس بأناس معه، ومن هنا لا يجب الرد.

لكن إذا وجب رد السلام على من ألقيت عليه التحية قال العلماء: أقل ما يؤدى به الواجب أن يرفع صوته بحيث يسمعه المسلِّم، فإن لم يسمعه لم يسقط عنه فرض الرد. نقله النووى فى «الأذكار» ولم يعقِّب عليه، وعلى هذا، فإن رد المستمعين إلى الإذاعة أو المشاهدين للتليفزيون السلام على من سلم عليهم واجب، حتى لو لم يسمعه المذيعون - ولن يسمعوه قطعا - كما تقدم أن من بلغه سلام فى كتاب وجب الرد، ومعلوم أن المرسل لن يسمعه.

هذا، ولما كان رد التحية الملقاة على جماعة واجبا وجوبا كفائيا، فإنه لو قام به البعض سقط الطلب عن الباقين، وأغلب الظن - إن لم يكن يقينا - أن الآلاف والملايين من المستمعين أو المشاهدين سيرد واحد منهم على الأقل على هذه التحية، فيغنى ذلك عن رد الآخرين.

فـــى الـــنـذور

السؤال من قارئ، من محافظة الجيزة، يقول:
نذر شقيقان كل منهما علي حدة أن يذبح كل منهما ذبيحة فى حدود ١٠٠٠ جنيه (عجل) فهل إذا تحقق النذر لهما أن يضما المبلغين ليستطيعا شراء عجل معقول ليوفيا نذرهما به؟

الجواب: ذبيحة النذر إن كانت من الغنم يكون سنها سنة كاملة، أو أقل من سنة قليلا إذا كانت سمينة، أما إن كانت من البقر أو الجاموس فلابد أن يكون سنها سنتين فأكثر، ويمكن لهذه البقرة أو الجاموسة أن يشترك فيها شخصان، لأنها تكفى عن سبعة أشخاص.

أ. حسين السكرى

كيف تقرأ أم الكتاب

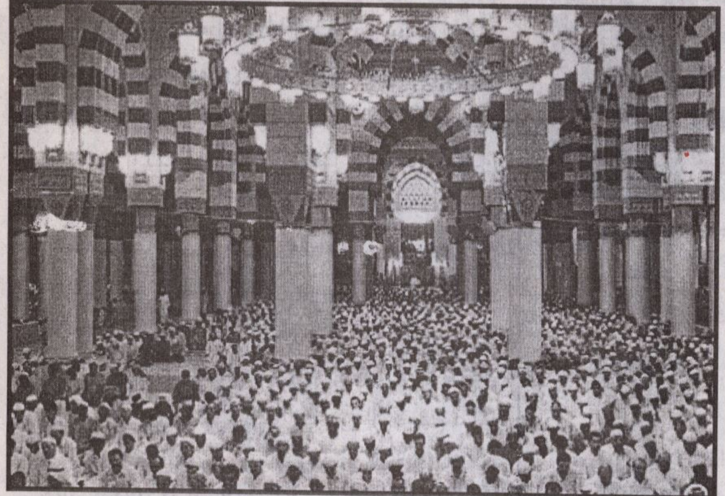

للقارئ/ خيرى شاكر بشتة - طويلة - نشرت - قلين - كفر الشيخ.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: عن الرسول ﷺ أن الله سبحانه قال فى حديثه القدسى: **«قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل، فإذا قال: الحمد لله رب العالمين؛ قال الله: حمدنى عبدى، فإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله - تعالى -: أثنى على عبدى، فإذا قال: مالك يوم الدين، قال الله: مجدنى عبدى، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين؛ قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل»**، من هنا يفهم أن الفاتحة هى أم الكتاب والسبع المثانى هى أساس الصلاة فلابد من قراءتها قراءة صحيحة، ومن المعلوم أن اللحن الجلى يؤدى إلى تغيير المعنى والإساءة إلى اللفظ وإن كان هذا اللحن فى الفاتحة فإنه يبطل الصلاة؛ كاستبدال حرف التاء بالطاء فى **﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾** ويحدث ذلك فى حالة تفخيم يعنى تغليظ حرف القاف، وكذا حرف الضاد فى كلمة **﴿ولا الضالين﴾** لو قلبت ظاء فإن الصلاة باطلة لأن حرف الضاد مخرجه صعب فهو يخرج من إحدى أو كلتا حافتى اللسان مع ما يوازيها من الأضراس العليا، أما عن تغيير حركة بحركة يحدث ذلك فى تبديل الفتحة بضمة كما فى كلمة أنعمت فلو بدلنا الفتحة بضمة الذى يحدث هو أنه بدل أن يكون الله - تعالى - هو المنعم صار صاحبنا المتكلم هو المنعم وكذلك فى كلمة **﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾** إذا تم تغيير الفتحة بكسرة فى كلمة «إياك» فمن فعل ذلك بطلت صلاته ولو كرره صاحبه متعمدا أو اعتقده فقد كفر لأنه قام بتأنيث لفظ الجلالة، وهناك لحن خفى وهو لا يؤدى إلى تغيير المعنى ولا يؤدى إلى بطلان الصلاة، ففى كلمة **﴿غير المغضوب عليهم﴾**، هناك من ينطق الكسرة فى كلمة عليهم فى حالة متوسطة بين الكسرة والفتحة.

أعلم الناس بكتاب الله

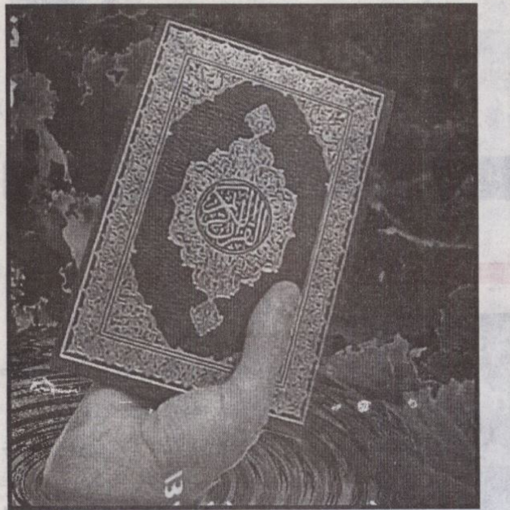

للقارئ/ محمد عباس محمد عرابى - كاتب وقارئ إسلامى واجتماعى.

روى عن رسول الله ﷺ فى الصحيح أنه قال: **«من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما نزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد»** نعم: فعبدالله بن مسعود قال عنه رسول الله ﷺ: **«إنك غلام معلم»** وكان عبدالله ابن مسعود يقول: **«والله الذى لا إله غيره، ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وأعلم فيما نزلت، ولو أعلم أن أحدا أعلم منى بكتاب الله تناله المطى ويمكن الوصول إليه لأتيته»** لم يكن عبدالله بن مسعود مبالغا فيما قاله عن نفسه، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يلقى ركبا فى سفر من أسفاره والليل مخيم يحجب الركب بظلامه وكان فى الركب عبدالله بن مسعود فأمر عمر رجلا أن يناديهم، من أين القوم؟ فأجابه عبدالله: من الفج العميق، فقال عمر: أين تريدون؟ فقال عبدالله: البيت العتيق، فقال عمر: إن فيهم عالما وأمر رجلا فناداهم: أى القرآن أعظم؟ فأجابه عبدالله: **﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم﴾** البقرة: آية ٢٥٥، قال نادهم؛ أى القرآن أحكم؟ فقال عبدالله: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى﴾** النحل: آية ٩٠، قال عمر: نادهم أى القرآن أجمع؟ فقال عبدالله: **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره* ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾** الزلزلة: الآيتان ٧، ٨، فقال عمر نادهم، أى القرآن أخوف؟ فقال عبدالله: **﴿ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا﴾** النساء: آية ١٢٣، فقال عمر: نادهم، أى القرآن أرجى؟ فقال عبدالله: **﴿قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾** الزمر: آية ٥٣. فقال عمر: نادهم، أفيكم عبدالله بن مسعود؟ فقالوا اللهم نعم.

***

حوار شيق وجذاب، فقد كان أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حصيف الفكر سديد الرأى قوى الحجة نافذ البيان، فهو الذى قال فيه الرسول ﷺ: «لم أر عبقريا يفرى فريه» وقال فيه أيضا ﷺ: «لو كان نبى بعدى لكان عمر»، وهناك مقولة نطق بها الرسول ﷺ عن عمر وهى قوله: «الشيطان يخافك ياعمر فما رآك سالكا فجا إلا سلك فجا غيره»، وقد نزل القرآن الكريم مؤيدا لرأيه فى أكثر من موضع، وقد كان عبدالله بن مسعود مجيدا لكتاب الله سبحانه عالما به، وكان لسانه رطبا طيبا، ويعلم أسباب النزول ومتى نزلت وأين نزلت، فهؤلاء وغيرهم تربوا جميعا فى جامعة الرسول ﷺ، فرضى الله عنهم أجمعين ونفعنا بعلمهم وفضلهم.

مواقف من الحياة

للقارئ/ محمد محمد عيسى النجار - المحلة الكبرى - الغربية.

لقد شاعت فى الفترة الأخيرة ظاهرة لافتة للنظر لم تكن موجودة بالصورة التى نراها حاليا بالماضى القريب ألا وهى تعدد مرات الخطوبة، فهل ياترى ما أسباب ذلك؟ بلاشك قلة الوازع الدينى خاصة وأننا نعيش فى زمن قد طغت فيه الماديات على الأخلاق والتسرع فى الإقدام على الخطبة دون إلمام بالقدر الكافى عن الطرفين ماديا واجتماعيا وفكريا وأخلاقيا، فيأتى اختيار الطرفين نتيجة ضغوط خارجية من الأهل والأصدقاء وغيرهم، سطحية التفكير لدى الشباب والفتيات لتبعات الحياة وعدم إدراكهم لما يقومون به من أقوال وأفعال وتراجع أحد الطرفين على شرط من الاتفاقات وعدم جدية أحد الطرفين، ولعلاج مثل هذه الظاهرة ينبغى أن تتكاتف مؤسسات الإعلام المختلفة سواء كانت مرئية أو سمعية أو مقروءة للتصدى لهذه الظاهرة وتوعية المجتمع من خلال دور العبادة والتمهل فى الاختيار والتوافق المادى والمعنوى بين الطرفين والقناعة الذاتية من الطرفين وعمق التفكير وجديته من الطرفين ومصداقيته من الطرفين فيما اتفقت عليه مسبقا وقبل كل شىء مراقبة الله - عز وجل - فيما يصدر عن الإنسان من أقوال وأفعال وأن مالا يرضاه لنفسه وأسرته لا يرضاه لغيره.

***

آفة هذا العصر الذى نعيش فيه هو التردد والشك فى النفوس، وهناك كثير من الناس أقدموا على الخطوبة ثم تراجعوا عنها دون أسباب ذات معنى ولكن شيطانهم يوسوس لهم ويسيطر على نفوسهم ويقف لهم بالمرصاد مع أن العروس والعريس قد يكونان من أسر لها قيمتها فى المجتمع وكل منهما يتمتع بعقل ناضج وفكر مستنير ولا سبب يدعو إلى فسخ الخطوبة سوى التردد والشك فى النفوس ولو ذهبوا إلى العلماء وسمعوا منهم لم يلبث هذا الكلام أن يذهب أدراج الرياح والهداية أولا وأخيرا من الله - عز وجل -.

حديث قدسى

الشيخ مصطفى عبدالظاهر أبو عمرة

إن الله - عز وجل - يقول يوم القيامة ياابن آدم مرضت فلم تعدنى قال: يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده؟! ياابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى، فقال: يارب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟! قال أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه؟! أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى، ياابن آدم استسقيتك فلم تسقنى. قال يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟! قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه أما أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى.

***

إن هذا الحديث القدسى العظيم يهيب بالناس جميعا أن يتراحموا ويبذل الكل الخير للكل حتى يشعر الجميع بالسعادة وهى ترفرف على الجميع. ولما كان الإنسان عند ربه عظيم الشأن أخذ الله بيد الناس جميعا إلى حيث بذل المعروف، فعيادة المريض تثلج صدره ولا توغر نفسه بل تعجل بشفائه وإعطاء ذى الحاجة لقمة تسد رمقه فيكون لها عظيم المثوبة من رب عظيم، وإذا تحرق كبد الإنسان فى يوم صائف من أجل شربة ماء تكون سببا فى الإرواء. كل هذا الخير له عظيم المردود من لدن رب كريم يجازى بالإحسان إحسانا ويعطى على ذلك فضلا ورضوانا.

إصلاح الفرد فى الإسلام

للقارئ/ أحمد جمال الدين عزام ـ المطرية ـ دقهلية.

إصلاح الفرد وتنشئته التنشئة الصالحة ضرورى؛ لأن الفرد هو اللبنة الأولى التى يتكون منها المجتمع ويرتكز عليها، ومتى صلح الفرد صلح المجتمع بلا ريب وتنشئة الفرد الصالحة هى تربيته على مكارم الأخلاق التى عنى بها الإسلام عناية لاتوجد من ناحية الشمول والتفصيل فى أى دين من الأديان التى جاءت قبله، ومكارم الأخلاق معراج يرقى عليه الفرد إلى المجد وبشرف حيث يغرس بجليل أعماله وأفعاله وحميد مقاله المحبة والألفة بينه وبين الناس، يقول المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لأبى هريرة رضي الله عنه: «ياأبا هريرة: عليك بحسن الخلق، قال أبو هريرة: وما حسن الخلق يارسول الله؟ قال: تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك»، فهذا الحديث الشريف القيم وضع به نبى الله ﷺ أكبر دعائم الألفة والمحبة بين الناس وربطهم برباط محكم لا تنفصم عراه، لأن الألفة والمحبة قوة عارمة تفتت صخور الخلاف بل تجرفها وتقذف بها إلى أعماق النسيان؛ فتتضافر القلوب وتتساند وتتضامن على ما فيه خير الجماعة، وحسب الفرد رفعة عند ربه أن يكون كريم الخلق بوصله من قطعه وعفوه عمن ظلمه وإعطائه من حرمه أما المفرق بين القلوب وموقع العداوة والبغضاء بين الجماعة فحسبه أن يسمع قول المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ: «**إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم المشاءون بالنميمة المفرقون بين الإخوان**».

***

الأخلاق والفضائل والشمائل الإنسانية تعتبر الركائز الأساسية للإنسان المسلم بالذات فإذا غابت تلك المسميات وانقطعت تلك المعطيات بات صاحبها فقيرا خالى الوفاض لا يملك أى شىء من مكارم الأخلاق وأصبح فى عزلة كاملة عن المجتمع الإنسانى الإسلامى، لأن الواحد منا لا يعيش لنفسه فقط، بل لابد أن يعيش داخل مجتمعه وأهله وأقاربه ليقدم لهم الخير ويرفع عنهم الهم والغم والبلاء ويواسيهم ويحضرنى هنا قول الشاعر:

فالنفس من خيرها فى خير عافية
والنفس من شرها فى مرتع وخم

مسابقة منبر الإسلام للحج والعمرة ـ شوال ١٤٢٥هـ (٢)

السؤال : وحينما يتأمل المرء فى بعض التشريعات التى سنها الإسلام فى عيد الأضحى يجد أنها تؤكد المعانى الإنسانية العليا التى يحرص الإسلام على سيادتها.

من قائل هذه العبارة وفى أى مقال وردت؟

عنوان المقال : .... **اسم الكاتب :** ....

العنوان : ....

العمل : ....

اسم المتسابق : .... **رقم التليفون :** ....

تاريخ الميلاد : ....

رقم البطاقة: .... **جهة الصدور :** ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة للحج أو رحلة للعمرة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٢٥هـ حتى شعبان ١٤٢٦هـ.

بريد التعارف

أهلاً

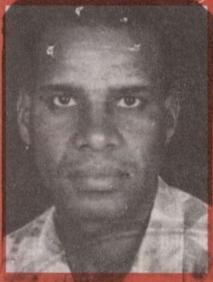

الاسم : عاطف محمد شاذلى

الهواية : الاطلاع الدينى والثقافى

العنوان : موط - الداخلة - الوادى الجديد

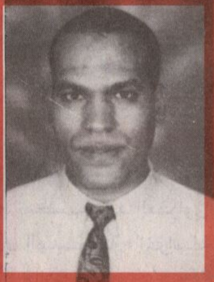

الاسم : الدسوقى أحمد نوفل

الهواية : الخطابة وقراءة القرآن

العنوان : كتامة - بسيون - غربية

الاسم : محيى صابر عبدالهادى قشطة

الهواية : القراءة وكتابة القصة

العنوان: شما - أشمون محافظة المنوفية

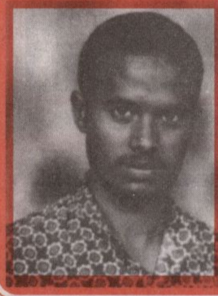

الاسم : عبدالخالق عبدالعال عبدالرحيم

الهواية : حفظ القرآن والخطابة

العنوان : نجع الفجيرة - السمطا - دشنا - قنا

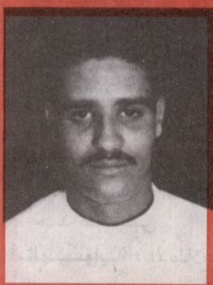

الاسم : محمد أحمد عبدالظاهر إبراهيم

الهواية : الاطلاع الدينى

العنوان : قنا - دشنا - أبو دياب غرب

الاسم : السيد عبدالفتاح البلقاسى

الهواية : قراءة القرآن والاطلاع

العنوان : مصرب الجرن - بيلا - كفر الشيخ

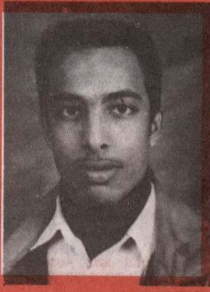

الاسم : ياسر محمود أحمد حجاج

الهواية : قراءة القرآن

العنوان : قرية شرنوب - دمنهور - محافظة البحيرة

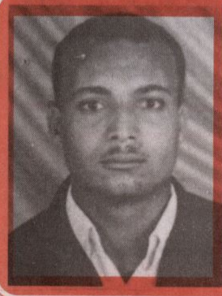

الاسم : محمود قايد محمد عسران

الهواية : القراءة والاطلاع الدينى

العنوان: قنا - نجع حمادى - نجع الحاكم

الاسم : محمود أحمد عبدالكريم
الهواية : الخطابة والاطلاع الدينى
العنوان : دمنهور ـ شبرا ـ ش بديوى

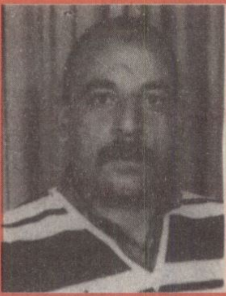

الاسم : خالد هلال إبراهيم
الهواية : المراسلة والاطلاع الدينى
العنوان : محافظة المنيا ملوى ـ العين القبلى

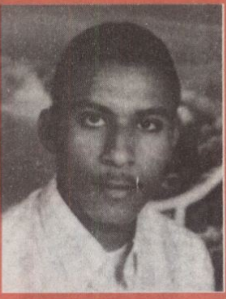

الاسم : يوسف محسب عابد العمراوى
الهواية : المراسلة والتعارف
العنوان : ش ماجد العمراوى ـ نزلة سرقنة ـ ديروط

الاسم : مصطفى عبده على
الهواية : حفظ القرآن والمراسلة
العنوان : ١٨ شارع الأشجار ـ المهندسين ـ الجيزة

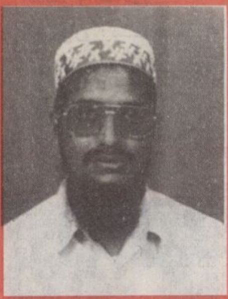

الاسم : ثروت حافظ عبدالنعيم
الهواية : الاطلاع والشعر والمراسلة
العنوان : قنا ـ فرشوط

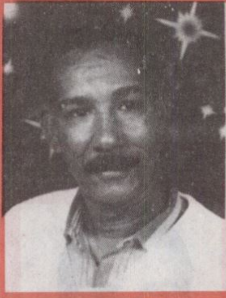

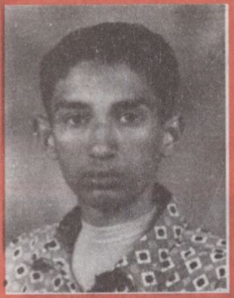

الاسم : محمود معوض محمد سليمان
الهواية : الاطلاع الدينى ـ تلاوة القرآن
العنوان : مركز سنورس ـ الفيوم

الاسم : محمد أحمد بدير سرحان
الهواية : حفظ القرآن والاطلاع الدينى
العنوان: المحلة الكبرى ـ غربية

الاسم : أحمد عزام أحمد طه شلبى
الهواية : الاطلاع الدينى والثقافى والمراسلة
العنوان : محافظة بنى سويف ـ باروط

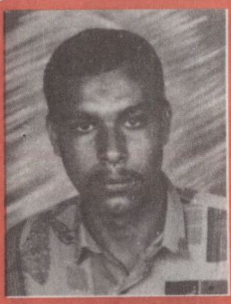

تعارف منبر الإسلام

الاسم : ....
الهواية: ....
العنوان: ....

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

محتويات العدد

□ كلمة التحرير		١
□ حديث الشهر (حديث القرآن عن النماذج البشرية بيان معجز بصدق الرسالة)..	بقلم أ. د عبدالصبور مرزوق	٢
● كلمة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق فى مؤتمر الهدى النبوى فى الدعوة والإرشاد		٥
● وقائع احتفال مصر بليلة القدر	منير بيومى	٩
● وحدة العرب (شعر)	محمود الطاهر الصافى	٢٤
● ملتقى الفكر الإسلامى خطاب فكرى لأمة اقرأ	إعداد: مصطفى إبراهيم خيان	٢٥
● الوحدة والتوحيد أساس بناء الحضارة الإسلامية	أ. د. عبدالحليم عويس	٤٥
□ القرآن الكريم وعلومه		٤٩
● تفسير سورة المعارج	أ. د. محمد سيد طنطاوى	٥٠
● دراسات فى المكتبة القرآنية: التبيان فى آداب حملة القرآن	أ. د. محمد الدسوقى	٥٥
● التفسير الموضوعى وحاجة عصرنا إليه	أ. د. مصطفى رجب	٥٩
● دور قراء القرآن الكريم والمبتهلين فى الحفاظ على اللغة العربية	أ. د. عبدالرازق عبدالحميد حويزى	٦٥
● الدين والدولة: ثورة يوليو والعلمانية	أ. د. محمد عمارة	٦٩
□ الأسرة فى التشريع الإسلامى		٧٥
● رعاية الشباب فى ضوء السنة الشريفة	أ. د. أحمد عمر هاشم	٧٦
● محاسن الإسلام ومزاياه فى تشريعات المرأة (٧)	أ.د. عبدالعظيم المطعنى	٨١
● من أعلام المصلحين: عبدالرحمن الكواكبى.. الإمام الثائر	كمال عبدالوهاب	٨٦
□ الحضارة والعلوم		٨٩
● التدخين بين العلم والدين	أ. د. محمد فتحى فرج بيومى	٩٠
● من آيات الله فى خلق الوجه	أ. د عبدالمعبود عمارة	٩٦
● سماحة الإسلام مع غير المسلمين	فضيلة الشيخ شوقى عبداللطيف	٩٩
● ماذا يعنى العيد للمسلمين؟	أ. د محمد إبراهيم الجيوشى	١٠٤
● المفهوم التربوى القويم فى إعداد الإنسان السليم	أ. د. آمنة نصير	١٠٨
● من صحائف التاريخ: استشهاد ابن الزبير	أ. د محمد رجب البيومى	١١٠
● الفيلسوف المسلم عبدالواحد يحيى	رانيا مجدى سالم	١١٤
□ الدعوة والدعاة		١١٩
● التعاون ضرورة دينية واجتماعية	فضيلة الشيخ محمد عبدالمجيد زيدان	١٢٠
● مسئولية الحاكم	فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف	١٢٣
● الأزهر قلعة الإسلام وحصن اللغة الغربية	السيد أحمد أبو الفضل عوض الله	١٢٦
● نافذة على المعلومات	إعداد: منى القاضى	١٣٠
● مكانة العلم (شعر)	عمر موسى موسى البرعى	١٣٢
□ أنت تسأل والفقيه يجيب	فضيلة الشيخ عطية صقر	١٣٣
□ مع القراء	يحرره: حسين السكرى	١٣٩
□ بريد التعارف		١٤٣

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارىء المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها:

أمهات كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١٢
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المقتضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء١ : ٢
- إخلاص الناوى من ١ : ٤

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف المعلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء عبد الباسط عبد الصمد ـ مصطفى إسماعيل محمود على البنا ـ محمود خليل الحصرى

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١: ٥

وتيسيرا على القارىء المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات ـ جاردن سيتى
مكتبة مسجد النور بالعباسية
٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير
٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم)
الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٤٢ شارع سعد زغلول

مواعيد العمل من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر